يوميات آسيا الوسطى

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ / ١٩٩٥م

© محمد بن ناصر العبودي، ١٤١٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
العبودي، محمد بن ناصر.
يوميات آسيا الوسطى.
٣١٣ ص ؛ ١٧ سم
ردمك ٣-٢٠-٧٨٥-٩٩٦٠
١- الرحلات ٢- الرحلات والأسفار أ- العنوان
ديوي ٩١٠,٤ ١٥/٠٦٤٢

رقم الإيداع: ١٥/٠٦٤٢
ردمك: ٣-٢٠-٧٨٥-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بلغنا ما أملناه من الإطلاع على أحوال المسلمين آجمعين، في بلاده الواسعة ، وفي اصقاعها الشاسعة من كل مكان طلعت عليه الشمس، وفي أماكن لا تطلع عليها الشمس ولا تغيب عنها إذا طلعت في فصل من الفصول.

والصلاة والسلام على رسول الهدى الذي بلغت دعوته بلاداً لا يعرفها أهل بلاده حتى في هذا العصر عصر الطائرات والتلفازات بل عصر الصواريخ والمركبات الفضائيات، إلا من قدر له – مثلي – أن يجوب الأمصار وأن يواصل الأسفار ولا يمل من التسيار في الأقطار بحثاً عن المسلمين وإيصالاً للبر الثمين لهم من بلاد الحرمين الشريفين، مهبط الوحي ومنطلق الرسالة إلى أهل الأرض الأدنين والأبعدين.

وفي هذا الزمان الذي تخلى فيه بعض أهل الأديان عن أديانهم نجد أن الدين الإسلامي الحنيف يكتسب في كل يوم أنصاراً، ويفتح بين الحين والآخر أمصاراً، تكون له دياراً ثم ينطلق منها إلى ما يليها من الديار، يهدي به الله حائراً ويبصر به جائراً. وذلك كله مع ضعف في الوسائل المادية وقلة في الطاقات البشرية، بالنسبة إلى الوسائل المادية التي يملكها أرباب الديانات الكفرية. ولكنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها إذا خالطت حلاوته القلوب ظهرت بشاشته على الوجوه، وصدقتها الأعمال.

والأعمال هي الدعوة إلى الله والتبشير بما عند الله من الخير الجزيل لمن اهتدى إلى سواء السبيل وهي التحذير من الشر الوبيل لمن صد عن سواء السبيل.

وكان من ضمن الأقطار التي سافرت إليها على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد بلاد الإتحاد السوفيتي. فطفت في بعض أنحائها وشاهدت أرجاءً من أرجائها، واطلعت على أحوال لا تسر من أحوال المسلمين فيها إلا من ناحية كونها ليست في حالة أردأ مما هي عليه مما كنا نظن أنها كذلك، وتلك الرحلة الأولى إلى الإتحاد السوفيتي كانت في عام ١٤٠٦هـ الموافق لعام ١٩٨٦م.

وكان ذلك بعد انحسار العهد البريجنيفي – نسبة إلى ليونيد بريجنيف– قائد الإتحاد السوفيتي في ذلك العهد، وكان عهداً متزمتاً متشدداً أضر بالعباد والبلاد، ولاقى منه المسلمون مثل غيرهم من مواطني الإتحاد عنتاً بل أشد من العنت في أمور دينهم ودنياهم.

وكان الرئيس السوفيتي جورباتشوف قد تولى آنذاك وظيفة الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي بديلاً عن خلف بل خلفين لبريجنيف بعد هلاكه ولم تكن ظهرت آنذاك أية بوادر على سياسته الإصلاحية بل الانقلابية في الإتحاد السوفيتي. وقد كتبت مشاهداتي في الإتحاد السوفيتي خلال تلك الرحلة في كتب أربعة هي:

(١)«في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر».

(٢) «جمهورية أذربيجان السوفيتية».

(٣) «بلاد الداغستان».

وهذه الثلاثة قد طبعت.

(٤) «زيارة للمسلمين في الإتحاد السوفيتي» ولايزال مخطوطاً.

ثم قمت برحلة أخرى للإتحاد السوفيتي في هذا العام ١٤١٠هـ الموافق لعام ١٩٩٠م فوجدت الإتحاد السوفيتي قد تغيرت فيه الأمور تغيراً جذرياً وبخاصة ما يتعلق بأحوال المسلمين فحسنت بعد سوء، بل أخذ المسلمون يظهرون بأعمالهم الإسلامية أنهم كانوا متمسكين بعقيدتهم الحنيفية رغم الضغوط التي تفوق التصور التي كان يوجهها عليهم طوال عقود من السنين غلاة الشيوعية وطغاة الإلحاد، فسجلت في هذا الكتاب ما لاحظته على أحوال المسلمين في بلاد من البلاد التي كنت زرتها من قبل وفي مواطن أخرى من الجمهوريات السوفيتية التي لم أزرها قبل هذه المرة ورأيت أن ما سجلته في الرحلة الأولى وما سجلته في الرحلة الثانية يمكن أن يندرج في باب المقارنة مابين حال المسلمين الجيدة نسبياً أو لنقل: الأقل سوءاً في الوقت الحاضر وما كانت عليه من وضع سيء في الماضي. إضافة إلى المشاهدات والأحوال العامة التي تكلمت عليها في تلك البلاد وقد شملت هذه الرحلة بلاداً من بلاد المسلمين العريقة في إسلامها وهي:

جمهورية اوزبكستان وإقليمان مهمان يتبعانها: خوارزم، ووادي فرغانة.

وجمهورية تركمانستان.

وجمهورية تاجيكستان.

والترجمة الحرفية لأسماء هذه الجمهوريات هي بلاد الأوزبك وبلاد التركمان وبلاد التاجيك على التوالي.

وكل أولئك الأقوام من الأقوام العريقين في الإسلام. بل لهم ماض إسلامي مجيد قَلَّ أن يوجد له نظير فى البلدان الإسلامية.ما عدا الحواضر الإسلامية الشهيرة كمصر والشام.

وناهيك ببخارى وما وراء النهر تلك البلاد التي أخرجت للأمة الإسلامية العلماء الأعلام أمثال الإمام البخاري والإمام الترمذي والإمام النسائي، كما أخرجت للعالم علماء بارزين في الطب والفلك والرياضيات كابن سينا والفارابي والبيرونى.

ومن منا لم يقرأ شيئاً عن بلاد خوارزم التي أتحفت العالم الإسلامي بأئمة من أئمة الحديث واللغة وشعراء بلغاء ورياضيين عباقرة كأبي بكر الخوارزمي الذي قاس أبعاد الأرض للخليفة المأمون، في وقت كانت فيه أوروبا غارقة في دياجير الجهل والظلام.

ولن أطيل بشرح أحوال هذه البلاد لئلا أخرج عن طبيعة هذا الكتاب الذي هو كتاب مشاهدات ومعلومات ميدانية مستقاة من واقع الحال، إلا ما أقتضاه المقال من تشبيه شيء حديث بشيء قديم أو من حديث جديد عن موطن قديم.

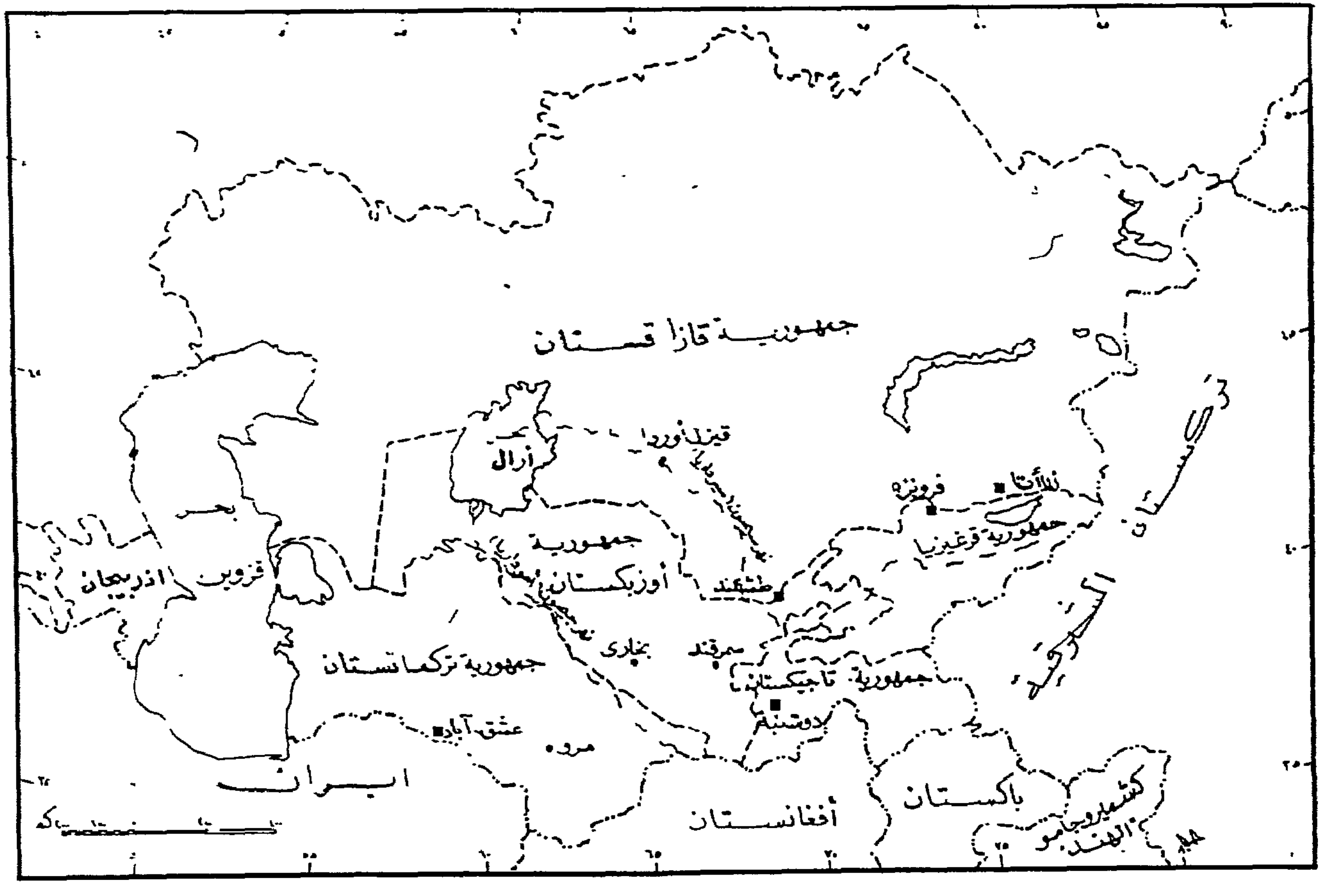
وقد أسميت هذه البلاد اسماً عصرياً ، إن لم تقل استعمارياً وهو (يوميات آسيا الوسطى) وهذه تسمية روسية أوروبية ولكنها صارت مشهورة مذكورة.

ولسنا ممن يأخذ بالقول المأثور: خطأ مشهور خير من صواب مهجور فنحن ننشد الصواب ولو كان مغموراً، ونتجنب الخطأ ولو كان مشهوراً، ولكنني لم أجد اسماً قديماً عند أسلافنا يجمع تلك البلاد وإنما كانوا يطلقون على أجزاء منها أسماء مختلفة، مثل بلاد الشاش،لمنطقة (طاشقند) وما وراء النهر لأجزاء من تركستان، وبلاد بخارى ، لمنطقة بخارى، وبلاد الصغد وطخارستان لأجزاء من جمهوريتي ازبكستان، وتاجيكستان، إضافة إلى بلاد خوارزم التي هي إقليم منفصل بنفسه، وبلاد التركمان التي كان جزء منها يسمى بخراسان.

والله المستعان ، وعليه التكلان..

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



جمهوريات آسيا الوسطى

جمهورية أوزبكستان

جمهورية اوزبكستان الاشتراكية السوفياتية:

تقع فى الجنوب الغربي من تركستان الغربية على حدود أفغانستان وقد تأسست في ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م على أثر قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي بتاريخ ١٨/١٠/١٩٢٤م بإلغاء جمهورية تركستان السوفياتية وإنشاء جمهوريات لبلاد القازاق والقيرغيز والاوزبك والتاجيك والتركمان ضمن نطاق جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية.

وتقدر مساحة اوزبكستان بـ ٤٤٩٦٠٠ كم٢ وبلغ سكانها ١٥٣٩١٠٠٠ نسمة في إحصاء عام ١٩٧٩م ونسبة المسلمين منهم ٨٨ في المائة أما غير المسلمين فهم من الروس والكوريين والاوكرانيين المهجرين إليها.

ومعنى (ازبكستان): بلاد الأوزبك ، فستان: بلاد وهي كلمة فارسية دخلت في اللغة التركية القديمة، وعرفت في العربية منذ آخر القرن الأول الهجري ،كما في هذا الشعر الذي ذكر (صين استان) يعنى بلاد الصين وهو لعبد الرحمن بن جمانة الباهلي، قال يفتخر بشخصين من قومه (باهلة) وهما سلمان بن ربيعة، وقتيبة بن مسلم:

وإنّ لنا قبرين قبر بَلَنْجر
وقبرًا (بصين ستان) يالك من قبر

فهذا الذي بالصين عمت فتوحه
وهذا الذي يسقى به سُبُل القطر

و(بَلَنْجر): بلد فما يعرف الآن بـ(داغستان) في القوقاز وقد ذكر ياقوت الحموي بلاد الترك القديمة باسم (تركستان)

وأما الأوزبك فإنهم أقوام من ذوي الأصول التركية الذين يقطنون بلاد ما وراء النهر وهو نهر جيحون الذي يسمى الآن (أمو داريا) ويؤلف مجراه الحدود ما بين (اوزبكستان) وأفغانستان.

والأوزبك : منسوبون إلى السلطان محمد أزبك خان من أقوى السلاطين المنحدرين من ذرية جنكيز خان الذين أسلموا وحكموا منطقة نهر ايتل (الفولجا) وسيطروا على أكثر البلاد الروسية وما يعرف الآن بروسيا البيضاء وجمهوريات البلطيق وجزء من بولندا واوكرانيا وشملت ممتلكاته (بلاد ماوراء النهر) فنسب إليه أولئك الأقوام الذين يسكنون في تلك المنطقة أي منطقة ماوراء النهر التي فيها أوزبكستان ، والمسافة التي سوف نطير فوقها من اوفا إلى طشقند .

وقد توفى السلطان محمد أوزبك في عام ٧٤٢هـ.، وعلى هذا لا يكون الأوزبك قبيلة يفترض أنها منحدرة من جد واحد اسمه (أوزبك) وإنما هم أقوام نسبوا إلى قوم يقال لهم الأوزبك كانوا من أتباع السلطان (أوزبك) خان.

يوم الجمعة ١٤١٠/١١/١٥هـ .

من اوفا إلى طشقند:

كنت وصلت مدينة (أوفا) عاصمة جمهورية بشقردزستان وقد يقال لها جمهورية بشكيريا وهي جمهورية ذات حكم ذاتي داخل جمهورية روسيا الإتحادية.

وكنت فيها على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي حيث وصلنا إلى موسكو ومن هناك انتقلنا إلى (أوفا) وحضرنا مؤتمراً إسلامياً فيها.

وقد ذكرت ذلك كله وما تبعه من زيارة لأجزاء من جمهورية روسيا الإتحادية وما ألحق بها في كتاب «الرحلة الروسية».

والمقرر أن نزور الآن عدداً من بلاد المسلمين في آسيا الوسطى وسنبدأها بمدينة طشقند أكبر مدينة في تلك المنطقة وعاصمة جمهورية أزبكستان كبرى الجمهوريات الإسلامية في آسيا الداخلة في الإتحاد السوفيتي أو المدخلة فيه من حيث عدد السكان المسلمين.

ففي الساعة السابعة والربع غادرنا فندق روسيا الذي كنا نسكن فيه في أوفا مع موكب من سيارات المودعين فوصلنا المطار بعد نصف ساعة.

وكنا نخاف من أمتعة كثيرة زائدة معنا فنحن أربعة وأمتعتنا تزيد على أربعمائة كيلو ولكنهم جاملونا ربما لكوننا وفداً رسمياً للمؤتمر في جمهورية بشكيريا فلم يطلبوا أجراً للأمتعة الزائدة ، وبالنسبة إلى أوزبكستان التي نتجه إليها فإن معنا الشيخ المفتي /محمد صادق بن محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان

وهو أيضاً عضو في مجلس السوفيت الأعلى في الإتحاد السوفيتي ويخوله ذلك الركوب في جميع وسائل المواصلات مجاناً من طائرات وقطارات وحافلات ماعدا سيارات الأجرة العادية (التاكسي) فإنه يدفع مثل غيره من الركاب.

وقد نفعنا وجوده معنا إذْ لم يكن في تأشيرة الدخول التي منحت لنا لدخول الإتحاد السوفيتي إلا موسكو وأوفا مثل سائر المدعوين لحضور المؤتمر والمشتركين فيه. وذلك لكونها تمت بمسعى من الشيخ طلعت تاج الدين رئيس الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي وسيبيريا.

إلا أن الأمر كان سهلاً جداً إذا ماطلبه أحد من المسئولين في بلاد آسيا الوسطى التي نقصدها. فقد حصلنا على سمة الدخول إلى طشقند بسهولة من مكتب لجمهورية اوزبكستان في أوفا.

وكان يرافقنا أيضاً مساعد المفتي الشيخ محمد صادق وهو الشيخ ذاكر اسماعيل.

أما الذين معي في الوفد فهم الإخوة الأستاذ حاتم حسن قاضي من كبار موظفي رابطة العالم الإسلامي ومسئول فيها عن شئون المنظمات والدراسات ويرتبط عمله بي مباشرة والأستاذ رحمة الله بن عناية الله، وهو موظف في الرابطة متخصص في شئون البلدان الشيوعية وقد سبق أن صحبني في عدة رحلات للصين الشعبية والدول الشيوعية في أوروبا الشرقية.والأخ الأستاذ أيمن حبيب مدير تحرير في جريدة عكاظ التي تصدر في جدة .

خرجنا إلى الطائرة والمطر يهطل ولم يكونوا أعدوا مظلات للوقاية من المطر كما يفعل المسئولون في البلدان المطيرة في العالم ، وإنما خرجنا إلى الطائرة نركض ركضاً. وذلك بعد أن ودعنا الإخوة الكرام أهل (بشكيريا) أو إن شئت قلت :أهل بشقرزد فكلا القولين صحيح.غير أن الاسم الرسمي المكتوب في الأوراق الرسمية هو (بشقردزستان) أي بلاد البشقردز وهم :البشكير الذين هم قوم من الأقوام التركية الأصول.

مغادرة أوفا:

قامت الطائرة في موعدها المحدد من قبل دون تأخير وهو التاسعة إلا ربعًا ليلاً. وكلمة (ليلاً) هذه هي جارية على الاصطلاح العالمي الذي ألفناه وإلا فإنها كانت في النهار. ولا تزال الشمس حية بل بيضاء نقية ، إذْ لا تغرب الشمس هنا في (أوفا) في الوقت الحاضر إلا بعد العاشرة.

والطائرة من طراز توبوليف ١٥٤ وقد أدخلونا فيها قبل الركاب كلهم جريًا على عادتهم في البداءة بالضيوف في دخول الطائرة وفي النزول منها.

كما أركبونا في مقدمة الطائرة مع أنها كلها درجة واحدة أى ليست فيها درجة أولى رسمية . وإنما اعتادوا على أن يركبوا ذوى الأقدار منهم كالوزراء والكبراء في مقدمة الطائرة وكذلك يفعلون بالضيوف الأجانب مثلنا. وقد امتلأت الطائرة بالركاب بعد ذلك .

وأعلن مكبر الصوت في الطائرة أن الطيران من أوفا إلى طشقند سيستغرق ساعتين ونصفاً مع أن الطائرة نفاثة وسريعة، تعادل

سرعتها سرعة طائرات البوينغ الأمريكية. وطائرات (الإيرباص) الأوروبية على وجه التقريب.

وكان النداء باللغة الروسية وحدها وفسره لي المفتي الشيخ محمد صادق الذي جلس بجانبي وصار هذا دأبه أيضاً في كل جولتنا في آسيا الوسطى جزاه الله خيراً.

أما ضيافة الطائرة فإنها نصف كأس من الماء المعدني ليس غير، مع أن الوقت وقت عشاء ولكن من عادة الطائرات الروسية غير الحميدة أنهم لا يقدمون طعاماً في الرحلات التي تقل مدتها عن ثلاث ساعات.

أما نحن فإننا لم نكن بحاجة إلى طعام إذْ كنا تغدينا غداء دسماً طيباً متأخراً وقته عن المعتاد على مأدبة للإدارة الدينية في القسم الأوروبى في الإتحاد السوفيتي وسيبيريا، وكان عماده اللحم و(الغداء الطيب يعشي) كما يقول المثل العامي . ويريد بالطيب هنا الكثير الدسم.

ومن العادات الحميدة في طائراتهم الروسية أنهم حرموا التدخين وشرب الخمر داخل الطائرة، وهذا يعفى الراكب المسلم من السؤال عن الشراب أهو حرام أم حلال. لأنهم لا يقدمون أي شيء فيه كحول في الطائرة، حتى أنهم يمنعون تناول ذلك لمن أحضره معه بنفقته.

أخذت الطائرة الاتجاه المستقيم من أوفا إلى طشقند وهو الجنوب الشرقي واستقام أيضاً طيرانها فصار رخاء مريحاً ،هو فوق الرخاء والراحة التي يشعر بها من ركب الطائرات الأمريكية والأوروبية المماثلة.

وهذه عادة عرفناها من هذه الطائرات السوفيتية إذا استقام سيرها في الجو.

ومـع طول المسافة وكونهـا موغلة مـبتدأة مــن بلاد في الشـمال إذْ تقع أوفـا على خط العـرض الشمـالــي الذي تقـع عليه مـدينة مـوسكو، فإنهـا كانت كلهـا بلاداً مسلمـة في عصر من العـصور، بل في عـصور طويلـة من التـاريخ. ومـا هي إلا بلاد من بلاد المسـلمين العـريقـة في إسلامها.

وقـد فتـحـهـا الإسلام علـى مراحل كـانت أولاها في منتـصف القـرن الهجري الأول وهي البـلاد القريبة من مدينة بخارى . ثم اسـتمر زحف الإسـلام في تلك الأصـقـاع حتى قـرع أبواب مـوسكو التي كـانت إمـارة روسيـة فلم تسـتجب لنداء الإسـلام، بل فضلت أن تدفع إتاوة للمـسلمين الذين يحكمون المنطقة التي تقع إلى الجنوب الشـرقي منها وكانت أشهر عـواصـمـهم مـدينة بلغـار ثم (قـازان) واسـتـمـروا على ذلك ردحاً من السنين.

والمسلم الذي يتأمل مـاضـي هذه البلدان المسلمة العـريقة في إسلامـها ويؤلمه اختلاف قادة المسلمين وأمرائـهم فيها، يأسف أشد الأسف لذلك ، وينبغي أن يأخذ العـبرة منه للحفاظ على مـا تبقى من بلدان المسلمين في العالم ، ويعـرف أنه يجب على الرؤساء وأولى الأمر فـيها الابتـعاد عن الاختلاف والشقاق الذي كان سبب هذا الضياع والشقاء.

إلا أنه لابد أن يعجب للمستعمرين من القياصرة الروس الذين احتلوا

هذه البلدانَ المسلمة الشاسعة بحيل ووسائل عديدة ومنها ما احتلوه بالسيوف وبذل التضحيات.

ثم جاء الشيوعيون الروس بعد الثورة الشيوعية فورثوا عن القياصرة ما ورثوه من البلاد، بل أحكموا قبضتهم عليه مع زعمهم بأنهم طلاب حرية وتحرر، وأنهم يحاربون القهر والتسلط الذي سار عليه القياصرة.

في مطار طشقند:

هذا المطار ليس غريباً عني، وأنا لست غريباً عنه ، فقد ركبت منه عدة مرات في زيارتي السابقة للاتحاد السوفيتي منذ أربع سنين.

ومثل هذا القول في مكان في دولة شيوعية ليس كالقول في مطار في دولة حرة وذلك لأن الدولة الشيوعية تكون الأمور فيها واقفة أو تنزل إلى أسفل بخلاف الدول الحرة. فلا يتوقع المرء أن يكون مطار طشقند على سبيل المثال هو الآن أحسن منه قبل أربع سنوات فهذا أمر مستبعد.

ومع ذلك خيل إليَّ أن المنطقة التي تحيط بالمطار هي أقل تألقاً في أنوارها مما كنت تركتها عليه في المرة الأولى.

ففي الساعة الحادية عشرة إلا ربعاً تدنت الطائرة إلى الأرض لتهبط في المطار فبدأ الريف حولها باهت الأنوار، قليل الحركة، ثم بدا قلب المدينة أيضا باهت الأنوار وكأنها في حالة تعتيم مقصود.

وفي الحادية عشرة تماماً هبطت الطائرة في المطار وكان أول ما

أحسسنا به أن أرض المطار التي تسير عليها الطائرة ليست ملساء ناعمة فكان هبوطها في هذا الأمر مثل اقلاعها من مطار (أوفا) كلا المطارين لم يكن ناعم السطح بل كانت الطائرة تسير فيه وكأنها السيارة التي تسير على أرض خشنة. وأعلن مكبر الطائرة أن درجة الحرارة في طشقند الآن هي (٢٠) درجة مئوية، وهي درجة عالية لأننا قرب منتصف الليل.

وقد قال مستقبلونا بعد ذلك مجاملين: إن درجة الحرارة في طشقند كانت بلغت في الظهر (٤٠) درجة مئوية ولكن قبيل وصولكم نزل المطر فلطف الجو وأذهب بعض الحر.

وجدنا في الاستقبال طائفة من الإخوة العاملين في الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان في طشقند. وكذلك بعض أئمة المساجد.وأدخلوا السيارات إلى داخل المطار دون غيرهم من سائر الناس، وذلك لكون المفتي الشيخ محمد صادق محمد يوسف كان معنا وهو عضو في مجلس السوفيت الأعلى للإتحاد السوفيتي الذي هو بمثابة المجلس التمثيلي المركزي للبلاد كلها وذلك يعطيه من الامتيازات ما لا يكون لسائر الناس، كما أنني أحمل جواز سفر سعودياً سياسياً . وهذا يجعل لوجودي في المطار عندهم ماليس لسائر الناس.

في مدينة طشقند:

ذهب الموكب قصداً إلى فندق ازبكستان الذي كنا نزلنا فيه من قبل. وهو الفندق الكبير الوحيد في المدينة، وينزلون فيه ضيوف الحكومة

وجددت عهداً غير بعيد بمدينة طشقند التي كان أسلافنا العرب يسمونها وما حولها ببلاد الشاش أخذاً من تسميتها القديمة (تاش كند) أو كنت بمعنى بلاد الحجر فتاش :حجر ، وكند: بلد.

أودعنا أمتعتنا في الفندق بسرعة ثم نادونا إلى العشاء في مطعم الفندق في الطابق الأرضي منه ، وقبل تجمع الإخوة نزلت إلى حمامه في طابق تحت الأرض فوجدته مثل غيره من الحمامات وأماكن قضاء الحاجة في الإتحاد السوفيتي والدول الشيوعية عامة حتى في الصين هو آقذر مكان يمكن أن يتصوره الإنسان. فليس في مراحيضه ماء للتنظيف ولا مناشف ورق ، وقد بعد عهده بالتنظيف أيضًا وتنبعث منه رائحة كريهة من البول.

وبعد اجتماع الإخوة وكانوا كثيراً على العشاء في الفندق وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة كان العشاء الجيد النوع، وأهم مافيه عندنا نوع من الحساءأو الحريرة كما تسمى (في المغرب) وهي تسمية عربية فصيحة وهي مانسميه الشربة، وقد اعتاد أهل هذه البلاد التركستانية في تركستان الشرقية والغربية أن يحضروها في مقدمة المائدة ويكون فيها في العادة قطع من لحم الضأن الطري اللذيذ الطعم ولا يكدر صفوها عندنا إلا كثرة الدسم فيها وهو أمر لا يعد عيبًا في بلادهم لبرد البلاد وحاجة سكانها إلى ما يكافح البرد فيها. والدسم بما يفرزه الجسم بعده من ماده دهنية على الجلد يساعد على الشعور بالدفء.

ومع ذكر البرد أقول : إننا لم نستطع النوم في الغرفة إلا بعد إشعال المكيف لتبريد الهواء لشدة الحر فيها في هذه الساعة من منتصف الليل، وذلك رغم كون البرودة تتدنى في الشتاء إلى ما تحت الصفر بعشرين درجة.

وقد وجدناهم وضعوا في الغرفة خبزاً مستديراً ، ومشمشاً كبيراً قطف لتوه من شجره وكرزاً جيداً.

وكله من ناتج هذه البلاد المسلمة الغنية بفواكهها الكثيرة المتنوعة.

يوم السبت: ١٦/١١/١٤١٠هـ - ٩/٦/١٩٩٠م.

في الإدارة الدينية:

كان من الطبيعي أن يكون أول مكان نزوره في هذه المدينة هو (الإدارة الدينية) التي يراد بها الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان ويرأسها صديقنا ومرافقنا في هذه الرحلة المفتي الشيخ محمد صادق محمد يوسف. وكان أيضاً مرافقاً لي في الرحلة السابقة طيلة مقامنا في الإتحاد السوفيتي في الزيارة السابقة. ولكنه لم يكن وحده آنذاك بل كان معه عشرة آخرون خمسة منهم من الروس غير المسلمين باسم إعلاميين ومصوري تلفزة وصحافة وخمسة من أبناء المسلمين.

أما في هذه الرحلة فإنه لم يكن معنا أحد من المخبرين ، ولا من الإعلاميين الذين كان يقصد بهم أن يعلموا الحكومة بجميع حركاتنا وحتى سكناتنا ومن يتصل بنا أو نتصل بهم ، بل حتى من يكلمنا أو نكلمه.

وجدنا في الإدارة الدينية طائفة من مصوري التلفزة منهم مصورو تلفاز موسكو الذي يبث برامجه في الإتحاد السوفيتي كله ومنهم مصور تلفاز اوزبكستان في طشقند. وهؤلاء كان وجودهم طبيعياً كما يكون في كل البلاد فعندما انتهوا مما أرادوه غادروا المكان وهو الإدارة الدينية وما ألحق بها ولم يبق معنا منهم أحد.

ولكنهم صحبونا في الجولة على هذه الأماكن الإسلامية المهمة.فكان أول لقاء في قاعة الاجتماعات بالإدارة الدينية حيث جرى استقبالنا استقبالاً رسمياً مصوراً متلفزاً.

وقد ألقيت للإذاعة الاوزبكية بكلمة تضمنت مشاعرنا ونحن نصل إلى هذه البلاد التي هي بلاد شقيقة لأن شعب هذه المنطقة شعب مسلم عريق في إسلامه . وقد قدم للثقافة العربية إسهامات عظيمة كما أنجب علماء وحكماء وفلاسفة وفقهاء ومحدثين وشعراء وبلغاء تعتز اللغة العربية بهم ، وتعتبرهم من فطاحل الثقافة فيها. ومن منا لا يذكر الإمام البخاري والإمام الترمذي وهما من جمهورية ازبكستان هذه بالذات وكذلك كان من منطقة آسيا الوسطى عالمان بارزان من أهل الحديث وهما الإمام النسائي وابن ماجه ، وهؤلاء الأربعة مع الإمام أحمد بن حنبل والإمام مسلم بن الحجاج يؤلفون أصحاب الكتب الستة المسماة بالسنن. فأربعة منهم هم من أهل آسيا الوسطى.

ثم قلت إننا نرجوا أن يعرف إخواننا المسلمون في هذه البلاد أن إخوانهم في المملكة العربية السعودية لم ينسوهم بل إن خادم الحرمين

الشريفين ملك المملكة العربية السعودية قد أمر بإرسال مليون نسخة من المصحف الشريف المطبوع في المدينة المنورة على نفقة الحكومة السعودية هدية من المملكة العربية السعودية إليهم. وقد وصل جزء من هذه المصاحف بالفعل إلى طشقند وغيرها من مدن الإتحاد السوفيتي وانتفع بها الناس كما علمنا.

ونحن جئنا للبحث عن المزيد من التعاون الثقافي بين رابطة العالم الإسلامي وبين الإدارة الدينية في هذه البلاد.

وبعد ذلك أخرج أصحاب التلفزة ومصورو الصحف من قاعة الاجتماع في مقر الإدارة الدينية في طشقند وبدأت المباحثات الرسمية.

وقد حضرها من جانب مسلمي هذه المنطقة رئيس الإدارة الدينية لآسيا الوسطى وقازاقستان الشيخ محمد صادق محمد يوسف ونائباه الشيخ ذاكر إسماعيل والشيخ زاهد جان عبد القادر، وعدد قليل من كبار موظفي الإدارة الدينية وكانت مباحثات واسعة مطولة اشتملت على أمور عديدة ذكرنا لهم في أثنائها أننا نحب أن نرى كل المساجد التي أعيدت للمسلمين ويجرى العمل على ترميمها ، كما نحب أن نسهم في نفقات تعمير المساجد الجديدة أو المدارس الإسلامية إن وجدت لأننا نحمل مبالغ مالية من رابطة العالم الإسلامي لهذه الأغراض.

وكان من المباحثات ما يلي:

١ - وصلت إلى طشقند ٢٠٥ آلاف نسخة من المصحف الشريف الذي أهداه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله

إلى مسلمي الإتحاد السوفياتي. وقد وصل معظم هذا العدد إلى المسلمين المتلهفين للحصول عليه.

والإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان ترجو رابطة العالم الإسلامي إرسال الكمية المتبقية من المصاحف المذكورة حسب خطة التوزيع المتفق عليها. كما ترجو إرسال كلما يخصها إلى مقرها في طشقند.

وقد تفهم وفد الرابطة صحة هذا الطلب واتفق الطرفان على العمل بموجب خطة التوزيع التي اتفق عليها في مكة المكرمة بتاريخ ١٤١٠/٧/١٥هـ. وإرسال الكمية الباقية من ٥٠٠ ألف نسخة وهي حصتها المقررة بموجب الإتفاق المذكور إلى طشقند.

٢ - تبرعت هيئة الإغاثة الإسلامية بمليون حقنة بلاستيك فارغة لمسلمي الإتحاد السوفيتي وقد أعلن عنها في الصحف والإذاعة والتلفزيون. ولكنها لم تصل لهم حتى تاريخه وحسب المحضر الذي اتخذ مع هيئة الإغاثة الإسلامية على إرسال ٧٥٠ ألف حقنة إليهم و٢٥٠ ألف حقنة للإدارات الدينية الإسلامية الأخرى فإنهم يرجون سرعة الإرسال لأن المسلمين في حاجة ماسة إليها.

وقد وعد وفد رابطة العالم الإسلامي بنقل رغبتهم إلى هيئة الإغاثة الإسلامية وحثها على سرعة إرسال ما اتفق عليه.

٣ - **المطبعة** : تحدث إليهم وفد الرابطة عما تم بخصوص تأمين مطبعة لهم واتصال الشيخ فيض الله مرغلاني بالمصانع الألمانية لشراء المطبعة لهم واستعداد المذكور بالسفر على حسابه لإتمام موضوع

الشراء وإيصال مكائن الطبع إليهم وأن الوفد يرغب الإطلاع على المكان المخصص للمطبعة وعن مدى إمكانية الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان في تشغيلها والإستفادة منها.

أجاب الشيخ محمد صادق محمد يوسف بأن مكان المطبعة قد تم تجهيزه وينتظرون وصول المكائن إليهم وهم في حاجة ماسة إلى المطبعة لأنهم ينشرون مجلة شهرية باسم (المسلمون في الشرق السوفياتي) بخمس لغات ويصدرون جريدة باسم (نورالإسلام) كل أسبوعين بالإضافة إلى طبع ونشر الكتب الآتية:

١ - معلم ثاني . ٢- مفتاح النحو.

٢ - إسلام ديني. ٤- العبادة الإسلامية.

وحيث أن العمل الإسلامي يقوم في أكثره على التعليم والتربية والتوعية والكتاب يعتبر من أهم وسائله التي يستلزم توفيرها للمسلمين الذين يريدون معرفة تعاليم الإسلام وأحكامه. وبسبب ظروف الحكم الشيوعي المستبد أتلفت الكتب الإسلامية كلها في السابق ومع العودة لاستعمال الأبجدية العربية فالحاجة إلى الكتب كبيرة جداً لا يمكن تحقيقها مع ظروف المطابع الحكومية حالياً، إلا بوجود مطبعة خاصة بالإدارة الدينية تستغل الظروف والإمكانات المتاحة لأداء واجبها الإسلامي. علاوة على أن ظروف العمل الإعلامي الذي تمارسه الإدارة الدينية أتاح لعدد من منسوبيها اكتساب الخبرة في الإخراج والعمل الصحفي ... أما الخبرات العملية في تشغيل مكائن الطبع فيمكن اكتسابها بالاتفاق مع الشركة الموردة لها.

وقد تم الاتفاق بشأنها على ما يلي:

أ – شراء مكائن الطبع المناسبة لطبع الكتب والصحف والمجلات حسب اتصالات الشيخ فيض الله مرغلاني مع المصانع الألمانية التي لها مكتب تجاري في موسكو بالاتحاد السوفياتي وحسب المواصفات التي تدارسها المذكور مع الشيخ محمد صادق محمد يوسف في حدود مبلغ ٦٠٠ ألف ريال واصلة إلى مدينة طشقند.

ب – الاتفاق مع المصانع التي تورد مكائن الطبع على تدريب مجموعة العاملين عليها في تشغيلها وصيانتها حتى يمكن الاستفادة منها بشكل جيد ومفيد.

٤ - ترجمات معاني *القرآن الكريم*:

أ – قامت الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان بوضع ترجمة اوزبكية لمعاني القرآن الكريم بالحروف الروسية، وقد تم نشر ترجمة الأجزاء الأربعة الأولى من القرآن الكريم في مجلة شرق يلدزي . كما طبعت ونشرت مستقلة في كتيب، وحالما تنتهي ترجمة معاني القرآن الكريم كاملة سيتم طبعها ونشرها بالنص القرآني والترجمة... وقد حظيت الترجمة المذكورة بقبول حسن وإقبال على قراءتها كما يتضح من الخطابات التي تلقتها المجلة.. وقد اطلع وفد الرابطة على أعداد المجلة التي حملت الترجمة المذكورة.

وقد طلب وفد الرابطة من الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان مراجعة الترجمة الاوزبكية التي وضعها الشيخ

عبد الرحيم اجقون والشيخ يعقوب خوجه لمعاني القرآن الكريم بالأحرف العربية لابداء رأيها في الترجمة وجودة الأسلوب وملائمتها للطبع في هذه المنطقة.

وقد وعد الشيخ محمد صادق محمد يوسف الذي تسلم نسخة من الترجمة المذكورة من وفد الرابطة بالمراجعة وتقديم تقريركامل عنها إلى رابطة العالم الإسلامي قريباً.

ب – طلب وفد رابطة العالم الإسلامي من الشيخ محمد صادق محمد يوسف أن تقوم الإدارة الدينية التابعة له بمراجعة الترجمة الروسية التي وضعها أحد الإخوة السودانيين لمعاني القرآن الكريم لابداء ملاحظتها في صحة الترجمة ودقة معانيها وسلامة عباراتها وجملها بما يتلائم ويتفق مع المعاني الحكيمة التي تتضمنها الآيات الكريمة .. حتى تستطيع الرابطة على ضوء ذلك الاستمرار في اتمام هذه الترجمة الروسية وتولى طبعها ونشرها.

وقد تسلم الشيخ محمد صادق محمد يوسف نسختين من الترجمة الروسية لمعاني القرآن الكريم الخاصة بالجزء الثلاثين وكلف مرافقيه بتشكيل لجنة لمراجعتها وإعداد التقرير اللازم عنها.

جـ – ذكر الشيخ محمد صادق محمد يوسف بأنهم يسعون إلى تحويل الترجمة الاوزبكية التي وضعوها لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة القازاقية حتى يتم تعميمها بين القازاق والقرغيز .. أما التركمانية فيمكنهم الاستفادة من الترجمة الاوزبكية في الوقت الحاضر.

د – ستقوم الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان بالتشاور مع علماء التاجيك لوضع ترجمة فارسية لمعاني القرآن الكريم بالأحرف الروسية حتى يستطيع التاجيك وهم مسلمون سنيون ولسانهم الفارسية من دراسة وقراءة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية والابجدية التي يستعملونها.

٥ - الكتب الإسلامية:

طلب الشيخ محمد صادق محمد يوسف تزويد الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان وما تبعها من مدارس ومعاهد بالكتب الإسلامية والعربية المختلفة .. لأن الكتب الإسلامية والعربية قد اتلفتها الدولة في العقود الماضية وما يوجد منها لا يلبي حاجة المسلمين أبدًا، والناس في حاجة إلى الكتب لمعرفة دينهم والطلاب يحتاجونها في مدارسهم ومعاهدهم.

وقد وعدهم وفد رابطة العالم الإسلامي بتزويدهم بالكتب الإسلامية المدرسية التي كانت مقررة على طلاب المدارس السعودية حتى يستفيد منها الطلاب .. وكذلك تزويدهم بالكتب الإسلامية والعربية المعاصرة منها والمراجع كي يستفيد منها الباحثون والأئمة والعلماء وطلاب العلم.

٦ - البث الإذاعي:

تحدث الشيخ محمد صادق محمد يوسف عن البث الإذاعي المكثف لبعض الجهات المغرضة وأثر ذلك على المسلمين في تاجيكستان

وتركمانستان وذكر أهمية البث التركستاني من الإذاعة السعودية بجدة. وقال بأن موعد البث غير ملائم إذ يبث في ساعة متأخرة من الليل عندما يكون الناس نياماً. وأشار بأن أنسب وقت للإرسال الإذاعي هو فيما بين الساعة ٧ – ٩ بتوقيت طشقند ٤ – ٦ بتوقيت المملكة العربية السعودية، إذ يكون المسلمون في منازلهم يتناولون طعام العشاء ويرتاحون في هذا الوقت . كما أكد على أهمية الإهتمام بالمواضيع والأحاديث التي تبث حتى تكون مفيدة وأشار بأن أكثر المسلمين يستمعون إلى إذاعة نداء الإسلام والقرآن الكريم وغيرهما من البرامج العربية.. وذكر أن الحكومة السوفياتية صرحت بإلقاء أحاديث دينية من الإذاعة والتلفزيون ونقل المناسبات الإسلامية مثل صلاة العيدين الفطر والأضحى فى التلفزيون. وأن المساعى جارية بطلب تخصيص برامج ثابتة عن الإسلام فى الاذاعة والتلفزيون.

وتطرق الحديث في ختامه إلى دراسة إمكانية استئجار ساعات معينة من إذاعة اوزبكستان لاستقبال البث التركستاني من جدة وتقوية بثه منها... أو بث إذاعي مستقل منها، تتعاون رابطة العالم الإسلامي والإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان على تنفيذه. وأكد الكل على أهمية البث الإذاعي والمرئي في عالم اليوم، كما أشار الجميع إلى أهمية توفير مواد إسلامية مسجلة على الأشرطة.

٧ - المساجد:

قال الشيخ محمد صادق محمد يوسف: إن الحكومة السوفياتية أعادت كثيراً من المساجد التي سبق أن صادرتها ، كما أن المسلمين

نشيطون في بناء مساجد في الأحياء الجديدة، وأن إعداد المساجد التي يتم بناؤها وترميمها كثيرة، وكلها تحتاج إلى المساعدة المالية نظراً لظروف المسلمين الاقتصادية السيئة وأن الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان قدمت مساعدات لهم بحوالي ٢٠٠ ألف روبل.



وفد الرابطة مع جمهور المسلمين الذين يقومون ببناء جامع جديد في نواحي طشقند

فرد عليه وفد الرابطة بأن وفد الرابطة يرغب في زيارة بعض المساجد التي يتم إنشاؤها وترميمها في هذا الوقت بهدف تقديم مساعدات مالية رمزية عاجلة من الرابطة وإن في إمكان الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان أن تقدم بياناً عن المساجد التي يجري إنشاؤها وترميمها حتى تنظر رابطة العالم الإسلامي في أمر مساعدتها.

٨ - الدعاة والمدرسون:

عرض وفد الرابطة على الشيخ محمد صادق محمد يوسف وزملائه استعداد رابطة العالم الإسلامي لإرسال دعاة ومدرسين يساعدونهم على تعلم اللغة العربية وتدريس بعض العلوم الإسلامية في المعاهد والمدارس، تتحمل الرابطة رواتبهم، وتؤمن الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان تأشيرات الدخول والإقامة لهم.

فأجاب الشيخ محمد صادق محمد يوسف أنهم في الوقت الحاضر لا يستطيعون قبول الدعاة والمدرسين بسبب أزمة السكن المستفحلة عندهم ورفض الحكومة السوفيتية لهذا الأمر.

٩ - المنح الدراسية:

قلت: إن رابطة العالم الإسلامي يمكنها أن تساعدهم لإعداد مجموعة من أبنائهم للقيام بمهام التدريس والتعليم والتوعية الدينية وأن جمعية اقرأ الخيرية قد خصصت بالفعل عدداً من المنح الدراسية في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد بباكستان.

فقال الشيخ محمد صادق محمد يوسف: إن الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان قد رفعت أوراق عشرة طلاب إلى الجهات الحكومية بطلب الموافقة لابتعاثهم وحال صدور الموافقة عليهم سيتصل بالرابطة لمساعدتهم وتأمين منح دراسية لهم.

١٠ - المعاهد الإسلامية:

ذكر الشيخ محمد صادق محمد يوسف: أن الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان تعمل على إنشاء المعاهد الإسلامية الآتية:

أ - معهد إسلامي يجري إنشاؤه حالياً في مدينة دوشنبه عاصمة تاجيكستان ويتوقع افتتاحه خلال مؤتمر الإمام الترمذي المزمع عقده في شهر سبتمبر ١٩٩٠م.

ب - معهد إسلامي جديد ستتم إقامته في وسط فرغانة.

جـ - معهد إسلامي جديد في مدينة خوارزم.

د - إنشاء مركز إسلامي يضم مسجداً ومدرسة في طشقند.

هـ - إقامة مساكن طلبة وملاعب رياضية ومختبرات للمعهد الإسلامي المعروف باسم معهدالإمام البخاري في طشقند.

و - إقامة مساكن طلبة وتجهيز مختبرات لغة عربية وفصول دراسية لمدرسة مير عرب الإسلامية في بخارى.

ونظراً لأهمية هذه المنشآت العلمية والتربوية لأبناء المسلمين وحتى تؤدي رسالتها الإسلامية أكد الشيخ محمد صادق محمد يوسف على طلب المساعدة المالية لإنفاذها وإتمام بنائها.

وأكدت لهم استعداد رابطة العالم الإسلامي لمساعدتهم والسعي لهم لدى الجهات الأخرى في بلادنا بالتبرع لهم حتى تستكمل بنائها وتجهيزاتها كي تؤدي هدفها الإسلامي والعلمي.

١١ - كلية الحديث:

اقترح وفد رابطة العالم الإسلامي إنشاء كلية أو معهد عالٍ لعلوم الحديث تستقطب الدارسين والباحثين من مختلف أنحاء العالم ويكون فيها إحياء لذكرى الإمام أبي عبد الله البخاري.وغيره من أئمة الحديث الذين أنجبتهم تركستان في عصورها الإسلامية الزاهية وتساعدهم الرابطة وغيرها من الهيئات الإسلامية على إنشائها.

وقد سَرَّ الشيخ محمد صادق محمد يوسف بهذا الاقتراح ووعد بدراسته والعمل لإنشائها عندما تتاح الفرصة المناسبة لذلك.

١٢ - الملتقى الإسلامي:

تحدثت عن رغبة رابطة العالم الإسلامي في التعاون مع الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان لإقامة ندوة أو ملتقى إسلامي بهدف التعريف بالإسلام وتعاليمه وإبراز فضائل علماء المسلمين الأوائل الذين أنجبتهم تركستان ليكون في ذلك تذكير للمسلمين بماضيهم المجيد وتوعية لهم بمبادئ دينهم الحنيف.

يدعى الى هذا الملتقى الإسلامي ٥٠ شخصاً من علماء المسلمين وشخصياتهم من خارج الإتحاد السوفياتي و٢٥٠ شخصاً من شخصيات المسلمين من الداخل.. وتتولى رابطة العالم الإسلامي الإنفاق على هذا الملتقى الإسلامي ويكون تنظيمه وإقامته بالمشاركة مع الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان.

وقد رحب الشيخ محمد صادق محمد يوسف بهذا الاقتراح وأبدى

الاستعداد التام في التعاون على إقامته بعد عيد الفطر في شوال ١٤١١هـ وأن يقوم بالاتصال مع الجهات المسئولة لاستصدار الموافقة الرسمية له ثم إشعار الرابطة لاستكمال المباحثات الضرورية لإقامته في فترة لا تزيد عن ستة شهور من تاريخه.

١٣ - الحج:

ذكر الشيخ محمد صادق محمد يوسف بأن الإستعداد يجرى لسفر الحجاج السوفيت ومنهم ٥٠٠ شخص من آسيا الوسطى إلى الأراضي المقدسة.. وأن المسلمين فرحون بهذا الحدث الذي تم بعد أكثر من ٧٠ سنة من الانقطاع وأن الجهات الحكومية والهيئات مهتمون بهذا الموضوع ويعربون عن استعدادهم للمساعدة وأمر الجهات المختصة بتقديم التسهيلات اللازمة لهم.. وأن مصنع نسيج محلي ينسج ملابس الإحرام بتبرع من بعض الأشخاص المسلمين... ومع أن المبلغ المقدر لتكاليفه هو ستة عشر ألف روبل إلا أن الإقبال عليه كثير جداً. وأن الحكومة السوفيتية وافقت على تبديل مبلغ ستمائة دولار لكل حاج .. كما أن المباحثات تجرى مع شركة الخطوط السوفيتية (ايروفلوت) في موضوع التذاكر وتنظيم الرحلات التى ستكون مباشرة إلى جدة. وطلب المذكور في ختام حديثه مساعدة رابطة العالم الإسلامي في تسهيل أمور الحج لهم.

وعقبت على ذلك بالتعبير عن سروري وسرور المسلمين كلهم بوجود هذه الإمكانية التي أتيحت لهذا العدد من المسلمين لأداء فريضة الحج بعد أن كان العدد لا يتجاوز عشرين شخصاً في العادة، وأبديت استعداد

الرابطة لتقديم المساعدات اللازمة لهم في الاتصالات وتذليل العقبات وأن الرابطة على استعداد لاستضافة عشرين شخصاً من رؤساء الإدارات الدينية الإسلامية وكبار شخصيات المسلمين كما جرت به العادة سنويًا.

وقلت: يجب توعية المسلمين بأن الحج فريضة يشترط لوجوبها توفر الإستطاعة المالية والقدرة الصحية حتى لا تسبب رغبتهم في الحج ضررًا عليهم.

وطلب الشيخ محمد صادق محمد يوسف إرسال المصاحف والكتب الإسلامية وماء زمزم في الطائرات الروسية التي تحمل الحجاج السوفيات إلى جدة وتعود خالية .. فوعدته بإبلاغ ذلك إلى المسئولين.

لقاء مع التلفزة:

بعد نهاية المباحثات التي استغرقت جلسات مطولة سرنا في جولة على الأقدام لمشاهدة أقسام الإدارة الدينية والأبنية التابعة لها، وهي بالنسبة لي ولزميلي الأستاذ رحمة الله بن عناية الله بمثابة تجديد العهد بها. لأننا سبق أن رأيناها من قبل ولكن الشيخ محمد صادق أراد أن يطلعنا على الفرق الذي قد يكون حصل فيها خلال المدة التي تركناها فيها وهي تزيد على أربع سنين.

وقد وجدنا أصحاب التلفزة ينتظرون منذ الصباح خارج مبنى الإدارة وهم مراسلو التلفاز السوفيتي المركزي الذي يذيع على مستوى الإتحاد

السوفيتي كله، وفرقة من تلفاز جمهورية ازبكستان المحلي. فكان اللقاء أولاً مع التلفاز السوفيتي.

وقد تم ذلك اللقاء ونحن واقفون في فناء الإدارة الدينية وقام بالترجمة من العربية إلى الروسية المفتي الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف.

سألني المذيع المركزي أولاً قائلاً : كيف وجدتم أحوال المسلمين في الإتحاد السوفيتي؟

فأجبت بأننا وجدنا المسلمين يتمتعون الآن بقسط من الحرية أكبر مما كانوا عليه في الماضي وبخاصة فيما يتعلق ببناء المساجد الجديدة واستعادة المساجد القديمة وهي حرية نشأت عن سياسة إعادة البناء (البروسترويكا) التي نادى بها وطبقها الرئيس السوفيتي (جورباتشوف)

ونرجوا أن يستمر التعاون وأن يزيد بحيث يكون للمسلمين السوفييت من الحرية الدينية في بلادهم مثل مالهم في البلدان الأخرى في أوروبا وغيرها.

ثم سألني سؤالاً مهماً عنده عن أثر الإسلام في حياة الفرد والمجتمع فقلت له: إن حاجات الإنسان في حياته لا تقتصر على الماديات من المأكل والمشرب ونحوهما وإلا لصار مثل الحيوان الذي يأكل ويشرب ويموت. وإنما الإنسان يحتاج إلى غذاء روحي يجعله يشعر بالطمأنينة والسعادة في حياته . والإسلام يوفر له ذلك.

ومن ناحية المجتمع فإن الإسلام يأمر بالعدل والإحسان ويحارب الجريمة وهو معتقد وعبادات ونظام للحياة.

فسأل عن أثر زيارتنا هذه إلى الإتحاد السوفيتي؛ فقلت له: إننا من رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية فهي تهتم بالعلاقات الثقافية مع الإخوة المسلمين فى أنحاء العالم كله ومنهم الإخوة المسلمون في الإتحاد السوفيتي.

وقد بحثنا مع الإخوة المعنيين والمسئولين في الإدارات الدينية كيفية هذا التعاون الثقافي الإسلامي مابين الرابطة والإدارات الدينية. ونرجو أن يزيد ذلك في المستقبل. ونعتقد أن مثل هذه اللقاءات مفيدة بل ضرورية في هذا المجال.

فسأل: وما أثر ذلك على العلاقات مابين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتي؛ فقلت: إننا كما قدمت من رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية ولسنا من وزارة الخارجية ولكننا بطبيعة الحال ولكوننا من رعايا المملكة العربية السعودية سوف نخبر حكومتنا بما لقيناه من حسن استقبال وما وجدناه من رجال الإدارة السوفيتية من تسهيلات لأداء مهمتنا على الوجه المطلوب.

هذا وقد أخبرني الإخوة المسلمون الذين رأيناهم فيما بعد أن هذه المقابلة التلفازية أذيعت في جميع أنحاء الإتحاد السوفيتي. لأن كل من قابلناه وجرت معه مناسبة لذلك أخبرنا بأنه رآها.

التلفزة الاوزبكية:

انصرف ممثلو التلفزة المركزية وبقى معنا الإخوة المسلمون من تلفاز جمهورية أوزبكستان هذه والمذيعة في التلفزة أخت مسلمة اسمها شاهنازة بنت غني .

افهمها الإخوة المرافقون أن الوقت لا يسمح بإجراء مقابلة تلفازية الآن فأجلت ذلك ولكنها كانت تتابعنا وحضرت بعد ذلك إلى المطارفي الغد فحصلت على حديث لتلفازها الأزبكي.

ويفصل المبنى الرئيسي للإدارة الدينية عن بقية الأقسام الملحقة بها شارع قلت للشيخ المفتي والمرافقين منهم : إنه لو أمكن أن تطلبوا من الحكومة العمل على اعطائكم أرض هذا الشارع وأن تدخل في الإدارة الدينية وأن تأخذ منكم الحكومة عوضا عنه شارعا من جهة أخرى أو تتصرف هي في كيفية التعويض لتكون الإدارة الدينية والأقسام الملحقة بها مثل معهد الإمام البخاري وأقسام الإعلام والطباعة والدعوة والنشر وغير ذلك في مكان واحد متصل.

فذكروا أن الحكومة كانت قد أعطتهم أرضاً تقع بجانب أرضهم بدون تعويض وأنهم سوف ينظرون في أمر هذا الشارع . ومنطقة الإدارة الدينية إلى أهميتها الدينية فإنها مهملة من الناحية السياحية ولا بد لمن يزور طشقند من السياح الأجانب أن يزورها، وذلك لكون الأبنية فيها تاريخية وتمثل فن البناء الوطني الأصيل الذي هو جزء من الطراز الإسلامي العام في البناء كما يتضح ذلك في الصور المنشورة هنا.

لذلك وجدنا طوائف من السياح ذوي المظهر الغربي من أوروبيين وأمريكيين وغيرهم وهم يصورون هذه الأماكن التاريخية المهمة فانتهزوا فرصة رؤيتنا علينا الملابس العربية الكاملة، والإخوة الأزبكيون أو إن شئت التعميم قلت إنهم التركستانيون.وإن كنت سعودياً قلت إنهم

البخاريون قد لبسوا ملابسهم الوطنية الكاملة. كما أن مصوري التلفزة والصحافة يتابعون ويصورون تحركات الوفد كلها.

القسم الإعلامي:

دخلنا إلى مبنى أقاموه في ركن الساحة الواسعة التي تتبع الإدارة الدينية في مبنى جديد ولكنه مبني على الطراز الإسلامي الأصيل.

وذكروا أنهم يريدون بالقسم الإعلامي هنا ما يقابل معنى جملة (قسم الدعوة) ولكنهم جعلوه هكذا حتى يكون مفهوماً للناس الذين لا يعرفون معنى الدعوة للإسلام لأنهم نشأوا في ظل سياسة شيوعية ملحدة.

وقد أطلعونا فيه على عدة جرائد وصحف إسلامية منها ماهو وارد لهم من بلدان إسلامية ومنها مايطبعونه بلغتهم ويوزعونه في بلادهم وهذا أمر مهم جداً لأنه لم يكن مسموحاً لهم من قبل بممارسة النشاط في الدعوة إلى الإسلام.وهذه من الأمور السارة التي طرأت على البلاد فحولتها إلى الأحسن.

مجلة الإلحاد تنشر معاني القرآن:

ذكروا من الأمثلة السارة أن مجلة ثقافية وطنية رسمية اسمها(شرق ديوزي) أي نجمة الشرق كانت في الماضي منبراً للإلحاد وإنكار الأديان وتسفيه المتدينين قد انقلبت الحال فيها إلى الأحسن فصارت تنشر الآن من بين ما تنشره ترجمة مسلسلة لمعاني القرآن الكريم باللغة الأوزبكية.

وقال المسئولون في المجلة أن توزيعها زاد كثيراً بعد أن صارت تنشر ترجمة معاني القرآن الكريم ودخلها ارتفع وقراءها كثروا.

استبدال الحروف الروسية بالعربية:

كان فيما أشادوا به وكرروه أن جمهورية أزبكستان التي نحن فيها تدرس قراراً ذا أثرعظيم على ثقافة أهل البلد وبخاصة منهم الناشئين وينص بأن تحل الحروف العربية التي كانت سائدة في هذه البلاد قبل أن يلغيها الحكم الشيوعي المتعصب محل الحروف الروسية التي فرض استعمالها عليهم لأنهم يعتبرون أن الحروف العربية حروف وطنية وان لغتهم الوطنية كانت تكتب بها إبان سيادتهم الوطنية على بلادهم. إضافة إلى ما يعنيه ذلك الأمر من استقلال أو تميز ثقافي إسلامي يبعدهم عن الذوبان في الثقافة الروسية الملحدة أو النصرانية.

وصحب ذلك قرار مهم أيضاً وإن كان متصلاً بهذا وهو أن اللغة الأوزبكية هي اللغة الوطنية الأولى في الجمهورية عوضاً عن اللغة الروسية التي كانت اللغة الوطنية للإتحاد السوفيتي كله.

ومعلوم أن اللغة الأوزبكية هي فرع من فروع اللغة التركية القديمة تعتبر شقيقة للغة التركية المحكية الآن في جمهورية تركيا التي عاصمتها أنقرة.

وتعلم اللغة العربية:

ذكر الإخوة العاملون في الإدارة الدينية أن كثيراً من الناس صاروا يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ولغة الثقافة للآباء والأجداد. حتى صاروا يقدرون بعشرات الآلاف.

واستشهدوا بشاهد واحد هو مدرسة تعاونية تسمى مدرسة (صبا) تضم (٤٥) ألف شخص يتعلمون فيها العربية في أوقات متفرقة في النهار حسبما تسمح به أوقاتهم ويقولون: إن المشكلة الأولى التي تواجههم أنه لا توجد كتب كافية للناس إذْ صار الناس يتخطفون الكتب التي تصدر منهم أو من غيرهم ليرووا عطشهم إلى اللغة العربية وإلى الدين الإسلامي الذي حرموا من تعلمه وتعليمه عشرات السنين.

وقد رأينا في قسم الإعلام هذا مجلات وكتبًا تعلم العربية بلغتهم ، وأخرى تعلم الحروف العربية التي قرروها للغتهم الأوزبكية.

المطبعة:

عادوا بالحديث إلى المطبعة التي يحتاجونها لسد حاجاتهم لطبع الكتب الدينية المهمة وأرونا المكان الذي بنوه وخصصوه للمطبعة فأخبرناهم بأن رابطة العالم الإسلامي تسعى لإرسال هذه المطبعة إليهم هدية منها ومن إخوانهم في المملكة العربية السعودية وأنها قطعت شوطًا في ذلك إلا أن الأمر يحتاج من الناحية الفنية إلى بعض الوقت.

واسترحنا على عرض شريط تلفازي ملون شاهدنا فيه كيفية وصول الدفعة الأولى من المصاحف التي أهدتها المملكة العربية السعودية إلى المسلمين في الإتحاد السوفيتي وكانت مناظر وصولها إلى طشقند مؤثرة للغاية بحيث كان في استقبال الطائرات التي هبطت بها كبار الرسميين من رجال الإدارة وأعضاء الحزب الشيوعي الذين كانوا يتظاهرون أنهم ملحدون وينفذون سياسة الإلحاد الشيوعية في السابق.

وهم الآن خرجوا لاستقبال المصاحف إما بدافع وطني لأنها تدل على الأمجاد الوطنية الثقافية العريقة في البلاد، أو من أجل مجاملة الناخبين المسلمين الذين أخذوا يحسبون لأصواتهم ألف حساب . حيث صار الناس أحراراً في التصويت لمن يشاؤون أن يمثلهم في البرلمان.

أو لأمر آخر ذكره أصحابنا المشايخ هنا وهو أن بعض رجال الحكم والإدارة وإن تظاهروا بالشيوعية فإن بعضهم يكتم إيمانه وقد فرح بهذه المناسبة التي مكنته من أن يعبر عن ذلك من دون أن يفقد مركزه.

وكان في استقبال المصاحف حشد من أئمة المساجد والمشايخ إلى جانب أعداد غفيرة من الناس الذين كانوا يتخاطفون المصاحف والدموع تنهمر من أعينهم.

معهد الإمام البخاري:

مررنا بقبر القفال الشاشي الموجود داخل بناء عال في ساحة من الإدارة الدينية مقابلة لمعهد الإمام البخاري ولم ندخله كما فعلنا في المرة السابقة . ولم يطلب منا الشيخ محمد صادق ذلك. ولم يفتح أحد الباب للدخول إليه.

وقد مات الإمام الشاشي المدفون في هذا القبر عام ٣٦٦ هـ .

ثم توجهنا إلى (معهد الإمام البخاري) ونحن نتجول على أقدامنا لأننا كنا نسير داخل المباني الملحقة بالإدارة الدينية التي تزينها الأبنية الإسلامية المهمة المبنية على الطراز الإسلامي المحلي ، وتنتشر فيها الأشجار العادية– نسبة إلى عاد لقدمها – وهي أشجار معمرة من أشجار (الدلب) وقفنا عند واحدة منها ليست عالية جداً ولا ضخمة وإن

كانت كبيرة فذكروا أن تاريخ غرسها مكتوب بأنه قد مضى عليه مائتا سنة. وذكروا أنه توجد في بلادهم في غير هذا المكان أشجار منها أشجار الدلب هذه عمرها ألف عام . وذكرت بهذه المناسبة أنني قد رأيت في مدينة دربند في بلاد الداغستان شجرة من أشجار الدلب مكتوباً عليها عمرها في لوحة معلقة بها وهو أكثر من أربعمائة سنة بقليل.

ويدخل إلى معهد الإمام البخاري مع حديقة مزهرة عامرة بأشجار الفاكهة المثمرة لأن هذا الوقت من السنة هو وقت الصيف الذي تزدهر فيه الأزهار وتكثر الثمار على الأشجار.

وقد شاهدنا في حديقة المعهد أشجار الفاكهة المتميزة بالمقدار والجودة من العنب والخوخ والمشمش وهي كلها مثقلة بالثمار.

وحضر أساتذة المعهد وبعض طلابه يسلمون ويحتفون. وبعض الأساتذة يذكروننا بالزيارة الأولى لمعهدهم هذا قبل أربع سنوات وكلهم يعرف العربية ويتكلم بها معنا. وقد قفز عدد الطلاب في المعهد من ٥٢ إلى أكثر من مائة الآن، ممالم يكن ممكناً في الأعوام السابقة حيث كانت السلطات الشيوعية على أعلى المستويات تمنع من زيادة طلاب المعهد على مدى السنوات الماضية كرهاً في التعليم الديني وهي تزعم أنها سمحت لهذا العدد الضئيل من الطلاب في المعهد في السنوات السالفة من أجل تخريج أئمة للمساجد في الإتحاد السوفيتي كله إذ لا يوجد في طول البلاد وعرضها التي يبلغ عدد المسلمين فيها خمسين مليون نسمة أو يزيد سوى هذا المعهد إلا مدرسة (مير عرب) في بخارى التي كان عدد طلابها لا يزيد على ستين طالباً.

على مائدة الإدارة:

بلغت الساعة الواحدة فدعونا إلى طعام الغداء في مقر الإدارة الدينية فكان ذلك في قاعة مستطيلة لم ندخلها من قبل.

ووجدنا مقدمات المائدة من الفاكهة والأشربة الغازية والمياه المعدنية والخبز الوطني موضوعة على المائدة.

وكانت الغرابة في سقف الغرفة إذ بناؤها قديم من الآجر الخالي من الحديد بطبيعة الحال إذ كان قبل معرفة البناء المسلح ولكنه كان معقوداً بالآجر المتقن بحيث كان السقف كله ومداخله ومماراته خالياً من الخشب وإنما هو عقود بالآجر على هيئة قباب صغيرة متصل بعضها ببعض.

وقد طليت بطلاء أخضر ، وزينت بنقوش إسلامية عريقة من الداخل. وكانت المائدة ممتدة حافلة حضرها معنا عدد من الزوار المسلمين منهم الدكتور حسن عبدالله كامل مدير بنوك «البركة» ومن أشهر رجال الأعمال السعوديين ، والأستاذ إبراهيم زيد الكيلاني من الأردن.

وقد جاءت أطباق المائدة الشهية تتقدمها أواني الحساء التركستاني الشهير الذي جعلت فيه الشعيرية مع لحم الغنم الدسم يكون مقدمة للطعام في العادة .

الصلاة في مسجد تلاشيخ:

انصرفنا بعد الغداء مع الضيوف والمضيفين إلى مسجد (تلاشيخ)

المقابل للإدارة الدينية بعد أن التقطت الصور التذكارية فأدى الجميع صلاة الظهر فيه.

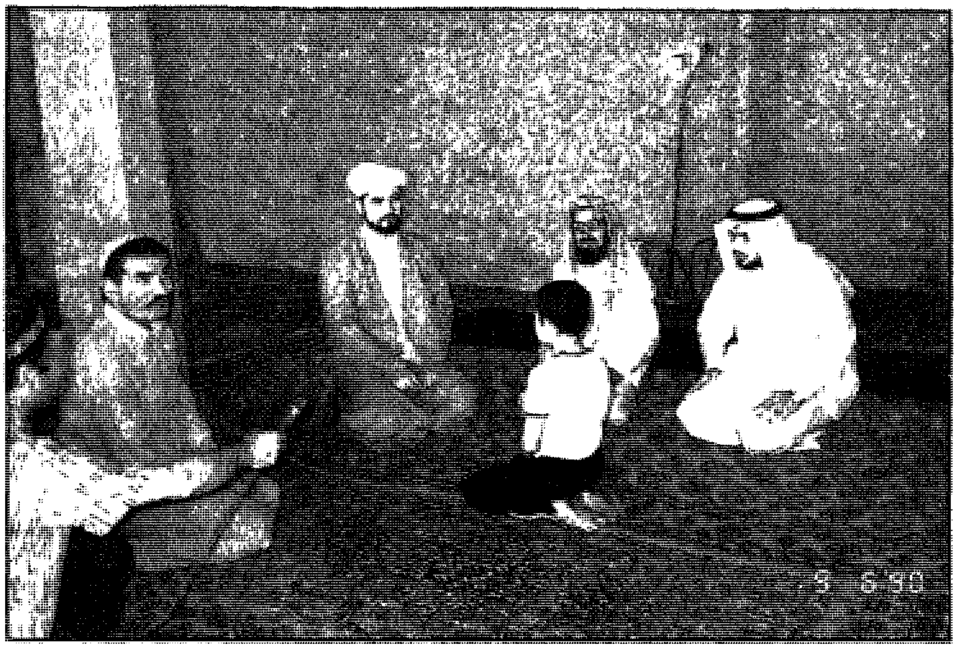
وكان مما استرعى انتباهنا فيه شيئان : أولهما : وصول عدد من الأزواج الذين جاءوا لعقد الزواج في المسجد زواجًا شرعيًا بعد أن كانوا قد أنهوا الإجراءات المدنية القانونية لذلك.

وكان إمام المسجد قد جلس إلى مكتب في غرفة خاصة في المسجد يدخل عليه فيها الأزواج زوجين زوجين عليه ومع كل زوجين شخص أو شخصان من الأقارب فيجرى لهم العقد الشرعي ثم يخرجان فيدخل غيرهما.

وكل المتزوجين الذين رأيناهم هم من الشبان وقد يكون هذا طبيعيًا في الأحوال المعتادة، ولكن يحدث في بعض الأحيان حتى في البلدان التي تحرم الطلاق أن يتزوج اثنان من الكبار.

وربما كان سبب كثرة الزواج أن اليوم هو يوم السبت الذي يعتبر نصفه عطله رسمية وبعض الجهات تعمل فيه كله ولكن مساءه واليوم بعده الذي هو يوم الأحد يكون كله عطلة.

وثانيهما: أننا رأينا في المسجد عددًا من الأطفال يتعلمون القرآن الكريم تلاوة وحفظًا وكانوا كلهم دون الثانية عشرة من العمر وبعضهم لا يزيد عمره على سبع سنين ولم يكن عددهم كبيرًا ولكنهم ذكروا أنهم يكثرون بعد ذلك.



استماع القرآن الكريم من أحد التلاميذ في مسجد تلاشيخ الذى افتتح من جديد

فتلا بعضهم علينا آيات كريمة تلاوة متوسطة كان سببها حداثة عهدهم بدراسة القرآن لأنها كانت محرمة إبان الطغيان الشيوعي الإلحادي.

الجولة على المساجد:

للمساجد في البلدان الشيوعية وضع في نفوس المسلمين غير ما للمساجد من وضع في بلاد الأكثريات المسلمة أو بلاد الأقليات المسلمة الحرة، فهي تدل في البلدان الشيوعية على أن الهوس الإلحادي الشيوعي قد خف، وأن المسلمين بدأوا يتنفسون الصعداء، بعد ليالٍ طويلة سود من العسف والظلم في مصادرة المساجد، ومنع المسلمين من

أداء العبادة فيها، بل من تخريبها وتدميرها ومنع المسلمين من العبادة جهرًا خارجها.

والآن فإن الحال التي عليها المسلمون في الإتحاد السوفيتي هي حالة انفراج حقيقية وإن لم تكن كاملة. فقد اتيحت أمامهم فرصة استعادة مساجدهم القديمة، وبناء مساجد جديدة، وتلك نعمة لم يحصل عليها آباؤهم ولا حتى أجدادهم الأدنون الذين عاشوا تحت ظلام الشيوعية.



اللقاء الودي مع المسلمين الذين هم يباشرون لبناء المسجد الجديد في ضواحى مدينة طشقند. (جمهورية أوزبكستان)

لذلك سارعوا إلى بناء المساجد رغم قلة ذات اليد وتحديد الدخول، وقلة مواد البناء، وأحيانًا انعدامها في السوق. إلا أنهم صاروا يجدون

من رجال الإدارة الحكومية التي كانت في الأصل إدارة شيوعية ملحدة، من هو مؤمن يكتم إيمانه ، أو هو وطني يريد إبراز مزايا وطنه وخصائصه فيسهلون لهم أو لبعضهم ما صعب الحصول عليه من المواد ، أو يسهلون الحصول على الرخص الإدارية.ولهذا السبب اعتنيت بزيارة المساجد الجديدة ، والمساجد المستعادة وشجعنا القائمين عليها ودعونا لهم وقدمنا لهم تبرعات من رابطة العالم الإسلامي ليست كبيرة عندنا ولكنها كبيرة عندهم بسبب قلة الدخول في بلادهم، ولم أتكلم كثيرًا عن الأمور العامة في هذه المدينة لأنني سبق أن تكلمت على بعضها في رحلتي الماضية وذكرت ذلك في كتاب : «في بلاد المسلمين المنسيين : بخاري وماوراء النهر».

اللباس في طشقند:

خرج الموكب من الإدارة الدينية مخترقاً شوارع طشقند القديمة التي لا يزال بعضها محتفظًا بطابعه القديم. ثم مر بشارع رئيسي من الشوارع الحديثة التي لا طابع لها.وكان أكثر ما يلتقطه النظر رؤية نساء المسلمين وعليهن القمص الطويلة (الفساتين) المصنوعة من الحرير الطبيعي (القز) الذي تنتجه هذه البلاد بكثرة. ويكون القميص إلى ما دون الركبة بقليل وكماه قصيران فهو لباس غير محتشم إضافة إلى كونه من الحرير الطبيعي الملون الذي يبرز الإغراء في المرأة وتقتصر النساء على هذا القميص فليس على الرأس شيء إلا ما كان من منديل صغير على رؤوس القلة منهن.

وأما الرجال فإن لباسهم هو الأفرنجي المعتاد إلا أنهم يضعون على

الرأس (طاقية) مربعة الأعلى منقوشة بنقش خاص يريدون بذلك أن يثبتوا لهم شعارًا خاصاً بهم ولا يلبسها إلا المسلمون.



أمام أحد المساجد الجديدة في ضواحي طشقند

مسجد تخته باي:

وقف الموكب عند مسجد يسمي «تخته باي» يقع في محلة ساقجي مان. وهو مسجد قديم يرجع بناؤه الحالى إلى عام ١٨٩٠م ولكن الحكم الشيوعي صادره واستعمله الشيوعيون مستودعاً للمشروبات ، ثم استعاده المسلمون في أواخر العام الماضي ١٩٨٩م. وجدنا في الاستقبال متولي المسجد أي رئيس الجمعية التي تقوم على إصلاحه وترميمه وهو الأخ (عبد الرحمن بن خال محمد). وملحق به في غرفة قديمة البناء مدرسة إسلامية افتتحت منذ عهد قريب بعد استعادته فيها

أكثر قليلاً من مائة من أبناء المسلمين من الذكور ومائة وخمسون من الإناث كلهم يتعلمون القرآن الكريم. ووجدناهم وضعوا الفواكه المحلية من المشمش والكرز والخوخ ومعها الزبيب وأنواع من الخبز اليابس الذي لا يضره اليبس في غرفة من الغرف فلم نلبث فيه طويلاً، وإنما قدمنا إليهم تبرعاً من رابطة العالم الإسلامي بعضه خاص بالمسجد وبعضه للمدرسة وأخبرناهم بأننا سنسلمه للإدارة المالية بالدولار وهي تسلمه لهم بالعملة المحلية.

ومسجد يونس آباد:

ومن مسجد (تختـه باي) انتقلنا لرؤية مسجد يونس آباد وبعضهم يسميه الجامع الكبير ويقع على الطريق المؤدي من طشقند إلى فرغانة في ضاحية من ضواحي طشقند. وأخبرنا أهل المسجد وكرروا القول بأن هذا الطريق هو طريق الحرير القديم المشهور الذي يمتد مابين الصين إلى البلدان الإسلامية ثم أوروبا.

والحي الذي يقع فيه اسمه (جيمكنت كوجاس)

وقد منحتهم الحكومة الاوزبكية الحاضرة أرضاً واسعة بجانبه لكي يبنوا المسجد بناء واسعاً. استقبلنا فيه المتولي وهو رئيس جمعية المسجد كما قدمت واسمه (جوره باي بن نشاي) ويعمل مديراً لروضة أطفال. ومعه عدد من أعضاء الجمعية أخبرونا بأنهم يعملون في أن يبنوا المسجد كما كانت تبني المساجد القديمة في هذه البلاد بأن يكون واسعاً لاتقل مساحة المصلى فيه عن ٦٠ متراً في ٧٠ وأن يبنوا فيه مدرسة إسلامية وغرفاً للضيوف ومرافق عامة .

وذكروا أن الحكومة المحلية اعتمدت لهم مبلغ مليون روبل مساعدة على هذا المشروع العظيم وإن تكلفته ستبلغ ٧ ملايين روبل.فوعدناهم بالإسهام في بنائه منَ قبل رابطة العالم الإسلامي على أن يرسلوا لنا الأوراق المتعلقة بذلك من المخططات والتكاليف بعد أن يبنوا شيئا منه لأننا لاحظنا أنهم كانوا يعملون الآن في أساسه.

وقد رأينا الأرض التي منحتهم الحكومة وهي مليئة بأشجار الفاكهة المثمرة من الخوخ والمشمش والتوت وبعض الأشجار الضخمة كالدلب.

مسجد كلال تورغان:

وهو مسجد ليس بالكبير كان يصلى فيه فصادره الشيوعيون قبل ٤٠ سنة واستعملوه مدرسة للأطفال إلى أن استعاده المسلمون قبل سنتين. وتصلى فيه الآن الصلوات الخمس ولا يجمَّع فيه أي لا تصلى فيه صلاة الجمعة.

ويقع في حي إسلامي بمعنى أن سكانه حتى الآن لايزالون من المسلمين ، بخلاف بعض الأحياء في مدينة طشقند التي زاحم فيها الأوربيون من الروس والأكرانيين أهالي البلاد المسلمين على السكن.

ومعظم البيوت في هذا الحي مثل سائر الأحياء القديمة مبنية من الطين ماعدا أساساتها فإنها من الآجر ، وذلك من أجل ألا تؤثر الرطوبة في الشتاء وبخاصة أيام نزول الثلج ولبثه في الأرض لمدة طويلة على المنزل. وشوارعه ضيقة لكنه حي جميل في نظري ، وفيه ما يود السائح المسلم أن يراه بخلاف شوارع طشقند الحديثة التي لا تعدو أن تكون

نسخة من شوارع موجودة في الأقسام الحديثة من المدن الأوروبية ، بل وغير الأوروبية مما ليس له طابع قديم متميز. وقد ذكر لنا إمام المسجد «حاجي عوض خان بن فيدر» : أن المصلين في المسجد يتراوح عددهم ما بين ٤٠ و٦٠ وذلك في أوقات الصلوات الخمس.

ريف طشقند:

سلك الموكب طريقاً يمر بضواح من طشقند يسمونه الطريق الدائري وهو لا يتسع لأكثر من سيارتين في كل اتجاه وقد تذكرت في نفسي الطريق الدائري لمدينة الرياض الذي لا يضاهى بل ربمايقل نظيره إن لم نقل يعدم نظيره في البلدان الشيوعية، بل ذكرت الطريق الدائري لمدينة بريدة مسقط رأسي، وكيف أن ذلك الطريق يتسع لثلاث سيارات مع أكتاف تتسع لسيارتين وفيه وحده من الجسور مايساوي كل ما في مدينة طشقند هذه عدة أضعاف مع أن بريدة عاصمة إقليمية فهي عاصمة منطقة القصيم ولا يزيد سكانها على مائتي ألف على وجه التقدير إذْ لا توجد إحصاءات رسمية لعدد السكان فيها.

وأما طشقند هذه فإنها عاصمة جمهورية اتحادية من تلك الجمهوريات التي يسمونها مستقلة، وهي التي تكون لها حدود مع دولة أجنبية عن الاتحاد السوفيتي، أما الجمهوريات التي لا تكون لها حدود مع دولة أجنبية مثل جمهوريتى بشكيريا وتتارستان من الجمهوريات المسلمة فإنهم لا يسمونها اتحادية ولا مستقلة وإنما يسمونها جمهوريات ذات حكم ذاتي.

مع أن الاستقلال هنا لفظي والاتحاد صوري وإنما الواقع أن الجمهوريات في الإتحاد السوفيتي أشبه ماتكون بالمقاطعات والمناطق في المملكة إلا في أمور محلية تافهة.

ومدينة طشقند نفسها من المدن الكبيرة فسكانها يقارب عددهم ثلاثة ملايين نسمة ومع ذلك فإن هذا الطريق الدائري فيها أشبه مايكون بشارع معتاد من الشوارع غير الرئيسية في بلادنا.

وأجمل مافي هذا الطريق الدائري الأشجار الضخمة الوارفة الظلال التي تحيط به وتماشيه، ومن الدائري هذا خرجنا إلى (ريف طشقند) كما أخبرونا به وإن كنا رجعنا من جهة من الجهات إلى بيوت ريفية متصلة بالمدينة أشبه ما تكون بالضاحية لها، وأهم ما يميز المنطقة أن السكان قد غرسوا أشجار الفاكهة في الأماكن الخالية الضيقة أمام بيوتهم،لأنها كلها لهم بمعنى أنهم يستطيعون استغلالها بخلاف الأراضي الزراعية المعتادة فإن ملكية الجمهور لها محدودة بحدود ضيقة صارمة والبقية من الأرض ملك الدولة ، وإن كانت الدولة تعطي الجمعيات التعاونية والمجمعات الزراعية التي يسمونها (كولخوز) أراضي واسعة ليستغلها المزارعون بشكل جماعي ويؤدوا للدولة جزءاً من غلتها أو خراجها.

الأرض الزراعية للإدارة الدينية:

كان الهدف من خروجنا إلى هذه المنطقة هو رؤية الأرض الزراعية التي أعطتها الحكومة حكومة أوزبكستان للإدارة الدينية لتستغلها وتستعمل ماتنتجه في المشروعات الإسلامية.وتقع على بعد ١٠ كيلو

مترات من المدينة، وكلها في منطقة ريفية خالصة تنقطع عندها البيوت السكنية المعتادة.

وهي واسعة تبلغ مساحتها ٨٤ هكتارًا وفيها عدد من البيوت التي يسكنها العمال وعدد من السيارات وجرار زراعي واحد.

وكانت كولخوزًا من الكولخوزات التي ذكرناها. ومعظم الكولخوزات فاشلة من الناحية الإنتاجية فلا تستفيد الدولة منها عائدًا يذكر، حتى السيارات والآلات التي يقترضونها من الدولة على اعتبار أنهم يعيدون قيمتها بعضها غير صالح لم يتمكن القائمون على هذا الكولخوز الذي يصح أن يترجم إلى (المزرعة الجماعية) أن يصلحوه لآن المطلوب أن يعيش منه القائمون على هذه المزرعة مع أسرهم وأن يحصلوا من غلته مايسددون به قروضهم للدولة وما يوزعونه من أرباح عليهم ولكن ذلك لا يمكن الوصول إليه في كثير من الأحوال.

لذلك بدأت الحكومة باعادة النظر في هذه المزارع الجماعية (الكولخوزات) وهذه من اللغة الروسية وهي تقصد من ذلك تخفيف العبء عليها، من أجل زيادة الإنتاج. لأنه اتضح أن الأراضي الزراعية الصغيرة الضيقة المخصصة للأفراد الذين يزرعونها ، وينتفعون بما تنتجه هي التي تنتج أكبر عائد زراعي بالنسبة إلى رقعة الأراضي.

وفي مثل هذه الأرض التي نراها الآن فإن الحكومة إذا اعطتها الإدارة الدينية تهدف إلى شيئين :

أولها: كسب ود المواطنين الذين تحتاج إليهم في الانتخابات المقبلة.

وثانيهما: التخلص من مشروع يعتبر فاشلاً . ولذلك منحت الحكومة ٨٢٦ ألف روبل للإدارة الدينية مساعدة مالية منها على تعمير هذه الأرض والعمل على أن تصبح منتجة مفيدة.

وتقع في منطقة ريفية خصبة جداً غير بعيدة من نهر صغير تجاوزناه قبل الوصول إليها ذكروا أنها تسقى من قناة زراعية تأتي من النهر إلى المنطقة،

وجدنا فيها رئيس العمال أظنه قال اسمه (عوض بن حيدرخان) بكى عندما رآنا تأثراً مما أصبحت عليه حاله وهو يحمد الله ويشكره . وقال : في السابق كان المهيمنون على هذه المزرعة هم الشيوعيين والآن إخواننا المسلمون المفتي ورفقاؤه من المشايخ. وقال موجهاً كلامه للمفتي: الآن ولله الحمد نحن نخدمكم نخدم الإسلام والمسلمين، وذكر أن عدد الفلاحين في المزرعة يبلغ ٤١ عاملاً وقد زاد دخلهم عما كان عليه إبان سيطرة الشيوعيين عليها.

وأذكر أن هؤلاء الفلاحين ليسوا عمالاً أجراء كما هو معروف عندنا وإنما لكل واحد منهم قطعة من هذه الأرض يزرعها بنفسه وله نسبة من دخلها إلى جانب راتب يتسلمه من إدارة المزرعة. مع العلم بأن رواتبهم ورواتب الناس هنا ضئيلة ، وأقيام المنتجات الزراعية زادت. وذكروا أن من أهم غلاتها البصل والثوم والبطاطس والطماطم والكرنب وفيها أشجار تفاح مثمرة وكلها تباع في طشقند القريبة . وعندهم مشروع لتعليب الفاكهة وتعبئة العسل.

أما الآليات والمعدات التي فيها فقد حددوها لي عندما طلبت منهم ذلك بأنها سيارة نقل واحدة وشاحنتان طويلتان و٣ جرارات وسيارة (جيب) واحدة وقد أرونا بفخر واعتزاز مسجدًا أنشأوه في هذه المزرعة ليصلوا فيه جماعة وفصلاً دراسيًا لتربية أطفالهم تربية إسلامية أي لتعليمهم أمور دينهم. وكان هدف الإخوة المسلمين هنا وبخاصة مدير الإدارة الدينية الشيخ محمد صادق بن محمد بن يوسف من اطلاعنا على هذه المزرعة أن نبحث له عن مستثمرين يتعاونون معه على استثمارها أو أن نجد له من يقرضهم قرضًا يمكنهم من استيراد ماقد يحتاجونه لهذه الأرض مما يزيد انتاجها، إلى جانب غرض آخر أهم من ذلك وإن كان معنويًا وهو اطلاعنا على تغير الأحوال إلى الأحسن بالنسبة للإسلام والمسلمين بحمد الله. حيث لم يكن القائمون على الإدارة الدينية يحلمون بأن يحصلوا على مثل هذه المزرعة الجماعية التي كانت تدار في السابق، بل وتجري كل أمورها على مبدأ مادي إلحادي أثبت الآن فشله ولله الحمد..

وقد دفعنا لهم صكًا بمبلغ خمسين ألف دولار أمريكي وهو قرض من هيئة الإغاثة الإسلامية التابعة لرابطة العالم الإسلامي من أجل أن يطوروا الإنتاج فيها ويدفع هذا القرض الذي هو بدون فوائد من غلة الأرض على أقساط مريحة.

مسجد اون قورغان:

انصرفنا من المزرعة التي يسمونها الإسلامية بمعنى أن الإدارة الدينية تقوم عليها وهي تسمية في محلها إذا كانت في مقابل مزرعة

الكولخوز الشيوعية التي تقوم على الإلحاد إلى منطقة ريفية من ضواحي طشقند لزيارة مسجد جديد هناك اسمه (مسجد اون قورغان) ومعناها حصن العشرة أو قلعة العشرة فأون: عشرة ، وقورغان تعني قلعة أوحصنا . واسمه من اسم المحلة التي يتبع فيها وهي محلة (اون قورغان)، وهو مسجد جديد كلياً بمعنى أنه ليس مسجداً قديماً أو مسجداً مستعاداً من المساجد التي كان الشيوعيون قد استولوا عليها في الماضي وهم الآن يعيدونها للمسلمين.

ويبنونه من لبن الآجر العريض وعمده بالاسمنت المسلح وكذلك قواعد أساسه من الاسمنت المسلح القوي.وتبعد المحلة هذه اثنى عشر كيلو متراً من طشقند.

من عجائب صنع الله:

وجدنا في المسجد رئيس جمعية المسجد ويسمونه هنا (المتولي) وتكون الجمعية عادة عشرين شخصاً أو أكثر هكذا القانون هنا واسمه (مرادجان بن زاهد) وهو فلاح مسن متقاعد الآن عن العمل ومع ذلك يعمل بفخر وإعتزاز في المسجد.

ومن عجيب صنع الله تعالى الذى قذف رعباً غير منظور للبشر في قلوب الشيوعيين الملحدين. أن أرض هذا المسجد هي هبة من (كلخوز) مجاور اسمه (كومنست كولخوز) أي المزرعة الجماعية الشيوعية.

ما أن عرف القائمون عليه وهم من أبناء المسلمين الذين كانوا يعدون من الشيوعيين بأنه يمكنهم أن يعودوا إلى دينهم حتى بادروا بإعطاء

هذه الأرض التي تبلغ مساحتها هكتارًا واحدًا للجمعية الإسلامية التي تألفت لغرض بناء المسجد، وبادرت للبدء في ذلك .

وقد تم بناء بعض حيطان المسجد الآن ولم يسقف لأنهم بدأوا به قريبًا. وقد أعجبتني أشجار الفاكهة النضرة المزدهرة في حديقة أرض المسجد التى ينوون ابقائها حديقة له . وقد أثقلت الثمار أشجار هذه الفاكهة، وذكر لنا الإخوة من أهل المسجد الذين تجمع بعضهم عندنا مع أطفال المسلمين بأنهم ينتفعون من بيع ثمار الفاكهة هذه في بناء المسجد.

وقلت في نفسي ولأصحابي ماكانوا يريدون أن يقولوه لي وهو من الذي يتصور أن الشيوعيين الذين كانوا لا يصبرون على وجود المساجد القائمة وإنما يعملون على هدمها أو مصادرتها سوف يعطون الأرض بدون ثمن للمسلمين الذين يبنون عليها مسجدًا. وكان الجواب : أن الله على كل شيء قدير ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون**﴾.

وقد أعطيناهم ثلاثة آلاف دولار أمريكي اسهامًا من الرابطة في بناء هذا المسجد وهذا مبلغ على ضآءلته بالنسبة إلى الدخول عندنا هو جيد بالنسبة إلى مستوى الدخل وأقيام السلع في هذه البلاد وبالنسبة إلى أقيام المواد التي تلزم لبناء المسجد.

مسجد الجوز الكثير:

عدنا إلى طشقند مع ضواح متلاصقة البيوت حتى وقفنا في حي اسمه (بدم زار) ومعناه الجوز الكثير. لأن (بدم) في اللغة الازبكية معناها جوز، و(زار) كثير وذلك لزيارة مسجد كبير كان مشهورًا عرف

(بمسجد ميرزا يوسف) وقد صادره الشيوعيون واستعملوه لأغراض مختلفة حتى خرب وكاد يتهدم ثم استعاده المسلمون وقرروا هدم بقيته لأنه غير صالح للاستعمال. وقد شاهدنا أرض المسجد ولم يبق منه شيء إلا منارة عريضة كانت مبنية منفصلة عنه في فنائه فهي التي بقيت سليمة وقد جدد المسلمون طلاءها بطلاء أخضر وأبيض. وهو مسجد ذو أهمية تاريخية إلى جانب أهميته الدينية من كونه يقع في حي مزدحم بالسكان يقطن فيه مسلمون وروس.

وقد بحثنا عن رئيس جمعية المسجد التي تقوم على إعادة بنائه واسمه (إسماعيل اكا)وكذلك إمامه الذي يصلي بالمسلمين الآن في بناء منخفض بجانبه وهو الشيخ (عبد القادر بن ديدار) فقد كانا غائبين . وكنت أود رؤيتهما للحصول على مزيد من المعلومات المتعلقة بالمسجد وحالة المسلمين في هذا الحي حي الجوز الكثير أو(بدم زار) وكذلك من أجل دفع مساعدة مالية على بناء المسجد.

وقد وقفنا ملياً في أرض المسجد نتأمل المنطقة ومنها أبنية كبيرة (عمارات عالية) ضخمة كانت الحكومة قد بنتها لسائر الناس وفي هذه العمارة بالذات نسبة كبيرة من الروس غير المسلمين. وهي أبنية معتادة من الاسمنت المسلح ذكر لنا الإخوة المسلمون المرافقون أن السكن فيها هو عذاب عاجل لأنها باردة في الشتاء حين تهبط درجة البرودة إلى ٢٠ تحت الصفر وهي حارة في الصيف حين ترتفع الحرارة إلى ٤٠ درجة مئوية.وكنا نحس بالحر الشديد سواء من حرارة الشمس أو من حرارة الجو إلا إذا تحرك الهواء فإنه يكون طيباً لأنه خال من الرطوبة

ومن السموم . ومن المعلوم أن الشقق السكنية لا يكون فيها تكييف في هذه البلاد. وعلى ذكر الروس وسكناهم في منازل حكومية مثل هذه ذكر لنا الإخوة أنهم لا يملكون في العادة بيوتًا منفردة مثل الأهالي الذين ورثوا تلك البيوت من آبائهم ، أو بنوها في أراضيهم الصغيرة الخاصة بهم لأن أكثر الروس هؤلاء هم من الموظفين والفنيين في الدوائرالحكومية وفي المصانع ونحوها وليسوا من المزارعين لأن الشيوعية لا تجيز ملك الأراضي للاستغلال التجاري.

فقلنا : إن هذا مما يجعلهم يسرعون بالفرارمن هذه البلاد إذا أحسوا بأدنى خطر عليهم أو حتى إذا أحسوا بأن وجودهم غير مرغوب فيه، أو إذا ارتفع مستوى المعيشة في بلادهم الأصلية التي هي جمهورية روسيا الإتحادية.

وبذلك يزول التهديد الذي يخشاه المسلمون من بقاء الروس والأوكرانيين وغيرهم من الأوروبيين المسيحيين واستيطانهم في هذه البلاد . ولله سبحانه لطف في كل ضعف.

يوم الأحد ١٤١٠/١١/١٧هـ .

صباح طشقندي:

كان صباح طشقند هذا اليوم نديًا طريًا خلاف العادة فقد نمت دون مكيف ، وذلك لأنه كان قد نزل مطر البارحة خفف من أثر الحر الشديد الذي شعرنا به في النهار.

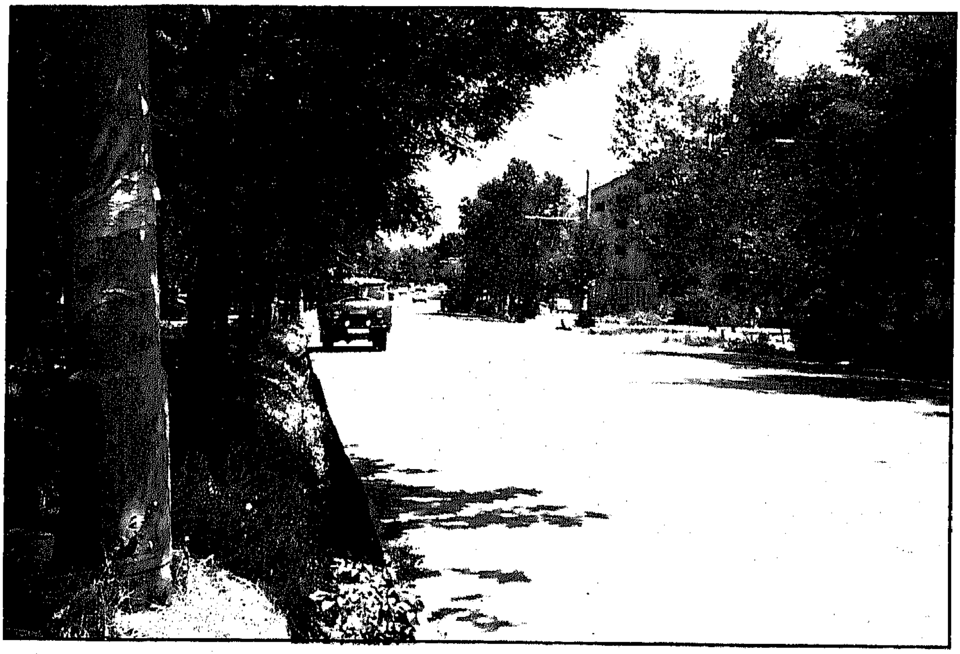
وكانت الإطلالة من النافذة على الحدائق الغناء التي تواجه الفندق بعد ميدان تتسع أمامه وقد اخضرت الأشجار وتفتحت الأزهار.

وكان الناس من رجال ونساء قد بدأوا الذهاب إلى أعمالهم راجلين على قلة الأماكن السكنية المزدحمة في منطقة الفندق.وكانت النساء الاوزبكيات وإن شئت الدقة قلت التركستانيات أو البخاريات قد خرجن بثياب خفيفات هي القمص من الحرير الطبيعي الملون الذي تنتجه بلادهن وتشتهر به أكثر من بقية الجمهوريات المجاورة.

وكان الإفطار السخي الجيد في مطعم فندقنا فندق اوزبكستان مع الأخ الكريم الشيخ عباد الله بن الشيخ كلان أحد المرافقين لوفدنا في زيارتنا لأكثر جمهوريات آسيا الوسطى.

وينبغي أن تعلم أن اسمه الأول (عباد الله) ينطق به بتخفيف الباء أي على لفظ (عباد) جمع عبد، أما اسم والده (كلان) فإن معناه كبير بالفارسية وقد جاءته هذه الفارسية من كونه من أهل تاجيكستان التي يتكلم الناس فيها اللغة الفارسية أو لهجة متفرعة منها.

ثم اخترقنا شوارع طشقند التي تبدو لنا كأنما هي تبتسم للأيام البيض التي تعيشها فيها أمة الإسلام وترجو أن تكون أيام الإسلام فيها في المستقبل أكثر إشراقا، بل إنها تتمنى كما رأينا أهلها من العلماء الأفاضل يطمحون أن يعود بعض مجدها العلمي التليد الذي جعلها تنشر العلم خارج بلادها بعد أن فاضت بلادها بالعلم والعلماء في جميع الفنون.



شارع في إحدى ضواحي طشقند

ولم يكدر ابتسام الشوارع الخضر إلا اسم شارع رئيسي دخلناه قبل الوصول إلى المطار لأنه روسي سمي على اسم أحد القادة العسكريين الروس الذين قدموا لقومهم عملا عسكريًا استجادوه.

وقال أحد الإخوة بهذه المناسبة: لِمَ لم يسموا باسمه أحد شوارع موسكو؟ أما شوارعنا في بلادنا فإنها جديرة بأن تطلق عليها أسماء أبطالنا الشجعان.

إلى خوارزم

زيارة (خوارزم) كانت أمنية قديمة كنت أتمنى تحقيقها ولو في الأحلام وهاهي اليوم تتحقق ولله الحمد.

وذلك أنني منذ أول عهدي بالقراءة ومراجعة الكتب في صغري اقرأ مؤلفات أهل خوارزم الأعلام من علماء الإسلام، من المفسرين والمحدثين والفقهاء والصالحين إلى الشعراء والبلغاء والنبغاء في كل فن من فنون الكلام.

وكنت منذ حداثة سني مولعًا بكتب الرجال وطبقات الأعيان حتى أنني كتبت بخطي بعضها قبل أن يطبع مثل (طبقات الحنابلة) لابن رجب التي تقع في مجلدين كبيرين فكانت النسبة إلى خوارزم تقرع سمعي وتخالط ذهني مثلما كانت عليه أخواتها من مدن هذه البلاد التاريخية كبخارى وسمرقند والشاش وخوقند.

ولذلك خيل إلـيّ أن زيارة هذه البلاد إنما هي بمثابة بعث في ذاكرتي لتلك الأمجاد الإسلامية التي كانت مسرحًا لها بل كان أهلها هم أهلها وناهيك بأبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتاب الجبر والمقابلة الذي ظل المرجع الوحيد المعتمد لأهل أوروبا في ذلك الفن مئات من السنين وهو الذي قاس أبعاد الأرض للخليفة المأمون.

وهذه البلاد الخوارزمية كانت مسرحًا لأحداث عظام، بل جسام في تاريخ الإسلام إبان أن خرج الهمج من المغول إلى أزهى بلاد الدنيا وأحفلها بأهل العلوم من منقول ومعقول .. فكان أن أعمل المغول فيها تدميرًا وتكسيرًا وفي أهلها تنكيلاً وتقتيلاً حتى قضوا على مدنها ومحوا بعضها من الوجود.

من طشقند إلى أوركنج:

وصلنا إلى مطار طشقند للسفر منه إلى خوارزم ، فاستقبلنا أهل المطار كما يستقبلون الضيوف الأعزاء من حملة الجوازات السياسية . ولكنهم زادونا عليهم محبة في الله . وشوقاً إلى رؤية جيران رسول الله ﷺ الذين يراهم بعضهم لأول مرة في حياته.

ولم يكن معي في هذه الرحلة إلى خوارزم إلا الأخ رحمة الله بن عناية الله، أما الأخ الزميل في الوفد حاتم قاضى فقد رأى هو والصحفي الأستاذ أيمن حبيب أن رؤية سمرقند أحب إليهما من زيارة خوارزم لكونهما لم يريا سمرقند من قبل أما أنا والأخ رحمة الله فقد زرنا سمرقند في المرة الماضية على أن نلتقي جميعاً في بخارى بعد ذلك إن شاء الله.

دخلنا من باب خاص في المطاروأجلسونا في غرفة كبار الزوار وذلك في انتظار وصول المفتي الشيخ محمد صادق محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان الذي أبى إلا أن يرافقني في جميع جولاتي في آسيا الوسطى رغم مشاغله الكثيرة ورغم وجود اضطرابات وقعت في مدينة أوش بين القرغيز والاوزبك وأدت إلى قتلى بين الفريقين.

وحضر المفتي وكان حضوره مع مذيعة مسلمة من التلفزة وهي التي رأيناها في الإدارة الدينية واسمها (شاهنازه) وأخبرتنا أن وصولنا إلى طشقند والحديث معنا قد أذيع البارحة من محطات الإذاعة هنا وأنه سوف يذاع الليلة من راديو موسكو ومن التلفزة المركزية هناك.

ثم حملتنا حافلة صغيرة من حافلات المطار فيها هاتف ضخم رث حتى سلم الطائرة حيث كان هناك مضيف ومضيفة أرضية ، وصعدنا قبل بقية الركاب إلى طائرة نفاثة ليست بالكبيرة ذات ثلاثة محركات نفاثة صغيرة أشبه ما تكون بطيارة دوجلاس د س ٩ إلا أنها أصغر منها.

ومما تكررت رؤيته في مطارات الاتحاد كثرة الطائرات الجائمة فيه من أحجام مختلفة ما بين كبيرة وصغيرة وبخاصة المطارات المهمة مثل مطارات موسكو ومطار طشقند هذا ولا شك في أن السبب في ذلك تباعد أطراف البلاد ، ورخص أقيام تذاكر الطيران. ولذلك كثرت مصانع الطائرات ، وتعددت مصانع إصلاحها حتى إننا نرى من هذا المكان غير بعيد من المطار مصنعًا لإصلاح الطائرات التي تحتاج إلى إصلاح. وفي داخل مدينة طشقند مصنع لطائرات النقل الضخمة.

وأشار الشيخ محمد صادق إلى ناحية من المطار قد وقفت فيها طائرات نفاثة كبيرة وقال : في هذه الطائرات وصلتنا المصاحف من جدة إلى طشقند.

ومن المعلوم أن الحكومة السعودية قد استأجرت هذه الطائرات السوفيتية لنقل المصاحف إلى الإتحاد السوفيتي لأنها الوحيدة المرخص لها بالهبوط في عواصم الجمهوريات الإسلامية وسألت الشيخ (محمد صادق) عما لاحظه الطيارون السوفيت الذين يهبطون بطائراتهم في بلادنا لأول مرة؟ فقال إن الطيارين غير المسلمين شكوا من أنهم عوملوا معاملة أقل مجاملة من الطيارين والعاملين المسلمين في تلك الطائرات من قبل الموظفين.قال: وأما المعاملة المعتادة فإنها جيدة.

عندما بدأت الطائرة تدرج علـى أرض المطار ابتدأت المضيفـة بإذاعة البيان المعتاد عن الرحلة ولكن الجديد فيـه أنها قالت قبل كلامها (السلام عليكم) وهذا السـلام الذي هو تحيـة إسلامـيـة لم يكن يسمح به من قـبل وحتى الإعـلان كان باللـغة الازبكيـة.وكان منه قـولها: أن المسـافة إلى أوركنج تبلغ ألف كيلو متر.

ولم يقـولوا في الطائرة (خـوارزم) لأن خـوارزم إقليم عـام عـاصمـتـه اوركنج التى فيهـا المطار واسمه الآن (محـافظة خـوارزم) فهو داخل فى جمهورية أوزبكستان من الناحية الإدارية.

مغادرة طشقند:

في التـاسعـة غادرت الطائرة مطار طشـقند وهو الموعد المحـدد لقيام الطائرة في الأصل دون تأخير.

وحالما نهـضت صارت تطير فوق ضـواحٍ من مدينة طشقند الكبـيرة حـيث توجد فـيهـا بيوت ذات أسـقف حمـر وبعضـهـا ذات أسـقف بيض وكلهـا مسنمـة أو ممالة إلى جهـة واحدة لـئلا يتـراكم عليهـا ثلج الشتـاء الثقيل.

والخضرة ظاهرة في المنطـقة . ذكر لي الشيخ محـمد صادق أن الثلج هذا العام أقل من المعتاد ولكن المطر كان أكثر من ذلك.

ومع هذا الخـصب الظاهر في الأرض فـإنهم يسـتوردون القـمح رغم سعـة بلادهم وكـثرة الأراضي الصـالحة للزراعـة وإنتاج الأغـذية ولكن الإدارة فيها ليست علـى المسـتوى المطلوب، ونظام الحكم الشيوعى الذي يحد من حرية التصرف والاكتساب هو الذي حد من الإنتاج.

وقرب طشقند رأينا النهر الصغير الذي تشرب منه المدينة وإن كان لا يمر بها وإنما ينساب بالقرب منها ويشق ريفاً أخضر.

وبعد فترة قصيرة من الطيران تغير المنظر من الخضرة إلى الغبرة فصرنا نطير فوق أراضٍ ذات مظهر صحراوي. ونحن الآن نتجه جهة الشمال إلى وسط آسيا الواسعة.

ثم ران غيم على الأرض بالنسبة إلى مانراه منه مالبث ان أجلى عن منظر صحراوي خالص ذكرني بمنظر الصحراء الخالصة في وسط القارة الإسترالية التي ربما لا يعرف كثير من القراء أنها في وسطها أكثر جفافاً وإن شئت قلت: أكثر صحراوية من صحرائنا العربية وإن هذه طبيعة أغلب الأراضي الإسترالية وإنما الخصب منها في أطرافها من كل الاتجاهات أي في أطراف القارة.

كما ذكرني هذا المنظر بمناظر رأيتها من الطائرة فوق صحراء (غوبي) في الصين الشعبية. وقد صار طيران الطائرة رخاء لا يحس الراكب معه أنها تطير مما جعل الركاب ينامون لا سيما أنه ليس على الأرض منظر يمكن أن يسترعى انتباههم فالطيران على ارتفاع عال والأرض صحراوية. وما رأيت مثل هدوء الطائرات السوفيتية النفاثة إذا استوت في الجو فهي أهدأ من الطائرات الأمريكية ومن الطائرة الأوروبية (ايرباص). واستمر منظر الصحراء الخالية من الجبال العالية. ولا يدرك البصر مما على الأرض إلا أشجاراً صحراوية كأشجار الطلح وإن كانت تبدو صغيرة بسبب ارتفاع الطائرة.

ولاحظت أعدادًا من السبخات وهي الأراضي الملحية التي يبدو الملح فيها على البعد كأنما هو الماء وهي أكثر ما تكون في الصحارى. وفيها إلى جانب ذلك قيعان واسعة جرداء.

وقد أحسست تحت قدمي ببرودة شديدة لا أدرى مصدرها ولم يكن في الطائرة صمامات للهواء أوالتبريد أو التدفئة. وإنما كانت التدفئة مفاتيحها في أماكن في مقدمة الطائرة. كذلك لم يكن فيها مافى الطائرات النفاثة العالمية ومنها بلادنا من أقنعة للأوكسجين ولا حتى تعليمات في كيفية التصرف إذا أحس الراكب بنقص في الأوكسجين داخل الطائرة.

وقبيل الوصول تدنت الطائرة إلى الأرض فاتضحت طبيعتها أرضًا صحراوية ذات أعشاب صحراوية وأشجار قصيرة من أشجار الصحراء في الوديان الجافة التي تشبه مجاري الوديان في بلادنا.

ثم رأينا النهر العظيم نهر جيحون وقد اتسع مجراه في بعض الأماكن حتى ألف مستنقعات وبحيرات متصلة به وتنطلق منه قنوات عديدة للري على ضفافها الحقول الزراعية النضرة.وكأنما هو في هذه الأرض ذات الطبيعة الصحراوية نهر النيل في أرض مصر. وربما كان هذا هو السبب في وروده مقرونا بالنيل في بعض الآثار كما يروى «سيحون وجيحون والنيل والفرات من أنهار الجنة».

وكل هذه الأنهار تجرى في الصحراء أو تحف بمجاريها الصحراء في أكثر أجزائها، والنهر إذا كان يجرى في الصحراء صار له من الأثر

في النفوس وفي الأراضي أعظم مما يكون له إذا كان يجرى في أرض مطيرة تكتفى من حاجتها إلى الماء من ماء المطر. واسم نهر جيحون في هذه البلاد (أمو داريا) ومعناه: النهر المجتمع أو النهر الكبير فداريا تعني (نهرًا) باللغة الأزبكية، وداريا: كبير أو مجتمع، ولذلك سموا شقيقه نهر سيحون بسرداريا أى النهر السرى لأن (سر) هي الكلمة العربية ضد جهر، وداريا: نهر.

ولهذا انتابني شعور من الغبطة والذهول فالغبطة لكوني أشاهد تحتى الآن نهر (جيحون) العظيم الذي كنت إذا رأيت حديثًا عنه في كتاب بادرت إلى التهامه بعيني حذرًا أن يغيب عنهما قبل أن أكمل قراءته، وها أنا الآن أراه بعيني، بل أطير فوقه فأبصر من أمره مالا يبصره من يراه من الأرض.

أما الذهول فإنه العجب من تصاريف الأيام التي رأيتني فيها أسافر إلى هذه البلد الخوارزمية يصحبني أكبر رجل من رجال العلم يشغل وظيفة دينية في آسيا الوسطى كلها وهو يفعل ذلك من أجل أن ييسر لي الإطلاع على ما أريد الإطلاع عليه فيها. وليرفع من قدري عند أهلها وليس ذلك فحسب وإنما علمت – أن حكومة إقليم (خوارزم) قد أبلغت باستقبالي والحفاوة بي.

ولا شك أن ذلك كله ليس من أجل شخصي وإنما هو ناتج من كون حكومتنا قد وفقها الله تعالى لخدمة المسلمين وبذل المعونة لهم حتى أصبحت (رابطة العالم الإسلامي) التي أعمل فيها قناة لإيصال المعونة للمسلمين، ولتعارفهم مع أهل بلادنا بلاد الحرمين الشريفين.

كانت تنتابني هذه المشاعر والطائرة تسرع في التدني إلى الأرض ، فتصير فوق مدينة (اوركنج) وأرى بيوتها ذات السقوف البيض ولكنها غير لامعة. وقد تفرقت المنازل في المنطقة إلى تجمعات متعددة عرفت فيما بعد أنها تؤلف قرى منفصلة.

ويشق مدينة (اوركنج) طريق رئيسي غير مستقيم، ولا يقارن بالطرق الحديثة الواسعة التي شقت في بلادنا. إلا أن البلدة تبدو ذات شوارع منتظمة في مظهر جيد.

في مطار أوركنج:

هبطت الطائرة في مطار (اوركنج) في العاشرة والنصف بعد طيران استمر ساعة ونصفا وعندما رأيت الأرض المتصلة بالمدرج سألت نفسي عما إذا كانت هبطت في مطار القصيم عندنا في وقت الربيع فكل شيء تقع عليه عينك يشعرك أنك في أرض صحراوية خصبة أو إن شئت قلت: إنك في أرض صحراوية مربعة- أي أصابها المطر فخلف فيها الربيع الذي يراد به العشب والخصب واخضرار الأشجار الصحراوية وليس المراد به فصل الربيع. وهو ربيع صحراوي فليس فيه من الحشائش والأعشاب الكثيفة ما في مطار طشقند.

وهذا بالنسبة إلى الأرض البرية التي لا تروى بماء النهر أو قناة من قنواته ولذلك نشاهد من المطار مما يلي المدينة أشجارًا مغروسة من أشجار الفاكهة وبساتين ترى على البعد. أما بناء المطار فإنه متوسط من حيث السعة ونوع البناء وهذا مناسب لكون البلدة عاصمة لإقليم أو كما يسميه بعضهم محافظة وليست عاصمة لجمهورية من جمهوريات

الاتحاد السوفيتي. والمطار أيضاً ليس واسع الساحات ولكن تنزل فيه الطائرات النفاثة كطائرتنا، كما أنني لم أر طيارات كثيرة كالتي تكون في المطارات الكبيرة في الإتحاد السوفيتي.

وتوقيتهم متأخر عن توقيت طشقند بساعة واحدة لأن خوارزم واقعة فى جهة الشمال الغربي من طشقند.

وجدنا فى الاستقبال عدداً من المستقبلين من رجال الإدارة وأهل العلم وأئمة المساجد منهم (كامل جان بن إبراهيم) نائب حاكم إقليم خوارزم، والشيخ أحمد جان سعيد رئيس الأئمة فى إقليم خوارزم وعضو ممثل لها فى برلمان جمهورية اوزبكستان، والشيخ نصر الله عباد الله قاضي جمهورية تركمانستان المجاورة لخوارزم.

جلسنا مع هؤلاء وغيرهم من المستقبلين فى قاعة كبار الزوار فى المطار. وكان استقبالهم حاراً وترحيبهم نابعاً من قلوبهم فهذه أول مرة يستقبلون فيها وفداً إسلامياً من بلاد الحرمين الشريفين فيما أخبرونا به.

وقدموا الضيافة شاياً كالصيني بدون سكر. وخبزاً غليظاً صاروا يقطعونه ويضعونه أمام الحاضرين. وذكروا أن الخبز عندهم هو رمز الضيافة حتى إن الرجل منهم إذا زاره زائر فى بيته تلقاه بالخبز يخرجه معه من البيت ليقطعه أمام الضيف ويقدمه له، وقد صارت هذه عادة متبعة إلى الآن حتى وإن علم صاحب البيت أن زائره لن يدخل بيته، ولن يطعم من هذا الخبز.

إلا أنه جرت العادة عندهم ألا يرفض الضيف أكل الخبز ولو كان بغير حاجة إليه. فيأخذ منه حتى بقدر رأس الأصبع ويأكله.

وهذه عادة يقابلها عندنا تقديم القهوة للضيف بحيث صارت عادة متبعة إلا أننا لا نخرج بالقهوة إلى الضيف الذي لا يريد دخول المنزل لسبب من الأسباب مع أن القهوة أولى بأن تقدم كذلك لكونها تشرب حتى مع الشبع وهي منشطة للجسم ، طاردة للتعب.

في مدينة أوركنج:

اسمها في كتبنا العربية القديمة (كركنج) غيرت القرون كافها الأولى إلى همزة، وربما كان أسلافنا من المؤرخين هم الذين غيروا همزتها إلى كاف عندما نقلوا الاسم إلى العربية والأول أظهر. على أنه مما ينبغى التنبيه له أن موقع (كركنج) القديم ليس هو موضع أوركنج الحالية، وإنما تغير موضعها وإن لم يتغير اسمها ، وقيل في خراب (أوركنج) الأولى القديمة إن سببه طغيان نهر جيحون بفيضانه عليها كما أن هناك بلدة هي عاصمة خوارزم في الوقت الحاضر اسمها (كوهنا أوركنج) بمعنى أوركنج القديمة وشيء آخر يجدر هنا ذكره وهو أن (كوركنج) اسماها أسلافنا من مؤرخي المسلمين الجرجانية في وقت من الأوقات التاريخية استثقالاً لكلمة (كوركنج).

وجدتهم أعدوا سيارة طويلة سوداء ذات ثلاثة صفوف في المقاعد كالتي تخصص للضيوف من الوزراء ورؤساء الوزارات تكريماً لنا وحفاوة بنا . ركبنا فيها مع نائب الحاكم والشيخ أحمد جان سعيد رئيس الأئمة وعضو (البرلمان) المحلي والمفتي الشيخ محمد صادق ويتبعها سيارات أخرى صغيرة معتادة.

وانطلق الموكب إلى داخل بلدة (أوركنج) مع طريق تحف به بعد قليل من تركنا المطار البساتين الحافلة بأشجار الفاكهة وعليه البيوت التي غرست أمامها أشجار الفاكهة فيما بينها وبين الطريق.



في شارع بيت الشيخ أحمد جان في خوارزم

حتى وصلنا إلى بيت الشيخ أحمد جان سعيد في طرف المدينة حيث اتصل بالريف المزروع. فكان أول ما فعلوه أن خلعوا نعالهم عند باب البيت من الخارج. وفهمت من ذلك أن شوارعهم وأسواقهم تكون في بعض الأحيان غير نظيفة ولا جافة وإلا لما اعتادوا ذلك. ووجدنا بيت الشيخ أحمد جان نظيفاً بل في غاية النظافة متسعاً ذا طراز محلي خالص.

مائدة خوارزمية:

ووجدنا في ركن منه مفتوح إلى جهة بستان ملحق به مائدة مرفوعة قليلاً عن الأرض بموائد خشبية متطامنة كالتي يأكل عليها أهل المغرب. ويحيط بها الحشايا التي فرشت فوق سجاد من صنع محلي ثمين.

ووجدنا المائدة مغطاة بقماش رقيق ما لبثنا أن عرفنا السبب في ذلك وهو كثرة الذبان التي أقبلت جيوشاً مجيشة حتى إن اثنين من الرجال قاموا على رؤسنا ومعهم الفوط الكبيرة يذودون بها الذبان عنها لا يفترون.

وعلى المائدة أنواع منوعة من الفواكه المحلية الطازجة، منها المشمش والكرز والتوت الأبيض اللذيذ وذكروا أنه قطع لتوه من شجره لأنه إذا مضى عليه يوم بعد قطعه فسد ولم يصلح للأكل والفاكهة التي نسميها بُخَارى - على لفظ اسم (بخارى) بلدة الإمام البخاري وهو أخضر أملس الجلد، لذيذ الطعم، ومع ذلك خيار جيد، وفستق وجوز، وخبز كبير مستدير قد أحضروه بمقادير كثيرة ومعه الطعام المعروف عندنا بالبخاري الذي يسمى منتو وهو الذي يشبه السمبوسك إلا أنه يطبخ ويكون من الدقيق الأملس الناعم، ومع ذلك اللبن.

وقالوا: لابد عندنا من أن يأكل الضيف من الخبز ولو قليلاً وأكلنا منه قليلا، لأن ما على المائدة من الطعام والفاكهة المنوعة جعلنا نؤثره بالأكل على الخبز.

ومع هذه المائدة الحافلة أخبرنا الشيخ المفتي محمد صادق بأن هذا ليس الغداء لأن الساعة الآن في خوارزم هي ما بعد العاشرة والغداء بعد الظهر. إلا أنهم جاءوا بلحم الغنم الطازج الكثير والدجاج المحمر ولحمهم لذيذ يشبه لحم الغنم النجدية، ربما كان ذلك بجامع الطبيعة الصحراوية التي ترعى فيها الأغنام الأشجار البرية الطبيعية.

ثم جاءت الأواني المنفردة بالحساء التركستاني الشهير - وهو الشوربة عند عوامنا - وهذه تكون من الشعيرية وقطع من لحم الغنم الدسم وتقدم حارة لكل شخص سلطانية خاصة به.



على مائدة الشيخ أحمد جان سعيد في اوركنج

كنت سعيدًا بالوصول إلى خوارزم وكنت مستمتعًا بهذه المائدة إلا أن الذي زادني سعادة وامتاعًا ما أخبرنا به الشيخ أحمد جان وقومه يسمعون من أنه لم يكن في مدينة أوركنج قبل ثلاث سنين إلا ثلاثة جوامع والآن فيها إثنا عشر جامعًا. ومازالت المساجد والجوامع تقام أي يتقدم المسلمون بالترخيص لبناء المساجد الجديدة.

وذكروا لنا أن التعصب كان قد بلغ بالشيوعيين في الماضي أن صارت التحية الإسلامية (السلام عليكم) محرمة بدون قانون يحرمها، ولكنهم يرمون من يستعملها بالرجعية ومعاداة الشيوعية ويصيبه من ذلك سوء عظيم فتجنب الناس التلفظ بها خوفًا من إرهاب الشيوعيين.

وقد تلبثنا بعض الوقت في بيت الشيخ أحمد جان على أحاديث مفيدة عن أحوال المسلمين في هذه البلاد وعن أحوالها بصفة عامة.

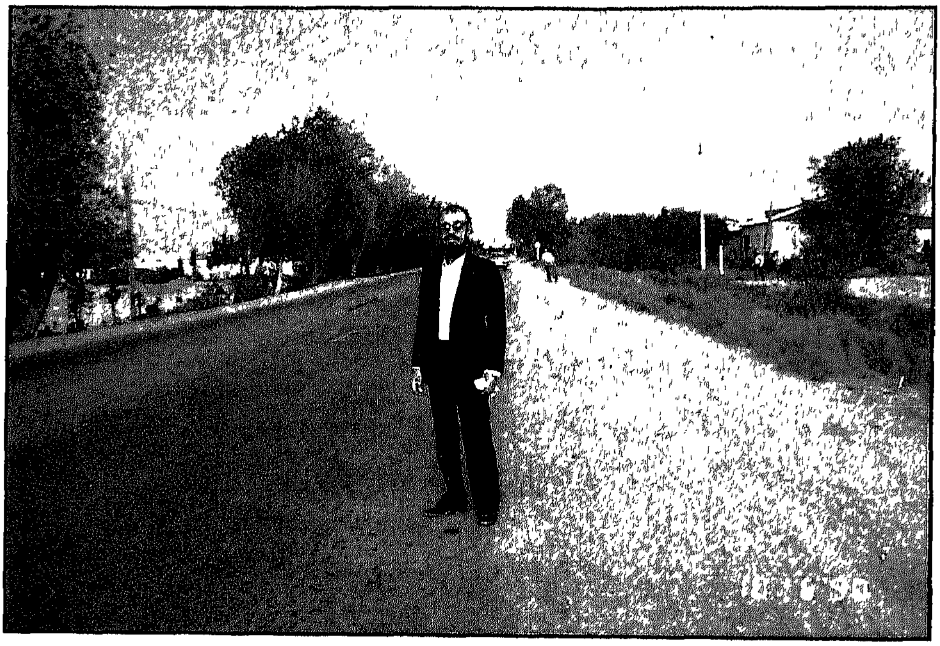
وقد أحضر أثناء ذلك أولادًا له من بنين وبنات صغار وتلا ابن له اسمه محمد صادق وعمره ٨ سنين سورة« تبت» فأداها أداء لا بأس فيه. وقرب ابن له صغير عمره خمس سنين مني فكان يمسح يديه ووجهه بعباءتي لفرط محبتهم لنا.

وقد قدمت للشيخ أحمد جان في نهاية اللقاء هدايا من رابطة العالم الإسلامي منها عباءة عربية مقصبة وكتبًا ومناظر للحرمين الشريفين.

إلى مدينة خيوه:

لا بد لمن يزور خوارزم أن يزور مدينة خيوه ذات الآثار الإسلامية الرائعة وإلا لكان كمن زار مصر ولم ير الأهرام.

لذلك قام موكبنا قبيل الساعة الثانية عشرة بقليل فتوجه إلى خيوه مع شوارع (اوركنج) العجيبة التي أهم ما فيها أن شوارعهم ليست فيها أرصفة وأن السكان استغلوا أمكنتها بزراعتها بأشجار الفاكهة المثمرة فكنت ترى البيوت وقد غطت واجهاتها الأشجار المثمرة من المشمش والعنب والخوخ ولم يقتصروا على ذلك وإنما زرعوا ماتبقى من أرض الشارع بالخضروات كل صاحب بيت يزرع ما يكون أمام بيته.



صورة تذكارية في أحد شوارع خوارزم

ولا تبعد مدينة خيوه إلا (٣٠) كيلو متراً عن (اوركنج) ومدينة (اوركنج) ليست كبيرة وإن كانت تتبعها قرى وتجمعات ريفية كثيرة ويبلغ عدد سكان (اوركنج) (١٣٠) ألفاً أما خيوه فإن سكانها (٨٠) ألف نسمة. ولذلك وقعنا في الريف بسرعة فوجدنا أن جميع الأشجار

التي على الطريق سواء منها ما كان على الطريق نفسه ، وما كان على أطراف المزارع التي تلي الطريق قدغرسوا عليه الأشجار المثمرة من أشجار الفاكهة وهي كلها قد اكتست حللاً سندسية خضراً.

وخصوا الطرق الريفية وحواشي بعض المزارع بغرس أشجار التوت خاصة، ذكروا أنهم يستفيدون من أوراقها في تربية دود القز الذي ينتج الحرير الطبيعي المشهور في هذه البلاد، وذلك بتوسع ظاهر.

وسألت القوم وأنا الآن فوق أرض خوارزم عن مدنية (مرو) التي تقع في هذه المنطقة والتي أخرجت أعداداً ضخمة من علماء المسلمين ونسبوا إليها نسبة غريبة إذْ زيدت الزاي في النسبة إليها فقيل (مروزي) بدلاً من أن يقال (مروى) كما هو القياس فذكروا أنها معروفة الآن باسم (مراَ) بفتح الراء بدلاً من ضمها كما هو مذكور في كتبنا العربية القديمة، وتبعد عن اوركنج خمسمائة كيلو متر جهة الجنوب ولكن الوصول إليها ليس سهلاً بسبب وعورة الطريق فقلت لهم وهو أيضاَ ليس سهلاً لي بسبب صعوبة توفير الوقت.

وفي هذا الجو المفعم بالتاريخ الإسلامي المجيد كانت لافتات الطريق مكتوبة باللغة الروسية وكأنما لغة الثقافة العربية فيها ليست موجودة وكأنما لغة المحادثة التي تطورت من اللغة التركية وعرفت باسم الخوارزمية ليست موجودة، بل إن اللغة الأوزبكية التي هي شقيقة للغة الخوارزمية هي لغة حية يتكلم بها الملايين من البشر . وقال الإخوة: إن المصيبة العظمى هي في كتابة التاريخ الذي يتعلمه أولادنا في المدارس الأولى فهو تاريخ محرف مشوه قصد منه طمس الأمجاد الإسلامية

السالفة لهذه البلاد، والإيحاء بل الإصرار على تعليم الأطفال تاريخ الثورة الشيوعية وقادتها والأعمال التي ذكروا أنها قامت بها.

قال الشيخ أحمد جان: لقد طالبت بصفتي عضواً في برلمان جمهورية اوزبكستان بإعادة كتابة ذلك التاريخ وإبراز الوجه الصحيح للثقافة الإسلامية التي نمت وترعرعت في هذه البلاد قبل ألف ومائتي سنة. وقرب الطريق في بعض المناطق من نهر جيحون فكثرت زراعة الأرز الذي يحتاج إلى ماء كثير وذكروا أن بعض المزارع التي لا تصل إليها مياه النهر أومياه القنوات تكون فيها آبار لري المزروعات.

وهذا واضح من طبيعة البلاد الصحراوية التي لولا وجود نهر جيحون (اموداريا) فيها لكانت صحراء خالصة معتادة.



ريف خوارزم

النملة الأفغانية:

جرى حديث عن الإسلام والذين معي في السيارة الآن هم من العلماء المفكرين فقلت لهم: إنني أظن، بل أتيقن أن الروس الآن أكثر إهتماماً بالإسلام مما كانوا عليه من قبل، وذلك من واقع ما لقوا منه في أفغانستان، فقد كانوا يتصورون الإسلام ويصورونه للناس بأنه دين دراويش وأشباه الدراويش، يلجأ إليه المسلم إذا تقدم به العمر، وعجز عن أداء شيء آخر للحياة. والذين يحسنون الظن به يظنونه كالدين المسيحي الذي يعرفونه في الوقت الحاضر دين صلوات وطقوس لا علاقة لها بالحياة. ولكنهم الآن قد تغيرت هذه الصورة في أذهانهم على جميع المستويات.

فوافقوا على ذلك وذكروا أن أحد شعراء الروس نشر شعراً جعل أحد قصائده بعنوان (النملة الأفغانية) ولفظها بالروسية (بغتو شنكو)

وتقول القصيدة من بين ما تقوله : إن جندياً روسياً جريحاً في أفغانستان صارت نملة أفغانية تمشي على خده وتقول له:

من أين جئت؟

ولماذا جئت؟

ألا تعرف أن هذه بلاد الإسلام؟

جئت تساعدنا – فيما تقول– وأنت تحتاج إلى مساعدة!

ألا تعرف الإسلام ؟

قوته في بلدك!

التي لم تترك مسلماً حقيقياً فيها.

هذا ولو كان لنا من الوقت وفراغ الذهن ما يمكننا من طلب ذلك الديوان ومن ترجمة قصائد منه لفعلنا ذلك.

هذه خيوه:

وصلنا (خيوه) بسرعة، لأن الحديث مع الإخوة الكرام، وغرابة المناظر، وقصر المسافة جعلنا نشعر بذلك. كان أول ما يسترعى الانتباه بيوتها المبنية من الطين المؤسس بأساس من الحجارة والآجر وهو بناء البيوت القديمة، وأشجار يانعة على قناة من نهر جيحون (أموداريا) تمر بالمدينة. ومظلات وقوف الحافلات من خشب نظيف.

قلعة خيوه:

كنت أركب مع الإخوة في السيارة الرسمية السوداء ومعنا مرافقون رسميون لذلك لم نرمن البلدة شيئاً وإنما قصدنا (قلعة خيوه) التاريخية التي يشد السياح إليها الرحال. ولو كان إخواني المضيفون يعرفون ما أريد أيضاً لجالوا بي جولة في داخل المدينة تشمل الأحياء الشعبية التي لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في سالف العصور. ولصورت منها وذكرت من غرائبها ما أتحف به قراء هذا الكتاب.

وقفنا عند القلعة التاريخية من خارجها الذي يلي المدينة فوجدنا طوائف كبيرة من السياح الأجانب وقلة من السياح من أنحاء الاتحاد السوفيتي، وطائفة من الباعة المتجولين والواقفين الذين كان بعضهم يعرض فاكهة طازجة وبعضهم يعرض منتوجات وطنية محلية.

واتخاذ هذه القلعة وأمثالها شائع في منطقة بلاد ماوراء النهر ويسمونها قهندز وهذا اسم يدل على أكثر مما يدل عليه اسم قلعة لأن القهندز تكون مساكن للحاكم وجنده الأقربين وللمتميزين من كبار رجال الدولة وقد بقيت من ذلك بقايا في عدد من البلدان في المنطقة مثل (قهندز) بخارى الذى يسمى الآن قلعة آرك وسيأتى ايضاح لذلك عند الكلام على تاجكستان عندما نزور بقايا قلعتها التى هي قهندز مثل هذه ولكنها خربة.

تاريخ خيوه:

كان مضيفونا قد رتبوا الأمر ، إذْ وجدنا مرشداً سياحياً متمرساً بالعمل ينتظرنا في المكان ، وقدم نفسه قائلاً اسمى (أبو عبيد الله بن أتانظر)

ثم ابتدأ يشرح لنا تاريخ (خيوه) هذه وهو في الحقيقة يشرح تاريخ خوارزم، وذلك قبل أن ندخل القلعة وإنما كنا نشاهدها من الخارج.

قال: تاريخ خيوه يرجع إلى ٢٤٠٠ سنة وكان في خوارزم ١٠٦ من المدن كلها مثل خيوه إلا أنها كلها ذهبت واندثرت ولم يبق إلا(خيوه) هذه.

قال: وقد بنى هذه القلعة التي ترونها سام بن النبي نوح عليه السلام بعد الطوفان.

وخيوه كاوركنج القديمة يريد التي اسمها كوهنا اوركنج نشأت بعضها مع بعض في القديم. وقال وهو يشير إلى تمثال لأبي بكر

الخوارزمي غير بعيد عن مدخل القلعة: إن أبا بكر الخوارزمي كان يعيش في خوارزم لأنه من أهلها فبعث إليه الخليفة المأمون من بغداد قبل ألف ومائتي سنة، لكي يقيس له أبعاد الأرض . فذهب من ههنا إلى بغداد وصدع بما أمره به الخليفة.

هذا ونحن نستمع إليه، وننظر إلى مباني القلعة مبهورين فهي أشبه بالبلدة الواسعة لها مدخل مهيب أعاليه بالآجر وأسافله بالحجارة وفق هندسة قديمة رأينا أمثال طرازها في أبنية متعددة باقية من عهد تيمور لنك وما قبله بقرون.

دخلنا مع الباب الخارجي للقلعة الذي لا يزال سليماً كأنما فرغ منه بانيه اليوم، وأرضها مبلطة بالحجارة المهذبة.

وقال الدليل (أبو عبيد الله بن آتا نظر) ونحن ندخل القلعة هذه اسمها (تشان قلعة). وهذه التاء المربوطة في آخرها لا بد من أن تنطق بالتاء في كل الحالات. ولا يجوز أن ينطق بها هاء. ومعناها: القلعة الداخلية فتشان داخلي وقلعة هي الكلمة العربية(قلعة) بمعنى حصن وقال: بناها سام بن نوح ورفعها عن الأرض. هكذا ترجم لنا إخواننا كلامه وكلهم يعرف العربية ويعرف كلامه لأنه من أهل البلاد. ولعله أراد بذلك أنه بناها في مكان مرتفع كما هو الواقع إذ هي تقع فوق مكان مرتفع من الأرض وإن كان لا يبلغ أن يسمى تلة.

قال: والملوك الذين أتوا بعد سام بن النبي نوح أضافوا إليها إضافات.

وعندما سمعت هذا اللفظ تبادر إلى ذهني أن الذي بناها وهو الملك

نوح بن سامان أحد ملوك السامانيين الذين حكموا في هذه المنطقة، قبل حوالي ألف سنة أو هو نصر بن نوح الساماني وأن الأمر اختلط على هذا الدليل أومن أخبره بذلك فجعلوا بانيها سام بن نوح، وجعلوا بناءها بعد الطوفان وهي على طراز من البناء معروف في هذه المنطقة.على أن اسم (خيوه) هذا هو قديم معروف لأسلافنا البلدانيين العرب قبل ألف سنة فقد ذكره – على سبيل المثال – ياقوت الحموي في معجم البلدان بقوله:

خَيُّوق – بفتح أوله وقد يكسر ، وسكون ثانيه ، وفتح الواو، وآخره قاف: بلد من نواحي خوارزم، وحصن بينهما نحو خمسة عشر فرسخاً، وأهل خوارزم يقولون: (خِيوه) وينسبون إليه الخِيوقى وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية.

وهو من شذوذ الكلام لأن الواو صحت فيه ، وقبلها ياء ساكنة، ومثله في الشذوذ: خيْوه. اسم رجل.

فأنت ترى أن ياقوتا الذي سجل في كتابه أسماء جميع البلدان والأماكن المعروفة في زمنه أو قبله على وجه الأرض قد اعتبر أن هذا الاسم (خيوه) من شاذ الكلام مع أنه يعلم أنه أعجمي لا يقاس بالأوزان العربية للكلمات.

مدرسة محمد أمين:

أول ما وقفنا عنده في داخل القلعة ، مدرسة عظيمة البناء بحيث أن ارتفاع سقف مدخلها يبلغ (٣٥) مترًا يعلوه قوس مربع معقود من الآجر المحكم. وهذا الارتفاع يعادل ارتفاع بناء مؤلف من عشرة طوابق.

والمراد بالمدخل القوس الذي يعلوه. وإلا فإن بابه الفعلي كأبواب القصور المعتادة يرتفع حوالي ستة أمتار.

وهي من أشهر مدارس آسيا الوسطى اسموها أخيرًا على اسم محمد أمين أحد فنيي هذه البلاد وقد توفى في عام ١٨٥١م لها صحن مفروش بالحجارة المهذبة وقبة ترتفع على عقود من الآجر المتقن ارتفاعها ٢١ مترًا.

ثلاث وثلاثون مدرسة في القلعة:

هذه القلعة العظيمة التي ذكر الدليل أن سعتها مائتان وستون ألف متر مربع وأظنها أكثر من ذلك هي على طراز اتخذ في هذه المنطقة في العصور الوسيطة وما قبلها بأن تكون القلعة أشبه ما تكون ببلدة صغيرة محصنة مكملة بالمرافق العامة من مدارس ومستشفى أو مستشفيات ومساجد ومساكن فاخرة. ويسكن فيها الحاكم وأعيان دولته من وزراء وأمراء وكبراء وقضاة وأطباء. يأتى إليها الدارسون والمدرسون . ويمنع منها الغوغاء والعامة من الناس. فهي محصنة عنهم وعن غيرهم من الأعداء في حالات الخوف.

ولذلك عندما تعجبنا من هذه المدرسة من مدارس هذه القلعة قال الدليل أو المرشد السياحي (أتا نظر) إن فيها ثلاثاً وثلاثين مدرسة كلها يضمها سورها وتغلق عليها أبوابها مثل سائر المرافق العامة وسوف أريكم بعضها خلال جولتنا هذه. ولكن جميع هذه المدارس لا تستعمل الآن. وإنما هي آثار من الآثار القديمة مع العلم بأن بعض المدارس ليست كبيرة المساحة وإن كانت فاخرة البناء.

وبعد مدرسة محمد أمين مررنا بالسجن ويسمونه (منجك) وقد مثلوا فيه بعض السجناء في عهد القياصرة الروس وقد ربطوا بسلاسل وأخشاب ثقيلة وقد نوهوا بأن ذلك كان إبان العهد القيصري الروسي حتى يبعدوا التهمة عن الشيوعيين مع أن الشيوعيين في عهد ستالين فعلوا بخصومهم مالم يفعله القياصرة بخصومهم كما هو معروف ومن ذلك النفي إلى أصقاع سيبيريا الثالجة التي تهون عندها السجون، ومنها إرسالهم إلى ما يسمى بالمصحات العقلية حيث يعامل الأصحاء كما يعامل المجانين.

القصر الملكي:

ويراد به المنزل الذي يسكنه الملك وإلا فإن القلعة كلها مخصصة للملك ورجال دولته. وهذا القصر مبني بالآجر الأبيض الذي يمسك مابينه الطين، وبعضه أعلاه ذاهب إلى الداخل أكثر من أسافله بمعنى أن الحائط والبناء كله كلما ارتفع ضاق.

وهذه سمة من سمات مباني هذه القلعة وإن لم تكن كلها كذلك لذلك

رجحت أن الأمر كما قال الدليل السياحي: أن الملوك زادوا فيها بعد بانيها الأول فجاء طراز بعض مبانيها مخالفاً لبعض، وهذا القصر بالذات كتب عليه تاريخ بنائه عام ١٦٤٣م. وبجانب القصر مسجد خاص للملك وحاشيته أعمدته من الخشب القوى الذي لا يزال باقياً رغم مضى القرون لم تفسده عوامل الزمن.وكان المسجد مزيناً كله بالآيات القرآنيةولكنها أزيلت إبان الطغيان الشيوعى. ولا تزال الكتابة على محرابه باقية واضحة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ومن جانبيه كتبوا شعار أهل السنة في تلك العصور (الله) (محمد)، أبو بكر، عمر، عثمان، على.

وذكر أسماء الخلفاء الراشدين في مسجد معناه أن أهله من أهل السنة. وارتفاع سقفه ٢٠ متراً ، وقد بقيت من الفسيفساء العربية فيه وهي التي تشبه السيراميك، بقع غير واسعة.

وقد نوهوا بأن المسجد صيفي، أي يصلى فيه الملك في الصيف لأن أحد حوائطه مفتوح إلى الشرق الشمالي.مما يجعله غير ملائم للصلاة فيه في الشتاء لشدة البرد الذي قد يصل إلى ٢٥ درجة تحت الصفر. قالوا: وهناك مسجد للملك شتوي. أي يصلي فيه في الشتاء وهو مغلق الآن .

معنى اسم خيوه:

كنت أريد أن أسأل عن معنى اسم (خيوه) في لغتهم . بل سألت أحد الإخوة بالفعل عن معناه فلم يعرفه وإذا بي أسمع من المرشد الذي لم

يعرف الصواب معنى الاسم بزعمه فكانت رمية من غير رام، إلا أنها رمية طائشة.

فقد وقف بنا الدليل على بئر في فناء مكشوف بين أبنية القلعة، المتفرقة وقال، ورجل آخر يخرج الماء من البئر ويسقى الناس: هذا البئر حفره النبي نوح عليه السلام بعد الطوفان وعندما شرب من مائه ووجده باردًا قال: آخ، اشارة إلى أنه استراح بشربه فسمي المكان (خيوه) من قولة نوح (آخ).

وكان هناك جمع من الواقفين حول البئر فقال رجل منهم ؛ لا، ليس الأمر كذلك . وإنما (خيوه) اسم امرأة وجدت البلدة سميت البلدة باسمها، ولما سألته بوساطة المترجمين عن تفصيل ذلك لم يستطع أن يزيد على ما ذكره.

وقال شخص ثالث: هذه المرأة كانت في قافلة متجهة إلى أحد البلدان العربية هي التي وجدت هذه البئر فسميت باسمها، ثم سميت البلدة باسم البئر (خيوه). ونوه الحاضرون بأن هذه المنطقة واقعة في طريق الحرير الذي ينطلق من أوروبا إلى الصين لشراء الحرير فى العصور القديمة. وقال غيره: إنه ينطلق من هنا إلى البلدان العربية.

وكان الحر قد استحكم وقد اشتدت حرارة الشمس فى هذه الأرض الصحراوية حتى رأيت بعض الناس معهم الشماسي وهي المظلات يتقون بها حرارة الشمس. فكأن لذكر الماء وبرده معنى خاص فى النفس، وإن كنا نعلم أن البرد يستحكم في الشتاء حتى يتجمد الماء على شفاه الشاربين من شدة البرد كما حكاه ياقوت عن نفسه عندما وصل

في الشتاء إلى خوارزم، أما البئر فإنه في مكان من فناء مكشوف واسع داخل القلعة وهو بعيد عن تلوث المجاري المستعملة. لذلك ذقته رغم نهي الإخوة المرافقين عن ذلك يخشون أنه غيرنظيف فوجدت فيه ملوحة لا تمنع من شربه.

ورأيت طائفة من السذج من الرجال والنساء يشربون منه على أنه من البئر التي حفرها نوح. ولو كان هؤلاء السذج ومنهم الدليل يفقهون القول لقلنا لهم : إن نوحاً عليه السلام لم يكن بحاجة إلى حفر هذا البئر في هذا المكان المرتفع لأن منخفضات الأرض مليئة بالمياه ولأن النهر نهر جيحون يسير غير بعيد منه إذا كان النهر في زمن نوح يجري كما يجري الآن.

ولا أشك في أن هذه البئر حفرها أهل القلعة داخلها ليتزودوا منها بالماء إذا حصروا فى القلعة أو لقربها منهم بالنسبة إلى النهر.

قاعة العرش:

وهي قاعة الجلوس التي يجلس فيها الملك أو حاكم القلعة الذي يكون في العادة هو حاكم المنطقة، وهي منفصلة عن قصر الملك.

ويجلس الملك في هذه القاعة على مكان مرتفع لا يتسع لجلوس أحد غيره معه وهو مكان فاخر إلا أن أجزاء من الفسيفساء التي فيه قد انقشعت. وكلها على طراز إسلامي عريق.

اثنان وثلاثون مسجداً في القلعة:

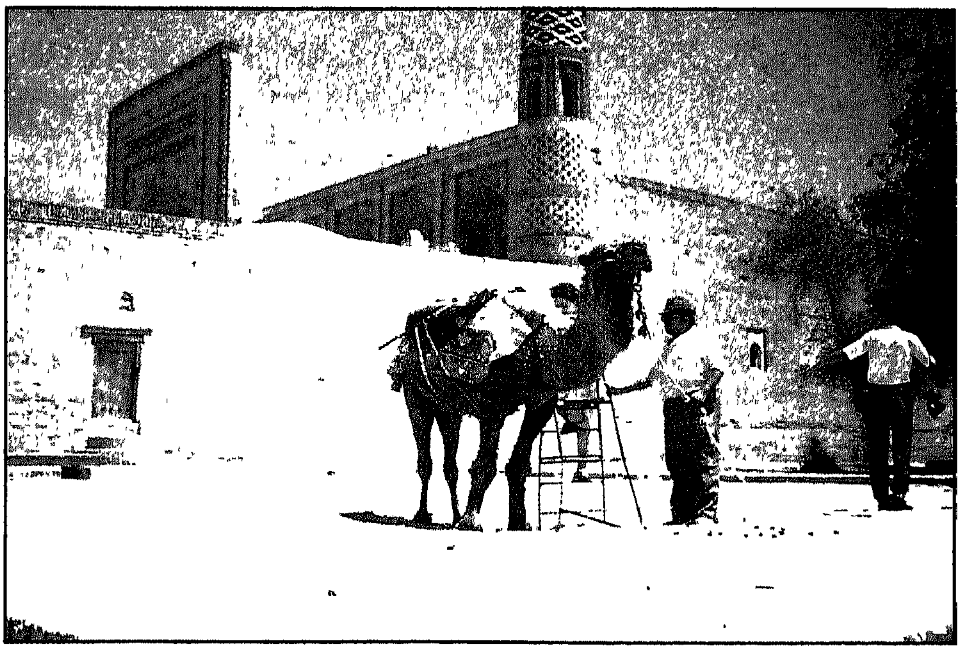
مررنا بمسجد صغير بأعمدة من الخشب القوي، كما رأينا عدة مساجد فى القلعة كلها عالِ القبة فاخر البناء. ولكنه ليس واسعاً، فقال

الدليل: إن عدد المساجد فى هذه القلعة اثنان وثلاثون مسجداً.

والسـبب في ذلك لـيس كـثـرة السكان وإنما تفرقـهم فـي أنحـائها مع قدرتهم على بناء المساجد التي تكون قرب منازلهم.

إبل خوارزم:

رأيت السيـاح وأغلبهم من الأجانب وفـيهم من أهل آسيـا الوسطى قد تجـمـعـوا على بعـيـر مـن إبل هذه المنطقـة التي ينـبـغي أن نتـذكـر أنهـا صحراوية ملائمة لمعيشة الإبل، إلا في الـشتاء فينبغى إذا اشتد البرد أن تدخل الإبل في أماكن دافئـة، وتعلف مما كانوا خزنوه في بقيـة الفصول مثلها في ذلك مثل الحيوانـات الأخرى، بل مثل الإنسان نفسه الذي وان لم يختبيء كليًا فإنه لابد من أن يخبأ طعامه وشرابه لذلك الفصل.

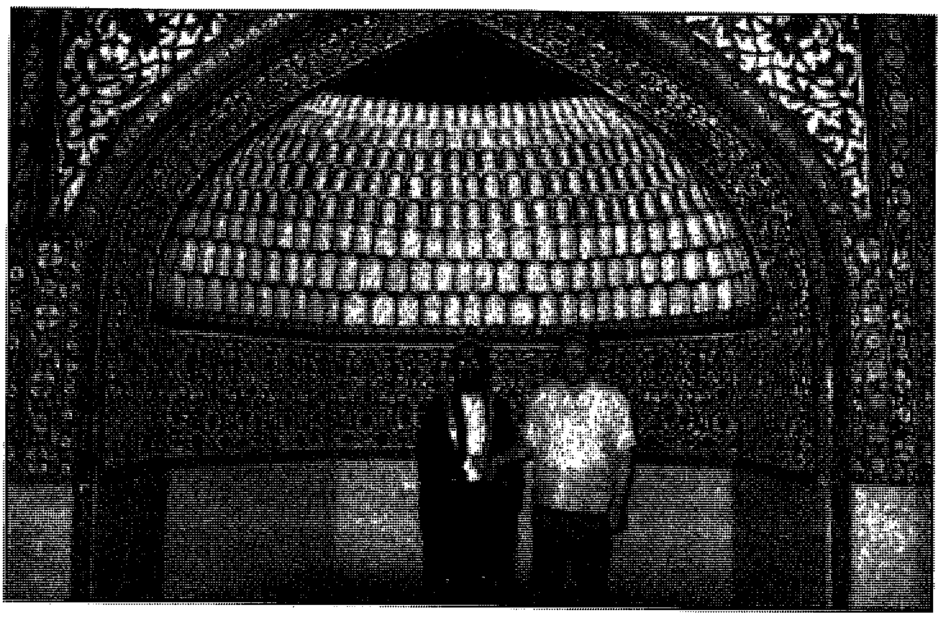


بعير خوارزم في قلعة خيوه

وعندما رأيت بعيرهم تذكرت أباعر الصين الشعبية التي تعيش في مقاطعة كانسو في الشمال الغربي من الصين وكذلك إبل تركستان الشرقية والإبل المغولية في منغوليا، إذ كان مثلها قصير القوائم ، كثير الوبر رثا بعيداً عن الرشاقة بالنسبة إلى إبلنا العربية والإبل التي تعيش في الصحارى الأخرى كالصحراء الافريقية الكبرى وصحراء كلاهاري في جنوب غرب افريقية. وقد رأيتها كلها.

وقلت في نفسي لو كانت إبل هذه البلدان الباردة بل الثالجة في الشتاء مثل إبلنا طويلة القوائم ، قصيرة الوبر لماتت من شدة البرد.

ورأيتهم هنا فعلوا شيئا أثار في خاطري ذكرى أليمة وهو سلم مزدوج يضعونه على الأرض بجانب البعير وهو هنا جمل لا ناقة فيصعد عليه الراكب السائح ثم ينتقل منه إلى ظهر الجمل.



داخل أحد مساجد القلعة أو القهندز في خيوه

وذلك أنني عندما كنت في صحراء المغول في منغوليا أردت أن أركب بعَيراً من إبلهم ذات السنامين ، ولم يكونوا وضعوا ذلك في أذهانهم ، وكنت ضيفاً على الحكومة فلما عرفوا برغبتي بحثوا عن بعير فلم يجدوا متيسراً الا قعوداً صعباً غير مذلل، فجاؤا به من دون أن يخبروني بحاله، ومعه سلم مثل هذا فصعدت عليه وركبت البعير ذا السنامين وسرت عليه لمسافة قصيرة وهويرغو وكأنما هو يتوعد ويتهدد ولم أبالِ بذلك ولكنني عند النزول منه وكان صاحبه ممسكاً به يمنعه إن أراد أن يشرد وعندما كانت إحدى رجلي على ظهر البعير والأخرى على السلم جمح البعير رغم إمساك صاحبه به وشرد فوقعت على رقبتي ، وذكرت ذلك بعنوان (وقعة الجمل) من كتاب: (مهد المغول)

إلا ان إبلهم الخوارزمية هذه هي ذات سنام واحد وليست بذات سنامين ، وإن كانت خلقتها بذات السنامين أقرب من شبهها بذات السنام الواحد.

الشيخ بهلوان:

أرونا ضريحاً مبنيًا على قبر أحد الدراويش هكذا صرحوا بوصفه وذكروا اسمه بأنه سيد علاء الدين وقد كتبوا كتابة قديمة بالعربية على قبره تحت قبة البناء الذي عليه: (السيد علاء الدين) أحد الدراويش أستاذ الصوفي بهلوان محمود.

وقال الدليل: إن هذا المكان هو من أقدم الآثار في (خيوه) . وقد دفن بجانب الصوفي علاء الدين شيخ آخر إسمه نجم الدين كبرا.، وذكر الدليل عن (بهلوان) هذا أنه ولد في عام ١٢٤٧م وتوفى عام ١٣٢٦م

وقـال: إنه لم يهـزم في مـبـارزة قط حـتى غلب الهنود وكـانوا أكـثـر منه عـدداً، وذكـروا أنهم يكنونه (أبو خـوارزم) ، وأنه سـاعـد على نشـر الإسلام.

وفي أثناء هذه الجـولة على قلـعة خـوارزم اسـتـرحنا على مـائدة من الفواكه والشـاي في مكان مفروش في أحد الأبنيـة وقد أعدت هذه المائدة إدارة السـيـاحة بأمـر من الحكومـة. وجـدنا المائدة قـد مـدت فوق خـوان طويل عليه عـدة أنواع من الفاكهـة وماء معـدني وعصيـر فاكهـة وشاي ولكنهم بدأوا بالخبز يكسرونه ويأكل كل واحـد منهم مقدارًا ولو قليلاً منه ووجدناهم أحضروا ماءً باردًا قالوا إنه من بئر نوح التي رأيتموها.

ثم عدنا إلى مشاهـدة باقي هذه الآثار الضخمة وكثير مـن أبنيتها ذات أعـمـدة خشـبـيـة ضخـمـة مـثل الأعمـدة الموجـودة في أبنيـة الصـينيين الكبـيرة.وأكـثر النقـوش عليـها باللغـة العـربية من آيات قـرآنية وأبيـات شعرية وحتى الأرقام فإنها الأرقام العربية المعروفة في ذلك الزمان وهي لا تكاد تختلف عن الأرقام العربية التي نستعملها الآن وحتى الفسيفساء قد نقش بها على الأرض في أرقام عربية لا تزال باقية.

ثم مـجلس لملك آخـر فـي ايوان ضـخم مـهـيب، عـالي السـقف واسع العقـود. ذكر الدليل أن صاحـبه (أبو البـهادر خان غـازي) ملك خوارزم وأن بناء هـذا الايوان هو في عـــام ١٦٦٣م.، ثم عـاد الدليـل إلى ذكـر (بهلوان مـحمـود) فوقـفت على ضريح له مـسـتـقل وعلى بابه بيتـان من شعر بهلوان محمود نفسه معناهما.

لازالة ثلاثة وثمانين جبل من جبال القاف قاف ، وحفر خندق في مكانها. ولبث مائة سنة في السجن أهون من صحبة جاهل لدقيقة واحدة.

وقد كتبوا رباعيات بهلوان محمود على الأيوان الذي يتقدم ضريحه.

جامع القلعة:

نعم كان مسك الختام لهذه الجولة الواسعة في هذه القلعة بل المدينة الأثرية زيارة مسجد قديم عظيم بقوة بنائه وضخامة عمده ويسمونه (جامع القلعة) وذلك لكون سكان القلعة يجتمعون فيه لصلاة الجمعة بخلاف المساجد الأخرى التي رأيناها من قبل فإنها تقام فيها الصلوات الخمس غير الجمعة.

صادر الشيوعيون هذا الجامع في وقت مبكر من العهد الشيوعي إذْ كان ذلك في عام ١٩٢٠م واستعملوه مستودعًا للغلال وتركوه بغير تعهد أو إصلاح طيلة بقائه في أيديهم حتى استعاده المسلمون في عام ١٩٧٠م.

وأعجب مافيه أعمدته الضخمة التي تبلغ ٢١٦ عمودًا كلها من الخشب الضخم الثقيل من جذوع أشجار عاشت مئات السنين، وارتفاع المسجد إلى السقف ثلاثة أمتار ونصف فهو ليس عاليًا وهذه الأعمدة إلى قوتها هي رشيقة بحيث يرى الإمام وهو على المنبر من أية جهة في المسجد لا تمنع الأعمدة رؤيته رغم كثرتها وأسافلها أدق من سائرها وذلك من أثر الصنعة والنحت وليس لكونها في الأصل دقيقة. وأجمل

مـافي هذه الأعمـدة النقـوش المحفـورة فـيهـا على الطراز الإسـلامي في النقش والحفر على الخشب.

وقد رأيت بعض الأعمدة الضخمة ساقطة على الأرض لكون المسجد قد تهـدم بعضـه، وبعضـه أرادوا أن يصلحوه على أساس قوى فـاسقطوا بعض هذه الأعمدة لكي يرمموها بالنقش والتنظيف ثم بعده يعيدوها إلى مكانها في عـملية عامـة لإعادة بناء المسـجد. وتلك الأخشـاب التي منها الأعمدة تبدو صلبة كصلابة الحجارة ولم تؤثر السنون في صلابتها.فلما أبديت ذلك لأخـوين كانا يـشرفـان على إعادة بنـاء المسجـد أخبـراني أن عمـوداً منـها أرونا إياه يبلغ وزنه ألفـاً ومائتي كـيلو جرام ، ولم استـغرب ذلك لضخامته وصلابته التي ينشأ عنها ثقل وزنه.

وذكروا أنه من أخشاب شجر عندهم اسمـه كرمان وشجر آخر اسمه نروان والأول أصلب.

جامع شالي كار:

ودعنا مرافقينا من مصلحة الآثار الذين كانوا في استقبالنا عند زيارة القلعة ومنهم الدليـل وقد أعطيته شـيئا قليـلا فقال الإخوة المرافـقون : أنه موظـف حكومي . فقلت ولو كان ذلك.ومن القلعة ذهبنا إلى جامع (شالي كار). واسـمه الرسـمي (جامع نيـاز شاليكار) ومعناه طـباخ الأرز فكان معنى اسم باني المسجد وهو (نياز شالي كار) نيازاً طباخ الأرز، فشالي: أرز ، وكـار: صنعة. بمعنـى مهنة . ولما سـألتـهم عن طباخ الأرز كـيف استطاع بناء هذا المسجد الضخم مع مـدرسة غيره أجابوا بأن هذا الاسم

لأسرته وإلا فهو لا يعمل طباخًا وإنما عمله كان مرشدًا للقوافل ، فوجد في بعض المواضع موميًا أي ميتًا من أموات الأقدمين محنطًا وبجانبه اناء فيه ذهب فأخبر الملك بذلك فشكر له أمانته ورأى أن لايأخذه منه اعجابًا بأمانته وتورعًا عن أكله فبنى به هذا المسجد، ومدرسة اسمها المباركة. وكتب تاريخ بناء المسجد على بابه الخارجي وأنه في عام ١٢٥١هـ وهذا نص الكتابة بالعربية : مسجد جامعي سني سيد نياز شاليكار . بنى عام ١٢٥١هـ.

ودخلنا المسجد والمؤذن يؤذن لصلاة الظهر ، فتلبث القوم قليلاً قبل أن يجتمعوا وهم في عدة صفوف أغلبهم من المسنين، ذوي المظهر الذين يبدو عليهم عدم العناية بالمظهر من اللباس وتزيين الشعر فأغلب اللحى متروكة دون أن تمشط أو تسوى أي بدون عناية ، والملابس هي البخارية الثقيلة التي نعرفها مع أننا في فصل الصيف وقد عانينا من الحر وشدة الشمس ونحن نرتدي ملابس خفيفة.

ولكن مامن شك في أن هذه هي ملابسهم في الشتاء أو في سائر الأوقات غير الشتاء القارس البرد. وهم في المظهر كالبخاريين الذين نعرفهم في بلادنا إلا أنهم أقل نضارة من أهل طشقند وربما كان ذلك بسبب الجو الصحراوي القاسي.

ومما يبشر بالخير أن رأينا طائفة من الصبيان قد حضروا مع آبائهم للمسجد من أجل تلقي درس تلاوة القرآن فيه.

وقد سمعنا تلاوة من بعضهم فوجدناها جيدة بالنسبة إلى كونهم حدثاء

عهد بتلاوة القرآن الكريم. إذ كان القانون السوفيتي يحظر تعلم الدين على أبناء الشعب ، وكل من عرف أنه لقن ابنه مبادىء الدين أو درسه القرآن تعرض للعقاب الشديد.

وكنت أتأمل هذا المسجد فأجد أعمدته غليظة جدًا لأنها فيما يظهر من الآجر الذي شبك بعضه ببعض وأدخل في صنعة من البناء عجيبة حتى صار قويًا، ولكن الأعمدة صارت ضخمة بحيث تحجب نظر من يكونون في جزء من المسجد عن الآخرين الذين يكونون في جزء مقابل منه.

وقد ألقيت فيهم كلمة مطولة بعد الصلاة تأثر أكثرهم خلالها وبكوا وبعض كبار السن الذين كانوا قد عانوا من الاضطهاد الشيوعي صاروا ينتحبون حتى علا نحيبهم. وقد ترجمها لهم الشيخ المفتي محمد صادق الذي كان معنا في هذه الجولة فكان يتابع الترجمة من كلامي بالعربية جملة جملة. وهي كلمة مرتجلة كالعادة كان مما جاء فيها: إننا نحمل إليكم تحيات إخوتكم في رابطة العالم الإسلامي وغيرهم من جوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة ومن مهابط الوحي هناك وفي المدينة المنورة جئنا لا لغرض سياسي ولا اقتصادي وإنما لمحبتكم لله وفي الله.

إن الأزمان الطويلة التي مرت دون أن يكون لنا شرف زيارتكم ودون أن تتمكنوا أنتم من زيارتنا في حج أو عمرة لم تضعف محبتنا لكم، بل لم توهن العلاقة القوية التي قامت بيننا وبينكم منذ أن دخل الدين الحنيف إلى هذه البلاد.

إنكم أيها الإخوة أحفاد قوم كرام حملوا راية الإسلام خفاقة منذ أكثر

من ألف وثلثمائة عام . وتحت هذه الراية ظهر منكم العلماء والمحدثون والفقهاء والمفسرون والرياضيون والفلاسفة الذين أمدوا البشرية بفيض من علومهم في أوقات كانت البلاد الأوروبية التي تتزعم الحركة العلمية الآن في العالم لا تعرف شيئا من العلوم بل كانت سادرة في جهل مظلم وضلالة عمياء . ثم قلت لهم : إنني أناشد كل واحد منكم أن يتذكر أن آباءه قد نقلوا الإسلام إليه سلفاً إلى خلف منذ القرون الأولى للإسلام حتى الآن فحذار أن تنقطع هذه السلسلة الذهبية من الآباء والأجداد المسلمين بسبب اهمال منكم لأولادكم. فاحرصوا على تعليمهم الدين الإسلامي الحنيف وعلى تنشئتهم تنشئة إسلامية علمية حتى يملؤا هذه المدارس التي شاهدناها اليوم خالية من العلم والعلماء وكانت عامرة في القديم بأجدادهم. وفي آخر كلامي دعوت الله تعالى لهم بأن نراهم جميعاً في مكة المكرمة والمدينة المنورة حاجين ومعتمرين.

وقدمت لهم تبرعاً رمزياً من الرابطة لصرفه فيما يحتاج إليه هذا المسجد.

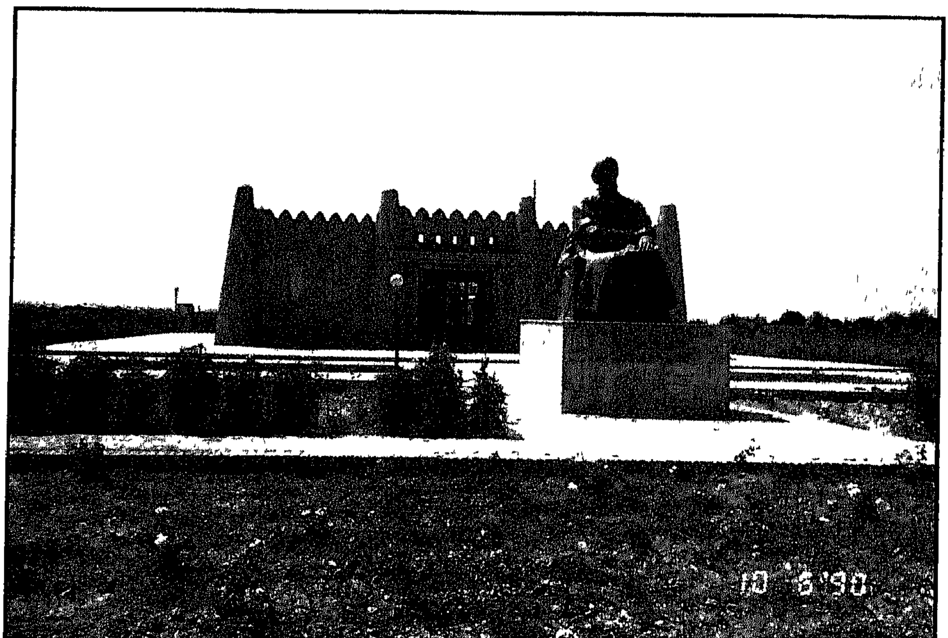
بيت الشاعر:

والمراد به بيته الذي يسكن فيه وليس بيته الذي قاله.

والشاعر هو وطني من أهل هذه البلدة خيوه يعرف (بآقاهی) واسمه محمد رضا (آقاهي) وشعره باللغة الأوزبكية ذكروا أنه أعظم شعراء البلدة الذين نظموا الشعر بالأوزبكية في العصور المتأخرة وأنه توفي منذ(١٧٠) سنة وشعره في الآداب والأخلاق والنصائح. وقد أعادوا بناء بيته الذي يسكن فيه على مثل ماعليه طراز البناء في هذه البلاد

وجعلوه بمثابة المتجف الذي فيه مكان للاستراحة. وأقاموا للشاعر تمثالاً أمامه. وليس ذلك فحسب وإنما حافظوا على شجرة معمرة من أشجار التوت كان قد غرسها بنفسه في فناء البيت أي قبل حوالي مائتي سنة.

غادرنا مسجد (نياز شاليكار) مخترقين شوارع من مدينة خيوه ليست واسعة عليها البيوت الطينية القديمة أو ذات الطراز القديم الذي يبنونه من الطين حتى في الوقت الحاضر. فوقعنا في الريف بسرعة، لأن البلدة صغيرة يقدر سكانها بثمانين ألف نسمة كما سبق. فوصلنا إلى (آقاهي) حيث تمثال الشاعر الكبير يتوسط حديقة نضرة في منطقة كلها مزروعة بزراعة حقلية نضرة. وقد أسموا الحديقة باسمه.



منزل الشاعر وتمثاله في خوارزم

ونزلنا عند بيته الذي بدا على البعد كأنه قلعة صغيرة ذات أبراج في أركانها الأربعة وهو مبني من الطين أسفله أضيق من أعلاه بتدرج متناسب مثلما عليه بعض أبنية قلعة خوارزم. أما سقفه فإنه بالخشب وليس بعقود الآجر التى رأيناها فى بعض أبنية القلعة. وجدناهم قد مدوا مائدة مستطيلة متطامنة كالعادة عندهم ووضعوا عليها الفاكهة ومقدمات الطعام المعتادة في تركستان وقد جلسنا على الأرض المفروشة، وكان الجو حاراً كأنه الجو في أيام الصيف في الرياض غير الشديدة الحرارة فذكروا أن الحرارة في هذا اليوم في حدود ٤٢ وأنها قد تبلغ ٤٧ – ٤٨ في بعض الأيام الشديدة الحر في القيظ.

ولم يكن في المكان مايساعد على تحمل الحر من مراوح أو مكيفات وإنما جعلوا بابي المكان مفتوحين فصار الهواء يدخل منهما ويخرج مما خفف قليلاً من الشعور بالحر . وإن كان العرق يتصبب منا .وقد أحضروا الطعام وافراً سخياً أكثر مافيه لحم الغنم الطازج والشربة التركستانية الحارة. وكانت أسراب الذباب تتطفل بل تتردد في المكان كأنما ترى لها حقا مثل حق السكان. مما ذكرني بأيام لنا خوال قبل التطور الأخير عندما كان يؤتي بالطعام حاراً في نهار الصيف مع عدم وجود مراوح أومكيفات فتسارع أفواج الذباب إليه، ولم يكن لدينا آنذاك ما نكافحها به إلا أن نذودها عنه ثم لا تلبث أن تعود. ومن جديد مافي هذه المائدة المكرونة باللبن والجزر مع الخضروات . وهذا شاهد من الشواهد الكثيرة على كرم إخواننا أهل تركستان لضيوفهم في موائدهم يستوي في ذلك تركستان الشرقية والغربية.

إلى جمهورية تركمانستان

جمهورية تركمانستان الاشتراكية السوفياتية:

تقع في جنوب غرب تركستان الغربية بآسيا الوسطى على حدود إيران .

تأسست هذه الجمهورية التي عاصمتها (عشق آباد) في ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م وتقدر مساحتها ٤٨٨١٠٠ كم٢ وبلغ سكانها ٢٧٥٩٠٠٠ نسمة في إحصاء عام ١٩٧٩م ونسبة المسلمين منهم ٨٣ في المائة.

وتضم تركمانستان مدن مرو وسرخس وبيهق ونسا وشهرستان وآمل وغيرها من المدن التي كانت قد اشتهرت في الحضارة الإسلامية وأخرجت عدداً عديداً من العلماء المسلمين في فنون مختلفة.

كان الشيخ (نصر الله عباد الله) قاضي تركمانستان قد استقبلنا فى خوارزم كما تقدم وقد صحبنا في جولتنا هذا اليوم وذكر أنه جاء يدعونا لزيارة جمهورية تركمانستان التى لا تبعد حدودها عنا إلا ستين كيلو متراً، ونزور مدينة (تاش حوض) التركمانية كما أننا سنزور المساجد فى القرى التي فى الطريق.

فوافق ذلك هوى فى نفسى. لا سيما أننا هنا فى بلاد يطول فيها النهار فى الصيف فنستطيع أن نرى فى ضوء النهار أشياء كثيرة.

إلى تركمانستان:

غادرنا (خيوه) فى الساعة الثالثة والثلث من بعد الظهر على سيارة الضيافة الحكومية وهي السوداء الطويلة وخلفها سيارة أخرى.

وتبعد حدود جمهورية تركمانستان عن خيوه ٦٠ كيلو متراً. صرنا نسير فى ريف جيد خصب وقد اشتدت الحرارة فقالوا بهذه المناسبة أن

درجة الحرارة بعد شهر أي فى شهرى تموز وآب (يوليو وأغسطس) تبلغ فى النهار ٤٦ درجة مئوية .

والطريق أزفلتي جيد إلا أنه غير واسع وهو للذاهب والآيب. وتباريه قناة واسعة قادمة من نهر جيجون (امودارايا) تروى هذه الأرض الصحراوية العطشى وقد فعلت حتى غدت الصحراء جناناً خضرا.

أنحن فى نجد؟

أوغل الطريق قليلاً فى الريف ونحن لا نزال فى إقليم خوارزم ويسمونه (محافظة خوارزم) وإذا بالأرض الصحراوية تصبح رمالاً غير مرتفعة تهتز فيها أفنان الغضا!

نعم، إنه غضا نجد بأغصانه وأهدابه ، بل إن الأرض صارت قصائم وهى الرمال التي فيها أشجار الغضا وهى جمع قصيمة التي أخذت منها كلمة القصيم.

قلت وأنا مدهوش مما رأيته أرجوا أن تقفوا ووقفوا والتقطت للمنطقة صورة لم تكن واضحة لبعدها. ولم استطع الاقتراب منها لأنها إلى يسار الطريق وبيننا وبينها قناة الماء المنقادة من نهر جيحون تمنع من الاقتراب من تلك المنطقة.

وعجب القوم فقلت لهم: إن هذه قطعة من بلادى هاجرت إلى بلادكم عندما كانت عامرة بالعلم والعلماء يهاجر إليها العلماء والشعراء وحتى طلاب التجارة والمال.

وذكرت عندئذ قول الشاعر القديم الذي كان فى حالة عكس حالتى إذْ كان يتشوق إلى خوارزم وهو فى نجد، ولعله رأى فيها غضا مثل هذا الغضا الموجود فى خوارزم . قال:

أأبكاك لما أن بكى فى ربى نجد
سحاب ضحوك البرق،منتحب الرّعْدِ

له قطرات كاللآلئ فى الندى
ولى عبرات كالعقيق على خدي

تلفتّ منها نحو خوارزم والها
حزيناً، ولكن أين خوارزم من نجد؟

على أن الذي هاج الذكرى فى خوارزم هو هذا الغضا ولم تكن ذاك من ضيق أحسست به أولوعة شعرت بها لأنني الآن بين إخواني الذين يكرموننى أكثر مما يكرمون أهليهم وذويهم وأنسوني بذلك الغربة، بل أنسونى الأهل والولد فى تلك السويعات القصيرة التي قضيناها فى (خوارزم).

ولم يكن الوقت يسمح بالبقاء عند غضا نجد فتركناه مع الطريق الذي اعترضته قناة ثانية قادمة من نهر جيحون أيضاً. فتجاوزها فوق جسر أقيم عليها.

وكثرت البيوت الطينية فى هذا الريف وذلك لكون بعض الأراضي أراضي للفلاحين صغيرة أما سائر المزارع التي تماشي الطريق فإنها (كولخزات) أي مزارع جماعية تؤجرها الحكومة لعدد من الناس يتعاونون على زراعتها ويقترضون ما يلزم لذلك من الحكومة ثم يعيدون ما اقترضوه ويقتسمون الباقى من غلتها. وبعض بيوت الطين التي ترى من الطريق جديدة وكلها مسنمة السقوف، ولكن تسنيمها مائل إلى جهة واحدة من أجل أن تنزلق عنها الثلوج إذا وقعت فى الشتاء.

وهناك قلة من البيوت من الآجر الأبيض وحتى محطة انتظار الحافلات مبنية بالطين، وليس على الطريق أشجار فى هذه المنطقة.

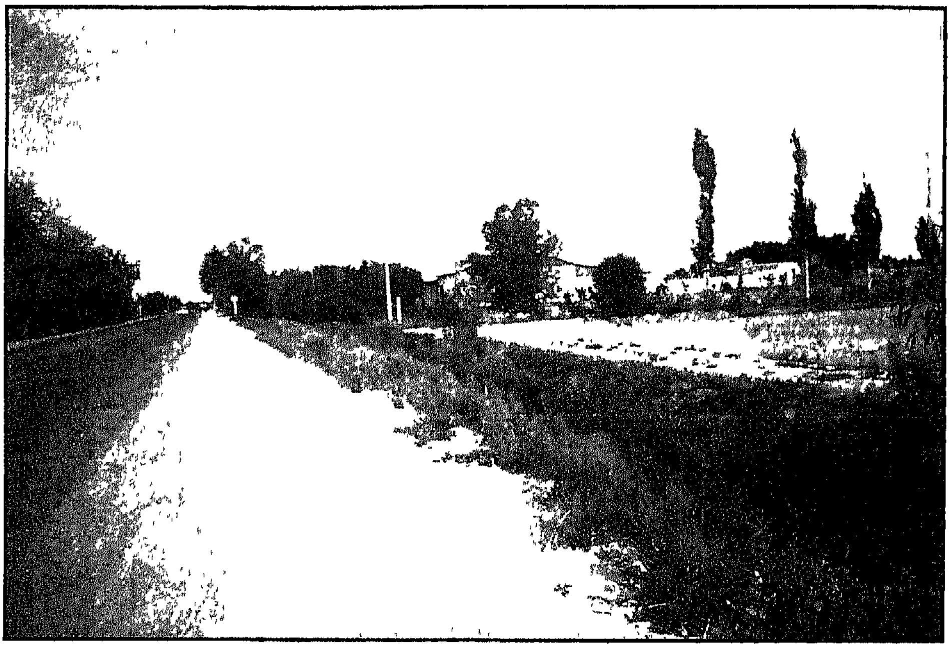
والسيارات فيه قليلة ولا يرى من حيوان فى المزارع ولعله فى داخلها. وحتى الناس لا يكاد المرء يراهم من السيارات . وربما كان ذلك بسبب حرارة الشمس.

أما الذين يرون من الناس فى المزارع فإن مظهرهم جيد. وبخاصة النساء اللائى يلاحظ المرء أن الحر مع التعرض للشمس قد صبغ وجوههن بلون أحمر أكثر مما فعل بالرجال . وكلهن يلبسن قمص الحرير غير السابغة ما عدا الكبيرات فى السن فيلبسن ملابس محتشمة.

حدود الجمهورية:

بعد مضى ٦٠ كيلو متراً من السير وصلنا حدود جمهورية أوزيكستان مع جمهورية تركمانستان وعلامة الحدود بوابة رمزية يشبه أعلاها القوس من الخشب، ولم نقف عند هذه الحدود فهي حدود رمزية، وإن كانت الجمهوريتان كلتاهما يقال: أنهما مستقلتان، وتوصف الواحدة منهما بأنها جمهورية اتحادية وتلك صفة الجمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي إذا كانت لها حدود مع دولة أجنبية، فجمهورية أوزبكستان لها حدود مع أفغانستان . وجمهورية تركمانستان لها حدود مع إيران.

وقد استمرت القناة التي كانت قادمة من نهر جيحون في طريقها من داخل خوارزم التي هي جزء من جمهورية أوزبكستان إلى تركمانستان لم تبال بالحدود.



الطريق إلى تاش حوض

والحقيقة أن وصف هذه الجمهوريات بأنها مستقلة هو شكلى وإلا فإن مقاليد الأمور الحقيقية هي فى يد موسكو وإن كانت قد بدأت تتراخى فإنها كما قال طرفة بن العبد فى الموت:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكا لطول المرخى وثنياه باليد

والطول المرخى: الحبل الذي أرخاه ممسكه وإن كان لا يزال يمسكه بيده.

نهاية القنوات لنهاية النهر:

ذكروا لنا أن القنوات الكبيرة التي شقوها من نهر جيحون لتروي هذه الصحارى الخصبة التربة تذهب إلى أن تصب بقاياها فى بحيرة أورال التي كان أسلافنا العرب يسمونها بحيرة خوارزم.

وتبعد عن خوارزم بأكثر قليلاً من (٤٠٠) كيلو متر من جهة الشمال. وهى التى ينتهى إليها نهر جيحون (أموداريا) وسيحون (سرداريا) وهذا هو الذي ذكره الجغرافيون العرب. ولا يزال الأمر كذلك، إلا أن كثرة استنزاف مياه النهرين والقنوات التي شقت منهما للري وفرقت مياهما فى أماكن عديدة، والمشروعات الزراعية التى أقيمت عليها لانتاج الطعام للسكان الذين يتزايد عددهم فى الإتحاد السوفيتي قد قلل ما يصل منهما إلى (بحر خوارزم) هذا الذى يسمى الآن بحيرة (أرال) إلى حد كبير. إضافة إلى السدود على الأنهار والنهيرات الأخرى التي حبست المياه عنها مما جعل مياهها تتناقص حتى قد توشك على النضوب.

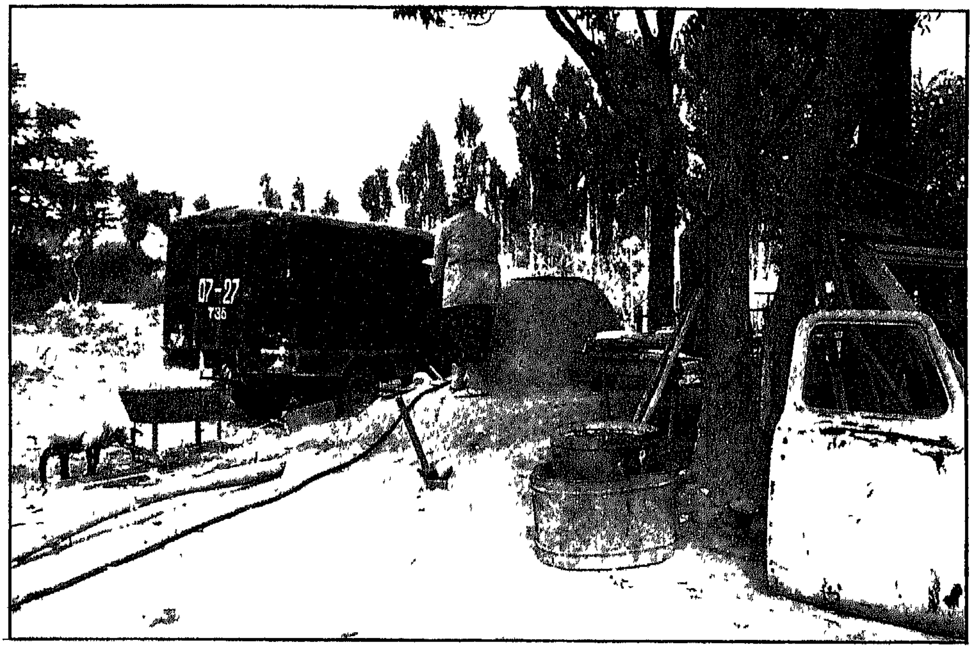
ونظرًا لأنها بحيرة داخلية منخفضة وفي مياهها معادن مختلفة. وتصرف إليها فضلات مصانع فيها مواد كيماوية ضارة وكذلك تصرف إليها مياه الري المستعملة التي تحمل بقايا من الأسمدة الضارة ومن المبيدات الحشرية. إضافة إلى عوامل التبخر المعتاد بخاصة فى القيظ حيث تشتد حرارة الشمس فإن البحيرة صارت تطلق أبخرة ومواد مضرة بالبيئة، وقال بعضهم: أنها سامة حتى عزوا إليها أمراضاً كثيرة

أصـابـت الناس ومن ذلك ولادة أطفـال مشــوهين وأورام سـرطانـيـة. وأضرارضخمـة بالبيئة فى الوقت الحاضر. وينبـغى أن يعرف القارىء الكريم أن (أرال) هنا هي بفتح الهمـزة بخلاف (أُورال) التي هي اسم الجبال الشمالية البعيدة منها فإن همزتها تنطق مضمومة، ولا علاقة لاسمها باسـم هذه البحيرة، التى كانت تسمى فى المراجع العربية (بحر خوارزم) أو (بحيرة خوارزم) كما تقدم. فجبال أورال تفصل بين قارتي أوروبا وآسيا كما هو معروف.

بلدة تاش حوض:

وصلنا إلى بلدة تاش حوض ومعنى اسمهـا : الحوض الحجري فتاش حجر بالتركمانيـة، و (حوض) هي العربيـة المعروفة التي جمعها أحواض.

وهذه المدينة هي أقرب بلدان تركمانستـان إلى خوارزم. وهي مركز لمحافظة (تاش حوض) كان وصولنا إليهـا بعد الرابعة. وكانت التحية الأولى من أهل هذه البلدة خبزًا حارًا جدًا أخذوه من تنور لهم كانت النساء يخبزن فيه الخبز ونحن ننظر. ولم تكن بنا حاجة إلى أي طعام. إلا أن كل واحد منا أخذ بطرف أصبعيه قطعة صغيرة بمقدار حبة العنب من الخبزة، لأن هذه هى العادة المتبعة عندهم.



الفرن الذي قدموا منه الخبز الحار في المنطقة الريفية التابعة لتاش حوض

وكان وقوفنا فى منطقة ريفية خالصة بيوتها من الطين وأرضها غير معتنى بها، حتى إنني لم أر أزقة مستقيمة أو شوارع ظاهرة وذلك أنها ريفية غير متلاصقة البيوت وحتى المتلاصق أو المتقارب منها تفصل بينه مساحات من الفراغ غير المنتظم وهناك أشجار ضخمة رأيت بعض الأبقار رابضة تحتها. وبئر تستقي منه نساء مما يدل على عدم وجود الماء فى البيوت. وقد صورته وهن حوله.

مسجد الله برقان ايشان:

وهو مسجد جديد منحتهم الحكومة أرضه دون مقابل فبنوه كما يبنون بيوتهم بالطين، وسقفوه بالخشب، وحتى العمود فى وسطه هو من الخشب. وقد جعلوا تحت السقف خشبة ضخمة معترضة وضعوا عليها

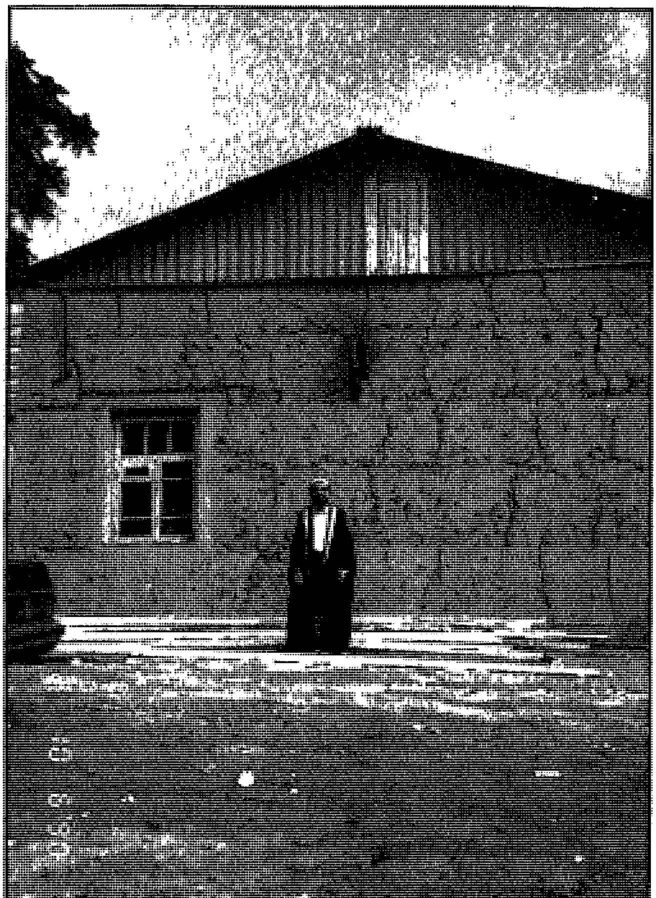
بقية الأخشاب التي تحمل السقف. ومعنى اسمه : عطاء الله إيشان وقد اسموه بهذا الاسم على اسم شيخ يسمى (الله برقان ايشان) بمعنى الشيخ الصوفي عطاء الله، فبرقان : عطية أو عطاء، وإيشان : شيخ صوفى.

قابلنا فى المسجد المتولي أي رئيس الجمعية المباشرة للبناء الأخ (قربان بن رجب بابي) وهو مسن متقاعد وكان عامل بناء. ذكر لنا أن نفقات بناء المسجد هى من المسلمين تعاونوا على ذلك فيما بينهم ولم يتلقوا أية مساعدة من خارج المنطقة.

ولاحظت أن سحن الناس الذين هم من التركمان تختلف قليلاً عن سحن إخوانهم فى خوارزم وحتى فى أوزبكستان مع أن الأوزبك هم فى الأصل أقوام من الترك ولكنها افترقت عن الفروع التركية الأخرى منذ زمن . وتتضح السمات البخارية التي نعرفها فى الحجاز عن التركستانيين الذين نسميهم البخاريين فيهم أكثر مما هي فى التركمان.

وأما الخوارزميون فإن فيهم أعراقاً فارسية اختلطت بالأعراق التركية، وإن كانت التركية أو لنقل التركستانية أو البخارية فيهم أكثر ومظهرهم كمظهر البخاريين إلا فى أمور لا يعرفها إلا خبير أو دقيق الملاحظة وقد كرر الإخوة الذين معنا والذين التقينا بهم القول بأننا أول وفد إسلامي يصل إلى هذه المنطقة فى خلال التاريخ الذين يعرفونه من تاريخها.

وقد شجعت المتولى الأخ (قربان بن رجب بابي) على عمله وقلت له: إن هذا هو العمل الباقي الخالد الذي يستمر أجره لك بعد وفاتك فلا تقلق من العمل الشاق والنفقات التى عليك أن تجمعها. فإن الله تعالى سييسر أمرك كما قال تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب» وها نحن الآن نقدم تبرعًا حاضرًا للمسجد لإتمام ما يحتاج منه إلى اتمام. وإذا لم يكف فإننا مستعدون فى المستقبل بالاسهام مرة أخرى من رابطة العالم الإسلامي فى مكة المكرمة. فشكر ذلك هو وجماعة من المسلمين الذين كان مظهرهم مظهر الفلاحين لأن المنطقة ريفية. وقد تبرعنا لهذا المسجد من الرابطة كما تبرعنا لغيره من المساجد التي رأيناها .



المؤلف بجانب مسجد الله برقان إيشان في تاش حوض

محلة أمير قلعة:

محلة بمثابة القرية لأنها تكاد تكون منفصلة عن غيرها بمزارع واسمها (أمير قلعة) عربي بلفظتيه تعني أمير القلعة. وقفنا في هذه القرية من أجل الاطلاع على مسجد فيها يسمى: «مسجد أمير قلعة» كان مسجداً قديماً فصادره الشيوعيون ثم هدموه ثم استعاده المسلمون قبل ستة أشهر. وحالما تسلموه تنادوا فيما بينهم وبدأوا العمل لعمارته منذ أشهر فقط وقد صبوا أساساته بالاسمنت المسلح وبدأوا ببناء الحيطان ولم ترتفع بعد. قابلنا فيه القائم عليه الذي يسمونه المتولي – بكسر اللام – وهو الأخ (يوسف بابا بير محمد اوغلو). وبجانبه أرض كانت للمسجد قبل أن يهدم وهي مزروعة الآن يطالبون باستعادتها لتكون ملحقة بالمسجد والأرض ريفية خصبة تشقها ترعة من نهر جيحون غير كبيرة تمر من أمام المسجد من جهة الشمال الشرقي.

كما حضر إلينا المعلم الذي يشرف على البناء واسمه (أمير بن محمد). وقد ذكروا أن هذا المسجد قبل هدمه كان فيه أربعة من القراء ما بين إمام ومعلم للقرآن ولكنهم ماتوا ولم يجدوا من يخلفهم في مكانه لانقراض العلماء بسبب انعدام التعليم الديني الإسلامي، كما ذكروا أن هذا المسجد بقي سنوات طويلة بعد الحكم الشيوعي سليماً لم يهدم.



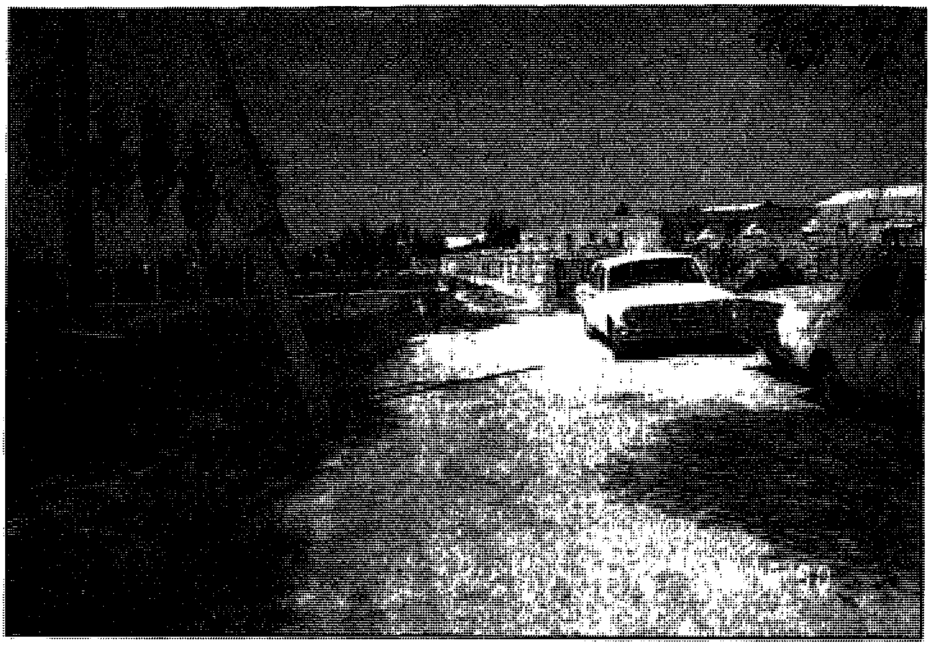
المؤلف في مسجد أمير قلعة مع متولي عمارة المسجد والأستاذ رحمة الله بن عناية الله

ولما أخبرتهم أننا نقدم تبرعًا من رابطة العالم الإسلامى لهذا المسجد قدره ثلاثة آلاف دولار أمريكي وهو مبلغ كبير عندهم لم يصدقوا ذلك. وقال أحدهم: أن المبلغ كبير بالنسبة للتبرعات التي يجمعونها ولكنه أيضاً مبارك لأنه من مكة المكرمة. فقلت لهم: وأضيف إلى ذلك أننا إذا جاءنا خبر من الشيخ نصر الله رئيس الإدارة الدينية- وكان معنا- بأنهم قد أنفقوا كل ما عندهم ولم يكتمل المسجد فإننا على استعداد لتقديم تبرع آخر.

جولة في مدينة تاش حوض:

جلنا جولة سريعة فى ضواحي مدينة (تاش حوض) التى هي متفرقة المبانى وبعض أحيائها يقع على حواشي أراض زراعية. ويبلغ سكان

(تاش حوض) مائة وعشرة آلاف نسمة ٧٠٪ منهم من المسلمين و٣٠٪ من الروس والأوكرانيين والأرمن وهى بهذا أعلى نسبة فى عدد المسلمين من العاصمة عشق آباد التى يؤلف المسلمون الآن فيها أقلية مع أنها فى الأصل مدينة إسلامية فى منطقة إسلامية منذ ألف وثلثمائة سنة، وأن أغلبهم من الأوروبيين من روس وأوكرانيين وأرمن وغيرهم.



ضاحية في تاش حوض في تركمانستان

الإدارة الدينية:

تجاوزنا طريقًا قد كادت تسده أكوام مكومة من أغصان القطن اليابس ذكروا أنهم يوقدون به على أفران الخبز. فوصلنا إلى مقر الإدارة الدينية وفيه مكتب لمرافقنا الشيخ نصر الله بن عباد الله وفيه مكتبة

عربيـة جيـدة فالشيخ يجـيد العـربية إذ درس فى مدرسـة ميـر عرب فى بخارى ثم التحق بمعهد الإمام البـخارى فى طشقند. واستكمل تحصيله فى القاهرة.

وجدنا فى مكتبه مائدة حافلة بالفـاكهة المنوعة ومنها التوت والخوخ ثم جاءوا بالأواني متـرعة بالمآكل الدسمة من اللحم والأرز والحـساء المثقل بالشعيرية، فلم نستطع أن نـأكل. لأن هذا بمثابة الغداء الثالث الذى قدم لنا هذا اليـوم، إذ نحن الآن فى الخـامـسة ولـم يحن وقت صلاة الـعصـر بعد.



المؤلف وعلى رأسه الطاقية التركمانية على مائدة مفتي تركمانستان
الشيخ نصر الله عباد الله في الإدارة الدينية

حديث عن الإسلام فى تركمانستان:

كان الشعب التركماني كله من المسلمين قبل الحكم الروسي على تركمانستان ولا يزال التركمان كلهم من المسلمين غير أنه هجرت إلى بلادهم طائفة من الروس والأوكرانيين والأرمن وغيرهم من المسيحيين. فحل هؤلاء فى المدن الكبيرة لأن قسماً من التركمان لا يزالون من أهل البادية والأرياف ولا يسكنون فى المدن. وبذلك يتضح السبب فى كون عاصمة تركمانستان وهى مدينة (عشق آباد) قد أصبح المسلمون فيها أقلية أما الأكثرية من سكانها فإنهم من غير المسلمين، ولذلك لا يوجد فيها رغم اتساعها إلا مسجد واحد. أما الأرياف والبوادى فى تركمانستان فإنهم كلهم من المسلمين، بل لفظ تركماني تعنى مسلماً فى هذه البلاد وإنما أولئك الأجانب الطارئون عليها فإنهم يعرفون بأصولهم فى بلادهم التى قدموا منها مثل روسي وأرمنى ولو كانوا مقيمين فى تركمانستان.

وقبل سياسة (البروستريكا) وهى إعادة البناء فى الإتحاد السوفيتي التى ترتب عليها قدر من التسامح مع الدين وتراخى الدعاية الإلحادية لم يكن فى تركمانستان إلا أربعة مساجد، أما الآن فإنه يوجد كما قال لنا الشيخ نصر الله عباد الله أربعون مسجداً. والستة والثلاثون مسجداً التى زادت بعضها لم يتم بناؤه لأنها كلها تعتبر جديدة ولو كان بعضها فى مكان قديم قد تهدم ويبنى فى مكانه الآن مسجد جديد.

مسجد شالي كار:

بعد الطعام والكلام عن أحوال الإسلام فى هذه البلاد فى مقر الإدارة

الدينيـة فى تركـمـانسـتـان التى هى أحـق مكان نتكلم فـيـه عن الإسـلام ونعرف منه أحـوال المسلمين . انتقلنا وقد انضم إلينا عـدد عديد من أهل البلاد إلى مـسجد مـجاور اسمـه مسجـد (شالي كار) ومنهم رجل اسـمـه (راز محمد) ومعناها رمضان مـحمد لأن راز هو شهر رمضان وقد ولد فى رمضـان فسموه (راز) وهو تركـمانى أصيل عليـه طاقية تركمـانية أصيلة وهى ضخمة ثقيلة يكاد ينوء رأسه بحملها. سألته بعد أن التقطت له صورة وهو يضعها على رأسه لم يلبسها على ثقلها؟ فقال: هى تحمى الرأس من الشمس. فقلت له ألا يشق عليك حملها؟ فقال: حملها أهون من ضربة الشـمس إذا عرضت رأسي لهـا. ثم أسرع ينزعهـا من رأسه ويضـعهـا فوق رأسي. ويقـول: منى إليك . فـقلت له وقد ناء بهـا رأسي: هى مقبوله موفورة. فقد قـبلتها ورددتها عليك مع الشكر وهنا كان رفيقى الأستاذ رحمة الله يلتقط لى صورة وهى على رأسي.



الأخ راز محمد على رأسه الطاقية التركمانية مع طلبة الإدارة الدينية في تاش حوض وعلى يساره المؤلف

وذكرت بهذه القلنسوة قلنسوة أهل الداغستان فى جبال القوقاز التى تكون كبيرة سميكة غَليظة وقد جعلوها هكذا ليس من أجل الحر وإنما اتقاءً للبرد الشديد الذي يصيب بلادهم فى كل شتاء.

كما ذكرت العمامة السودانية الشهيرة ذات الطيات المتعددة التى كلما ذهب المرء جنوبًا ازدادت طياتها لأن خطر الإصابة بضربة الشمس على الرأس تكون أكثر. أما هذه القلنسوة أي (الطاقية) التركمانية فلا شك أنها تجمع بين الوقاية من البرد والوقاية من الحر لأن بلادهم صحراوية الطابع ترتفع فيها درجة الحرارة فى الصيف إلى ٤٥ درجة وتتدنى فى الشتاء إلى ما تحت العشرين تحت الصفر.

ونعود إلى الكلام على مسجد (شالى كار) فنقول أنه قديم صادره الشيوعيون فاستعاده المسلمون فى وقت قديم نسبيًا وهو عام ١٩٧٤م، وبنوه وفق ما كانوا يحتاجونه فى ذلك الوقت ولكنه ضاق الآن بالمصلين فبنوا توسعة مهمة جديدة له ببناء أحسن من بنائه الأول من الآجر، والعمد والأساسات بالاسمنت المسلح. وقد أعطيتهم أربعة آلاف دولار إسهامًا من الرابطة فى نفقات هذه التوسعة.

ورأينا طائفة من الصبيان والفتيات فذكر لنا المرافقون أنهم يتعلمون قراءة القرآن فى المسجد ثم أمروهم بتلاوة آيات من القرآن الكريم. فتلوها ونحن وقوف لضيق الوقت فكانت تلاوتهم جيدة. وكانت عليهم القلانس (الطواقى) الأزبكية المربعة لأنها خفيفة مناسبة للصيف.

ولاحظت أن منارة المسجد قد أقيمت وحدها منفصلة عن المسجد

بمساحة من فنائه وليست ملاصقة له أو فى ركن من أركانه. وهذه طريقة لهم فى بناء مآذن المساجد قديمة رأيناها فى سائر تركستان وليس فى هذه المنطقة وحدها.



مسجد الإدارة الدينية في تركمانستان (تاش حوض)

وكانت مستعملة عندنا فى نجد، إذ لم يكن أهلنا يبنون منارة المسجد فى ركن من أركان البناء وإنما يبنونها منفصلة عنه وإن كانت قريبة منه. حدثنا إمامه وهو مرافقنا الشيخ الفاضل نصر الله بن عباد الله أن الذين يؤدون صلاة الجمعة فى المسجد يبلغون خمسمائة شخص وفى الأعياد أكثر من ألف.

في وسط البلدة:

والمراد به وسط أبنيتـهـا وبيوتـهـا ولـيس وسطهـا التـجـارى المسـمى بالداون تاون عند الأمـريكيين فهو ليس مـوجوداً هنا. تركنا مـقر الإدارة الدينية بجانب مسجد (شـالى كار) فوقعنا فى أرض ذكرتني بأرض نجد كما كان قد ذكرنـى غضـا خوارزم بغضا القصيم. وذلك أننا رأينا أرضـاً بعـد المزارع متـروكة وفـيـهـا أشـجار من أشـجار الحـمض التى نعـرفهـا بالقصيم. وفيها إبل ترعى كما ترعى إبلنا النجدية، إلا أنها لا تماثل إبلنا فى الرشاقة وخفة الحـركة فهذه ضخمة الأجسام . كـثة الأوبار، قصيرة القوائم. وربما صح القول بأنها ثقيلة الدم لولا أننى لم أزن دماءها.

والواقع أن الجو هنا – كما قدمت – هو صـحـراوى لولا وجود قناة آتية من نـهر جيحون أحالت صـحـراويتها الجـافة إلى ريف أخضـر فيما مسته من ترابها أما ما لم تمسه منها فبقى على صـحراويته ترعى فيها إبله.

واختـرقنا شوارع وأزقـة من مدينـة (تاش حوض) بيـوتها مـتلاصـقة وأكثـرها بيوت منفـردة شخصـية من طابق واحد أوطابـقين وليست من الأبنية المتعددة الطوابق.

ومما اسـتـرعى انتـبـاهى فـيـهـا أن الأهالى يـتـركـون بيـوت منازلهم مفـتوحـة. ولكن عليهـا ستائر من الـقماش من أجل أن يدخـل الهـواء إلى البيت من دون أن يرى من يمـر فى الشـارع من يكونون فـيـه. وذلك أن الجو حـار حتى أننا شعرنا بالحـر الشديد فى السـاعـة الخامسة أكـثر مما شعرنا به فى الثانية عشرة من الظهر.

ووقفنا فى الشارع أمام بيت مرافقنا الشيخ نصر الله بن عباد الله جزاه الله خيرًا فطلب منا أن ندخل إلى بيته فاعتذرنا عن ذلك بضيق الوقت فخرجت من بيته بنية معها خبز أخذه الشيخ منها وقدمه لنا ونحن فى الشارع رمزًا للضيافة والتكريم كما هو التقليد المرعي عندهم وأخذ كل واحد بقدر رأس الإصبع رمزًا للأكل وإلا فإن الشيخ نفسه كان قد قدم لنا فى مقر الإدارة الدينية غداء سخيا متكاملا كما قدمت.

ومررنا بمصنع للآجر أشاروا إليه باهتمام، وذلك لأهمية الآجر بالنسبة إليهم إذْ هو المادة القديمة القوية للبناء .لأن الأسمنت غير متوفر لكل من أراده منهم وقد جرى حديث أثناء السير عن اللغة التركمانية حيث لاحظت أن الكلمات العربية فيها أكثر منها فى الأزبكية والخوارزمية، وإن كانت اللغات الثلاث متقاربة حتى ربما صح القول بأنها لهجات وليست لغات منفصلة، وهى كلها مشتقة من اللغة التركية القديمة.

مسجد الصداقة:

وصلنا حيًا من أحياء (تاش حوض) اسمه (دوست ليك) بمعنى الصداقة وذلك لرؤية مسجد جديد فيه اسمه مسجد (دوست ليك) على اسم الحي. وهو مسجد جديد بدأوا به فى شهر ديسمبر من العام الماضى. وقد منحتهم الحكومة أرضًا كبيرة ليقيموا عليها هذا المسجد غير أن بعض سكان الحى من غير المسلمين عارضوا فى ذلك بحجة أن الحى محتاج إلى حديقة للأطفال فاقتطعت الحكومة منها قطعة أرض خصصت لحديقة الأطفال وبنوا المسجد على باقى الأرض.

كانوا قد علموا بوصولنا من قبل ولذلك وجدناهم مستعدين لوصولنا وقد فرشوا لنا الممر من المسجد إلى الشارع العام بفراش أبيض حتى نسير عليه إذا وصلنا إليه كما يفعل فى استقبال رؤساء الدول ومن فى معناهم فى المطارات ونحوها حين يفرش لهم فراش أحمر.

وذكروا أن المسلمين من سكان الحى عندما علموا بقدومنا تبرعوا بثمن هذا الفراش الذي وضعوه لأقدامنا تكريماً لنا ومحبة لإخوانهم فى الدين القادمين من الأراضى الإسلامية المقدسة.

وقد وجدنا جمهوراً منهم عند المسجد فيهم بعض النساء وعلى رأسهم الأخ سعد الله بن عبد الله رئيس جمعية المسجد أوالمتولى كما يسمونه ذكروا أنه متقاعد الآن وأنه كان خبيراً اقتصادياً فى متجر حكومى قبل تقاعده.

وجدنا المصلى الرئيسى من المسجد قد اكتمل بناؤه بطول ٤٧,٥ متراً وعرض ١٢ متراً وارتفاعه ٤,٥ متراً. ونقشوا على محرابه نقوشاً إسلامية بسيطة وذلك لضيق ذات اليد عن استقدام من يحسن أن ينقشه لهم نقشاً فاخراً ونوافذ المسجد من الخشب الجيد.وقد بنوا له منارة غير عالية وذكروا أنهم يريدون أن يبنوا له منارة أخرى كما أن المسجد يحتاج إلى تسوير فنائه الخارجى على سائر أرضه. وقد قدمنا لهم تبرعاً لم يكونوا يحلمون به . وشكروا الله تعالى على ذلك.

وتكلمت فيهم بكلمة موجزة أبلغتهم فيها تحيات إخوانهم فى بلاد الحرمين الشريفين وشكرتهم على صنيعهم وأن ذلك من الثواب المستمر لصاحبه لا ينقطع بموته، وطلبت منهم أن يعتنوا بأولادهم فيربوهم

تربية إسلامية لئلا يكونوا مسئولين أمام الله سبحانه عن ضياعهم إن ضاعوا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. وقد اخبرونا باعتزاز أن عدد المساجد في جمهورية تركمانستان كان أربعة فقط والآن في مدينة تاش حوض وحدها أربعة مساجد وأن العمل على بناء المزيد من المساجد مستمر. وقد أخبرونا أن جميع العاملين في بناء المسجد من بنائين ومحاسبين وغيرهم هم متبرعون يرجون الثواب من الله تعالى بذلك.

وذكروا أن كل نفقات المسجد من تبرعات المسلمين ومن لم يستطع منهم أن يتبرع بالمال تبرع بنفسه يبذل جهده ويشارك في بناء المسجد. هذا وكانوا قدموا لنا الخبز أول ما وصلنا وهو يابس فكسروا منه وجعل الرفاق يأكلون قليلا كما هي العادة.

وقد اجتمعت النساء مع الرجال وعليهن القمص الحريرية الملونة التي يكثر فيها اللون الأحمر وهي من الحرير الطبيعي المعتاد في هذه البلاد وقد أثرت الشمس الحارة في وجوههن كما أثرت في وجوه الرجال – حتى إن بعضهم بدا وكأنه من بدو الجزيرة العربية في سمرتهم، وذلك أن بعضهم من أهل البوادي والأرياف وهم في الأصل أقرب إلى ألوان العرب من غيرهم من أهل المنطقة.

العودة إلى خوارزم:

في السادسة غادرنا مدينة (تاش حوض) عائدين إلى خوارزم ولن نعود إلى مدينة خيوه التي قدمنا منها وإنما سنعود إلى مدينة أوركنج

ولذلك سلكنا طريقًا غير الذى قدمنا منه. ومن الأشياء التى استرعت انتباهى فى هذا الطريق جماعة يبلغ عددهم حوالى ٢٥ رجلاً قد اجتمعوا على بيت من الطين ذكروا أنهم يساعدون صاحبه على بنائه. فذكرت ما كان آباؤنا وأجدادنا يفعلونه وهو أن الرجل الذي يريد بناء بيته وبيوتهم من الطين مثل هذه فإنه يجد من يساعده من جيرانه أو أقاربه أوأصدقائه على ذلك، وبخاصة إذا لم يكن ثريًا يستطيع أن يدفع أجرة العمال الذي يحتاجهم لبناء بيته. لا سيما أن مكان هذا البيت التركماني هو فى قرية زراعية والجو شامس حار يشبه الجو فى بلادنا.

وأما المناظر من هذا الطريق فإنها مناظر الريف الخصب بسبب القناة التي سحبوها من النهر.

وفى هذا الطريق غرسوا أشجار التوت من أجل دودة القز. وأما الحقول فإنها أرز بينها مزارع للخضروات.

فى اوركنج ثانية:

قبيل الوصول إليها مررنا بقرية اسمها (قراوول قشلاق) متصلة المنازل بأوركنج وكانت قبل ذلك منفصلة عنها وإن كانت مثل ضواحى أوركنج تخالط بيوتها مزارع نضرة كأنها الريف فى البلدة أو البلدة فى الريف.

وكان القصد من زيارة (قراوول قشلاق) رؤية مسجد يبنى اسمه مسجد شهاب الدين خوجه و(شهاب الدين خوجه) أحد مشايخهم من العلماء وقد دفن فى هذه القرية التى اتصلت بمدينة أوركنج وهى

(قراوول قشلاق) وليس مدفوناً فى المسجد ولا فى جانبه لأن المسجد جديد كلياً حصلوا على أرضه من الحكومة مجاناً قبل تسعة أشهر وصاروا يجمعون التبرعات للبناء ثم بدأوا البناء قبل خمسة أشهر.

ذكروا أنهم لا يزالون يجمعون المال لبناء المسجد من عامة الناس وأنهم لم يحصلوا على أية مساعدة من أية جهة خارجية.

وذكروا أنهم يأملون أن يصلوا العيد القادم فيه ولو لم يكتمل كليا. وقد رأيناهم انتهوا من صب الأعمدة بالاسمنت المسلح القوى كأنها أعمدة الأبنية الضخمة التى تتألف من عدة طوابق. وذلك لقوتها وضخامتها وقد صبت بطريقة فنية عجيبة.

وقد ذكر أحدهم أنه كان فى المنطقة القريبة منه مسجد صغير قديم دخل فى توسعة الشارع.

قابلنا متولى المسجد أي القائم على بنائه ومن أعظم مآثره أنه كان يملك أرضا ورثها عن أبيه فتبرع بها للمسجد ثم رأس جمعية المسجد وصار يتولى جمع التبرعات لتعميره. واسمه عبد الرحمن بن بالتا بايا و(بالتا) بالتركية هى بلطة باللهجة المصرية الدارجة بمعنى فأس. وهو شيخ كبير عمره ٧٨ سنة ولكنه قوى البنية جم النشاط ، مع أن سنه هذه ٧٨ سنة تزيد بأشهر على ثمانين بالتقويم القمرى الذى نحسب به أعمار الناس عندنا. وذكر أنه كان يعمل جزاراً قبل تقاعده. ومن طريف ما ذكره عن نفسه أن له خمسة عشر ولداً ما بين ابن وبنت فسألته : أهم من زوجات؟ وكم عددهن؟ فأجاب إنهم كلهم من زوجة واحدة لم أتزوج

غـيـرها، وهي من أهل هذه القـرية (قـراوول قـشلاق). ثـم حضـر إمـام المسـجـد (روزه بابي عـبد الرحـمن) فـهم يصلون فى مـكان صـغـيـر من أرض المسـجـد. وقدمنا لـهم تبرعـًا بـالدولار الأمريكى اعـتـبروه كثـيـرًا وودعتـهم شاكرًا لهم جـهودهم وبخاصـة الأخ المتولى (عبـد الرحمن بن بالتـا بايا) الذى تبـرع بأرض المسـجـد وبالسـعى عـلى بنائه حـتى يتم ودعـوت له بالصـحة والعـافـيـة والأجر العظيم وقلت له: سوف نـخبـر إخـوانكم فى الحـرمين الشـريفين وفى غـيرهـما من بلـدان المسلمين بأنه يوجد فى هذه البلاد السـوفيتية أمثالكم ممن لم يمنعـهم كبر السن ولا قلة المال من بذل الجـهـد والمال عن تعـمـيـر بـيت من بيـوت اللـه عـلى هذا النحو القوي.



مع متولي مسجد قراوول قشلاق الأخ عبد الرحمن بالتا (تحت الإنشاء) في أوركنج على يمينه إمام المسجد فالمؤلف وعلى يساره الأخ رحمة الله بن عناية الله.

وقد سرت قليلاً على قدمى فى أزقة هذه القرية التى تعتبر الآن حياً من أحياء أوركنج، وصورت ما شئت تصويره منها فلاحظت فيها ما فى أوركنج من كون الناس يزرعون مكان الرصيف من الشارع بالخضروات ويغرسون فيه أشجار الفاكهة التى رأينا ثمارها تتدلى على أبوابهم. وحتى إذا وجدت قطعة أرض خالية بين البيوت ولو صغيرة فإنك تراها مزروعة مزدهرة. وأطفالهم موجودون فى الشوارع بكثرة ملفتة للنظر وقد تخففوا من اللباس فى هذا الجو الحار حتى أن أكثرهم ليس عليه من اللباس إلا السروال القصير، ورأيت بعض الأطفال الصغار جداً ليس عليهم ملابس أصلاً. ولا شك أن القوم يسعون إلى تفادى الحر بذلك مع أن الحر عندهم قصير العمر، وليس مثل ما عليه الحال عندنا بأن تكون أكثر أيام السنة حارة.

وقد تبادر إلى ذهنى صورة الأطفال الذين فى سنهم فى بعض البلدان الافريقية الذين يكونون قد تخففوا من اللباس لأن بلادهم لا يأتيها برد أصلاً مع الفارق العظيم فى اللون فأهل خوارزم هؤلاء إذا رأيت جسم الطفل رأيته فى بياض الأوروبيين عكس سواد الإفريقيين.

وعلى ذكر الأطفال أقول: أننى رأيت سائقنا وغيره يتقون الإسراع فى السير فى هذه الشوارع والأزقة يخشون من ألا يبعد هؤلاء الأطفال عن طريقهم، وقال أحد الإخوة أن وجود هؤلاء الأطفال فى الشوارع مشكلة فى هذا الفصل الذي هو فصل العطلات الدراسية.

نزهة فى نهر جيحون:

لا أستطع أن أغفل التسمية العربية القديمة (جيحون) لهذا النهر العظيم المسمى الآن (أموداريا) ولولا الخوف من الالتباس لم أذكره إلا بهذا الاسم العربى الأصيل لأنه ورد في الحديث سواء أكان الحديث صحيحاً أم غير صحيح فإن ورود اللفظ فيه واضح. إضافة إلى أن علماءنا الأوائل قد سجلوا اسمه هذا ووصفوه عندما رأوه أو ركبوه بحسب حالته التى تختلف فى الشتاء عن الصيف كما قال ياقوت الحموى رحمه الله عن تجربته الشخصية فى هذا النهر فى فصل الشتاء قال:

وقد شاهدت (جيحون) وركبت فيه، ورأيته جامداً ، وكيفية جموده أنه إذا اشتد البرد، وقوى كلبُه، جمد أولاً قطعاً ثم تسرى تلك القطع على وجه الماء فكلما ماسَّتْ واحدة الأخرى التصقت بها، ولا تزال تعظم، حتى يعود (جيحون)كله قطعه واحدة، ولا يزال ذلك الجامد يثخن حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار وباقى الماء تحته جار، فيحفر أهل خوارزم فيه آباراً بالمعاول حتى يخرقوه إلى الماء الجاري، ثم يستقوا منه الماء لشربهم، ويحملوه فى الجرار إلى منازلهم، فلا يصل إلى المنزل الا وقد جمد نصفه فى بواطن الجَرَّة، فإذا استحكم جمود هذا النهر عبرت عليه القوافل والعجل بالبقر. ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق حتى رأيت الغبار يتطاير عليه، كما يكون فى البوادي، ويبقى على ذلك نحو شهرين. فإذا انكسرت سَوْرة البرد تقطع قِطعاً كما بدأ فى أول مرة إلى

أن يعود إلى حالته الأولى ، وتظل السفن في مدة جماده ناشبة فيه، لا حيلة لهم فى اقتلاعها منه إلى أن يذوب وأكثر الناس يبادرون برفعها إلى البر قبل الجماد.

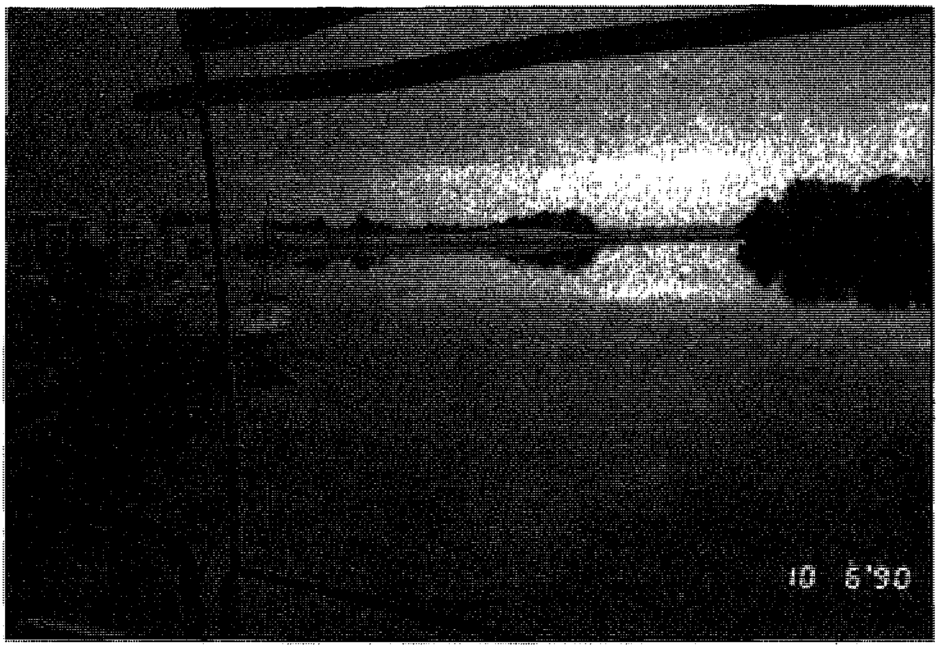
أقول العجلات التى ذكرها هى العربات التى تجرها الأبقار. والغبار على النهر المتجمد ليس منه بطبيعة الحال ولكن مما تثيره الريح مما حوله من اليابسة وتلقيه عليه. وهذا يتناقض من جهةحالة النهر الآن . فنحن نذهب إليه فى الساعة الثامنة قبل غروب الشمس بقليل من هذه الأيام الصيفية من أيام شهر حزيران (يونيو) التى هى أطول أيام السنة، ونحن نعانى من الحر فى هذه البلاد مثلما نعانيه فى بلادنا فى الصيف.

خرجنا إليه فى سيارة صغيرة غير سيارة الضيافة الرسمية الكبيرة وذلك لكون الطريق إليه ليس جيداً فبعضه مزفلت زفلتة غير جيدة، وبعضه طريق زراعى ممهد غير مزفلت. ويبعد النهر عن مدينة أوركنج ١٤ كيلو متراً.

وذكروا أن مدينة أوركنج القديمة تبعد ٤٠ كيلو متراً عن هذا النهر ولكنها تشرب من قناة مدت إليها منه.

ولاحظنا بيوتاً كثيرة خاصة تقام بعضها من الطين ، وبعضها من الآجر فأخبرونا أن هذا لم يبدأ إلا منذ عهد قريب فى زمن (البروستريكا) أى إعادة البناء التى تعنى من ذلك المعنى المجازى لكلمة البناء، ولكنها صارت تعنى حتى المعنى الحقيقى للبناء ، إذ أسرع بعض الناس الذين يستطيعون أن يبنوا منازل خاصة لهم خارج المدن أن يفعلوا ذلك ولم تكن السلطة تسمح لهم بذلك من قبل.

ميناء جيحون:



التقط المؤلف هذه الصورة قرب ميناء جيحون

وصلنا ميناء على نهر جيحون فاستقبلنا فيه عدد من الأشخاص على رأسهم (إبراهيم بن جمعه نياز) رئيس الميناء وقربوا منا قارباً كبيراً قديماً فركبنا فيه ونحن رفقة فيهم الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لآسيا الوسطى وقازاقستان الذى رافقنا فى جولتنا هذه إلى خوارزم ومضيفنا الشيخ أحمد جان والشيخ نصر الله بن عباد الله قاضي تركمانستان بمعنى رئيس الشئون الدينية فيها ورفيقي فى الوفد الأستاذ رحمة الله بن عناية الله وعدد من الإخوة أهل أوركنج ومعهم أطفال لهم فيهم أولاد للشيخ أحمد جان.



على ظهر القارب في نهر جيحون

ويسمى هذا الميناء (صالتش) لأنه فى منطقة اسمها (صالتش) وليس لهذا الميناء رصيف مرصوف وليس عليه عمارة إلا بناء صغير غير ملاصق للنهر. وعندما تحرك القارب كانت الشمس تسقط فى النهر جهة الغرب إذْ تأخرنا قليلاً عن الموعد المحدد فى الأصل لبدء الرحلة للنهر بسبب ازدحام البرنامج إلا أن النور حتى بعد الغروب كان غامراً كما هو الشأن عليه فى البلدان الشمالية فى فصل الصيف وإن كانت هذه البلاد ليست بالغة البعد جهة الشمال فقد غربت الشمس فى الثامنة والثلث.

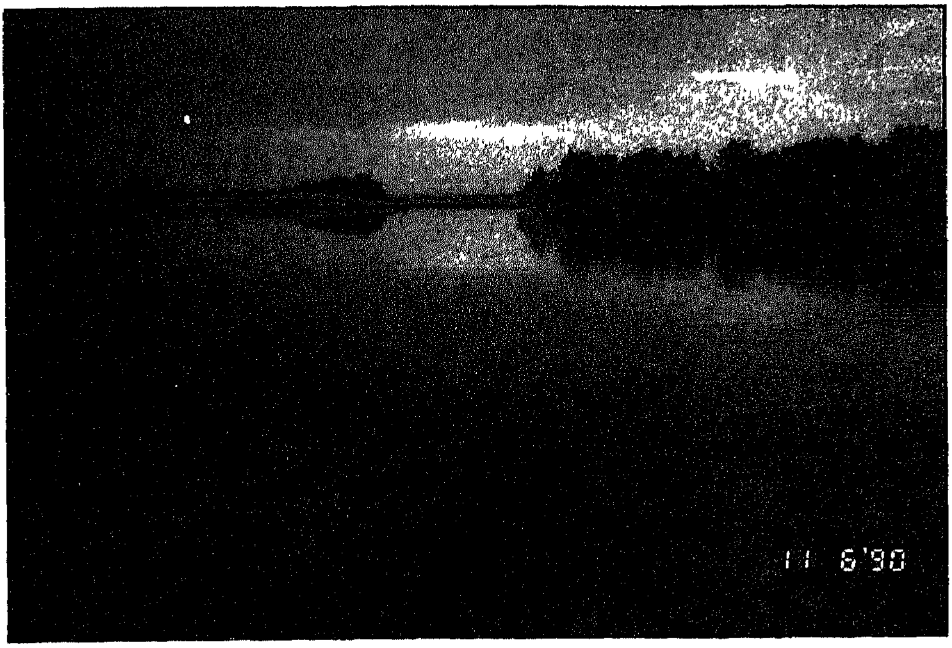
وقد ذكرنى النور الذى بقى بعد غروب الشمس بقليل بما ورد فى الحديث أنه نهار الجنة إذ ورد فيه ما معناه أن النبى ﷺ قال لأصحابه:

إن الجنة ليس فيها شمس ولا قمر ، فسأله أحد الصحابة قائلاً : يارسول الله. كيف يبصرون؟ قال راوى الحديث وكان الوقت قبل طلوع الشمس فقال : مثل ساعتك هذه. أو كما قال رسول الله ﷺ.

انطلق القارب وهو يصعد فى النهر جهة الشرق الجنوبى فهو فى هذه المنطقة قادم من تلك الجهة وهو زاخر بالمياه ذكرنى بنهر النيل فى مصر.

فسألت رئيس الميناء الذي هو خبير بأمر هذا النهر وأنا أعلم أن النهر يبتدىء من جبال الهملايا: من أين تأتى كل هذه المياه؟ فقال: إنها من ذوب الثلوج فى الجبال. ومع ذلك فإننى أشعر بالحر حتى فى هذه الساعة ونحن سائرون على عباب هذا النهر. وهنا سألته عن مقدار مياه النهر الذي قرأت فى كتبنا العربية القديمة أنه كان كثيرًا ما يفيض عن مجراه فيغرق قرى ومزارع . وقد يهلك الحرث والنسل . وهل زادت الآن عما كانت عليه قديمًا أم نقصت؟.

فقال: مياه النهر نقصت بشكل كبير جدًا. فمثلاً كان مقدار الماء المتدفق منه منذ خمس سنوات يبلغ عشرة آلاف متر مكعب فى الدقيقة والآن لا يزيد على ألف وخمسمائة متر وهذا العام ماؤه أقل من العام الماضى بكثير.



التقط المؤلف هذه الصورة لضفة نهر جيحون

قال: والسبب فى ذلك كثرة الصرف من النهر قبل وصوله إليهم ، ولكون الجبال التى يبدأ منها فيها ثلوج قديمة لم تستطع الحرارة غير الشديدة عليها فى هذا العام أن تذيبها. وكرر قوله: إنه ينبع من جبال الهملايا وينتهى إلى بحيرة (أرال). وسار القارب فى النهر فوصلنا إلى أماكن متسعة فيه كأنها البحيرات وهى التى رأيت بعضها من الطائرة، وإن كان سائرها بعيداً، والتقطت صوراً متعددة لضفافه لولا قلة النور فى ساعة ما بعد الغروب لكانت أوضح.

وقد أحضر القوم معهم إلى القارب فاكهة وحلوى ، وفى الساعة التاسعة كنا نعود إلى الميناء غير المعتنى به، ونصلى المغرب جماعة فى دكة موضوعة للجلوس عليها بجانب النهر تحت شجرة ضخمة معمرة.

العودة إلى أوركنج:

وفى التاسعة والنصف بدأنا العودة إلى أوركنج وكان الظلام قد حلّ . وران سحاب من سحاب الصيف غير الواسع على المنطقة بعد الغروب فزاد الجو ظلاماً فأبرق الجو وارعد ونحن نسير وكان مع السحاب الصحراوى عاصفة صحراوية أقامت من غبار الأرض الطينية التى نسير عليها ما سد النظر أمامنا أو كاد حتى صرنا لا نرى طريق السيارة إلا بصعوبة. فالأرض هى طينية ناشئة من فيضان النهر فى القديم والطريق غير مزفلت. فعانينا من اغلاق زجاج السيارة من الحر وذلك لكيلا يدخل الغبار الذى صاحب هذه السحابة الصيفية الخوارزمية ما ذكرنى بسحب الصيف التى تكون فى آخر فصل الصيف الذى يسميه الآن عوام الكتاب بفصل الربيع فهى التى تكون معها الريح التى تثير الغبار الشديد .

فندق خوارزم:

وصلناه فى العاشرة ليلاً وكان المطر يسقط قليلاً مما أملنا معه أن يغسل الغبار عن الجو ويلطف الحر.

وكنت أحس بشدة الحرارة فى وجهى . واثر العرق فى بدني فسارعت رغم التعب إلى الحمام فكان الماء موجوداً فى حوض الاستحمام ولكنه غير موجود فى حوض غسل الأيدى الموجود فى الحائط كما هو كان عليه الحال فى فندق زاريا في موسكو.

وكان مضيفونا قد حجزوا أماكننا فى فندق خوارزم هذا مفترضين أننا سنأتى إليه فى صباح هذا اليوم غير أن البرنامج شغلنا عنه فى هذا الصباح فلم ندخله إلا فى الساعة العاشرة ليلاً.

وكان أجمل مافيه مكيف للهواء أراحنا مما كنا نعانيه من الحر، إلا أنه لم يكن له مفتاح فى حائط الغرفة وإنما على من يريد فتحه أو اغلاقه أن يصعد إليه على كرسى أوشىء يرفعه لأنه مرفوع فى أعلى الحائط فيغلقه أو يفتحه. وقد جاءوا بماء معدنى بارد للغرف ولكن لم تكن فيها ثلاجة فاكتفينا بالتضلع منه. وقد نمنا والبرق يلمع. ولكنني استغربت الحر فى المنطقة مما جعل بعض الإخوة يقولون لى وأنا أقول لهم : إنه ينبغى على الحجاج الذين يحجون هذا العام لأول مرة من بلادكم أن يستعدوا لحر مكة: أنهم قد ألفوا على حر هذه البلاد الباردة فى غير فصل الصيف. وكانت نومة بعد ذلك عميقة.

يوم الإثنين ١٨/١١/١٤١٠هـ

استئناف البرنامج:

أصبحنا على جو غائم ومطر خفيف لطف الجو وأزال الحر، وغسل الغبار عن الأرض فابتدأنا البرنامج مبكرين لأن سفرنا من خوارزم سيكون فى التاسعة من هذا الصباح.

فذهبنا مع مضيفنا الشيخ أحمد جان سعيد إلى رؤية (جامع اخون بابا) وأخون فى اصطلاح أهل اذربيجان معناها إمام. وأذربيجان لا تبعد عنهم كثيراً جهة الغرب. وجدنا المسجد واسعاً مكتمل الفراش

وإمامه هو الشيخ أحمد جان سعيد نفسه ذكر أن هذا المسجد كان موجودًا في البلاد قبل الحكم الشيوعي ولم يصادره الشيوعيون.

ثم عدنا إلى بيت الشيخ أحمد جان الذى كنا فيه أمس فأجلسنا فى ذلك القسم المفتوح فى بيته ويسميه البيت الصيفى لأنه مفتوح من جهة الشمال بمعنى أنه لا حائط له من تلك الجهة، وقال: هذا لا يمكن الجلوس فيه في فصل الشتاء، وإنما يكون الجلوس آنذاك فى أماكن مغلقة داخل البيت.

فكان طعام الإفطار عنده شبيها بطعام الغداء بل أكثر منه حيث صارت الصحون تقبل تترى متنوعة بألوان الطعام الذى لم نحس بالثقل منه أمس بسبب كثرة الحركة والتنقل. وحتى الأرز باللحم والمنتو باللبن و (المنتو) طعام معروف عندنا فى الحجاز بأنه يصنعه البخاريون وهو أشبه بالسمبوسك إلا أنه يطبخ طبخًا ويحشى بقطع صغيرة من اللحم الدسم. وجاء الحساء وهو الشربة التركستانية التى فيها الشعيرية والخضروات إلى جانب لحم الضأن الدسم. وأما الفاكهة فإنها أنواع منوعة منها نوعان من التوت أحدهما أحمر والآخر أبيض وذكروا من أمر هذا التوت عجبًا فقالوا: أن التوت الأحمر يخفض ضغط الدم والتوت الأبيض يرفع ضغط الدم. مع العلم بأنه كله قطف لساعته لأن ثمار التوت لا تستطيع البقاء بعد القطف طويلاً أكثر من يوم واحد إلا إذا حفظت فى ثلاجة.

مغادرة خوارزم:

خرجنا إلى مطار أوركنج فى التاسعة والمطر ينزل وقال لنا الإخوة: أن هذا المطر ليس معتاداً وإنما فصل الصيف هو فصل الحر دون المطر مثلما قال لنا أهل طشقند يجاملوننا بذلك : إن الحر كان قبل قدومكم بيوم شديداً ولكن نزل المطر عند قدومكم فلطف الجو، فقلنا لهم هذا من لطف الله وشكرنا لهم مجاملتهم.

وجدنا عند باب قاعة كبار الزوار حاكم إقليم خوارزم (عبد الله اسكندر) جاء يودعنا بنفسه وكان فى استقبالنا أمس نائبه (كامل جان بن إبراهيم) الذى حضر معه اليوم فجلسنا فى القاعة ووجدناهم وضعوا عليها خبزاً وكعكاً ليناً (كيك) وماء معدنياً.

وقد تكلمت مع حاكم خوارزم ونائبه لأنهما لا يقرأن كتب الثقافة العربية القديمة فذكرتهما بماضى هذه البلاد الخوارزمية العلمى الباهر. وقلت له: حتى نحن العرب لا نزال نستفيد من مؤلفات علماء هذه البلاد التى كتبوها بالعربية فى كثير من الفنون، ونرجوا أن يعيد التاريخ نفسه فنجد علماء منها فطاحل فى الثقافة الإسلامية يفيدون الناس وتكون هذه البلاد مقصداً لطلاب العلوم الشرعية كما كانت فى القديم. وذلك يتطلب منكم ومن أمثالكم من المثقفين القادرين أن تحرصوا على تربية أبناء المسلمين تربية إسلامية كاملة لأنهم بدون التربية والتعليم لا يستطيعون أن يحصلوا على العلوم الإسلامية. ولا أن يعرفوا الإسلام الصحيح الذى شهدت به هذه البلاد أمجاداً لا تمحوها القرون.

وقلت له: أن أول ذلك فى نظري أن تكون لجنة من العلماء المسلمين الأفاضل تعيد كتابة تاريخ هذه البلاد العريقة بإسلامها. وتوضح أن تاريخ هذه البلاد المشرق قد بدأ منذ أن استقر بها الإسلام قبل ألف وثلثمائة سنة فقال: هذا صحيح فتاريخ خيوه مثلاً مشهور بأنه يمتد إلى ألفي سنة، ولكن لم تكن هناك معرفة ولا علم إلا بعد العهد الإسلامي. وقال أنا الآن أفكر فى المسجد والمدرسة هل نبنى مدرسة جديدة أم نكتفي بالمدارس القائمة، وكان الشيخ أحمد جان سعيد قد ذكر أن حكومة الإقليم منحتهم أرضاً يريدون أن يقيموا عليها مركزاً إسلامياً يشتمل على مسجد ومدرسة. فقلت له: إنه يمكن إقامة مجمع يضم مسجداً ومدرسة كبيرة تركز على تعليم الطلاب تاريخهم الإسلامى المجيد إضافة إلى السعى إلى اصلاح التعليم العام وإعادة كتابة تاريخ البلاد على الوجه الصحيح.

ثم تحدث عن الناحية الاقتصادية وأن المشروعات الكبيرة تحتاج إلى تمويل، وقال مثلاً الماء مشكل عندنا فمياه النهر ليست صالحة للشرب إلا بعد التصفية والتعقيم والآبار ليست مياهها صالحة للشرب، وسحب المياه الصالحة للشرب من سيبيريا صعب، فقلت له : إن المدن فى بلادنا تشرب من مياه البحر فنحن نحلى مياه البحر ونرسلها للمدن بمقادير كافية للشرب والاستعمال وحتى للحدائق الصغيرة فى البيوت وأنتم لديكم هذا النهر العظيم (اموداريا) يمكن تصفية مياهه واستعمالها. فقال: هذاصحيح ولكن معمل تنقية الماء الذي يكفي سبعمائة ألف نسمة يحتاج إلى سبعة ملايين دولار لاستيراده. وليس لدينا القدرة على توفير

العملة الصعبة لشرائه من الخارج ولا امكانية لنا لجلبه من الداخل. ثم قال: إنه يفكر فى إيجاد موارد سياحية للبلاد وحبذا لو جاء السياح العرب للسياحة هنا فقلت له: أن البلاد العربية حارة فى الصيف مثل بلادكم وعادة السائح أن يذهب إلى خارج بلده يطلب الجو الأفضل ونحن نعرف أن بلادكم رخيصة وفيها من هذه الناحية امكانات سياحية جيدة غير أنه يلزم لكم البحث عن أماكن باردة من جبال أو مناطق مرتفعة تجتذب السياح العرب فى فصل الصيف. أما السياح الأجانب من الأوروبيين ونحوهم فإنهم يبحثون عن الأماكن الحارة أكثر مما يبحثون عن الأماكن الباردة. قلت له ذلك وأنا لا أزال أحس بوقع الحر أمس وأقول فى نفسي: كيف يأتى إلى بلاد حارة من يشكو من الحر فى بلاده؟

ثم ودعنا عند سلم الطائرة بعد أن التقطنا صوراً تذكارية عند الباب الداخلى لمبنى المطار.

إلى مدينة الإمام البخاري

من خوارزم إلى بخاري:

غادرنا مطار أوركنج الخوارزمي فى الساعة العاشرة قاصدين مدينة بخارى التى أخرجت للعالم الإمام محمد بن إسماعيل البخارى صاحب الصحيح فى الحديث أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

وقد ذكرت تفصيل زيارة بخارى فى كتاب. «فى بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر». ولم أر تكرار ما كتبته فى هذا الكتاب إلا أننى رأيت كتابة ملخص له من أجل انتظام الحديث عن «يومياتنا فى آسيا الوسطى» وذلك على وجه مختصر جداً. ومن أراد الإطلاع عليه مبسوطاً يمكنه أن يرجع إلى ذلك الكتاب.

فى مدينة بخارى:

استغرق الطيران من أوركنج إلى بخارى ساعة واحدة على طائرة صغيرة مروحية تسير بسرعة أربعمائة وخمسين كيلو متراً فى الساعة.

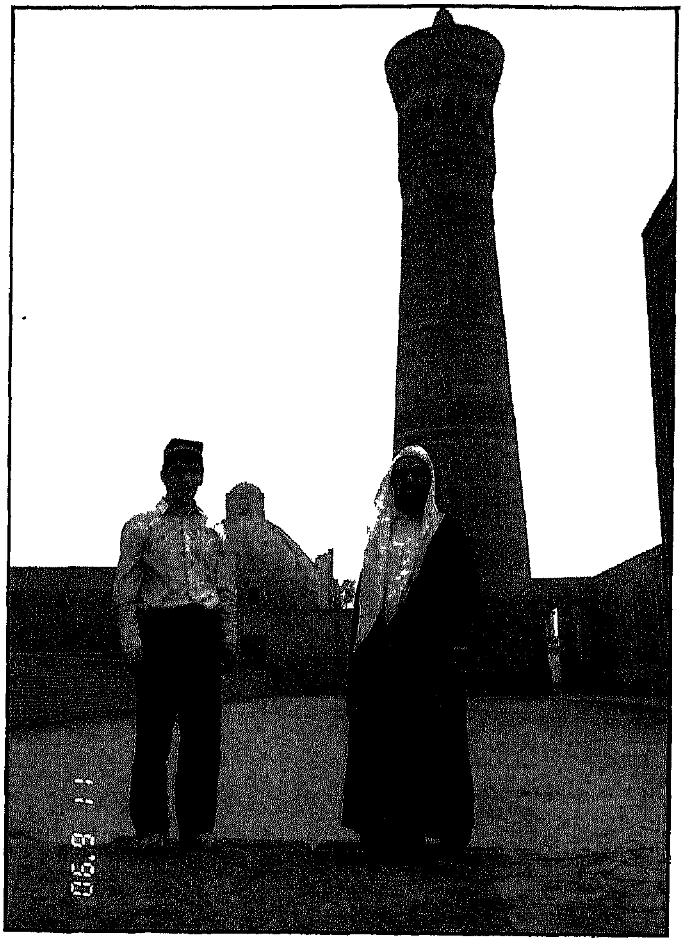
ووجدنا فى استقبالنا فى مطار بخارى حاكم المدينة (عبيد الله بن ناصر) والشيخ مختار عبد الله مدير مدرسة مير عرب الإسلامية فى بخارى وغيرهما. فانتقلنا من المطار إلى فندق بخارى حيث لبثنا فيه قليلاً وبدأنا بعد ذلك الجولة فى مدينة بخارى:

جامع كلان:

وكلان معناها بالفارسية الكبير، وذلك أن اللغة الفارسية هى اللغة

السائدة بين العامـة فى بخارى إذْ يقولون أن فيهـا ثلاث لغات ليس بينها العربية وهى الفارسية لغة عامة الناس. والروسية اللغة الرسمية للتعليم والدواوين الحكومية والأوزبكية التى هى لغة جمهورية أوزبكستان التى تتبعها بخارى إضافة إلى وجود بعض الأوزبكيين الساكنين فى بخارى.
وجامع كلان هذا واسع بل بالغ الاتساع صادره الشيوعيون عندما تولوا الحكم في البلاد، وجعلوه مستودعًا فبقى فى أيديهم حتى استعاده المسلمون هذا العام ، وصلى فيه المسلمون أول صلاة عيد بعد أن عاد إليهم فى عيد الفطر الماضى وحضر الصلاة فيه ثمانية آلاف مصل مع أنه يحتاج إلى ترميم وإصلاح إذْ عمه الخراب فى وقت طغيان الشيوعية والحقيقة أنه يتسع لأكثر من هذا العدد من المصلين سواء فى المصلى المسقوف ذي الأروقة المسقوفة الدائرة بدورانه أو فى صحنه المكشوف الواسع. وهو مسجد تاريخى أول من اختط أرضه القائد العربى المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي الذي اختطه فى آخر القرن الهجرى أي فى عام ٩٤هـ الموافق لعام ٧١٢م وما زال الولاة يزيدون فيه.

وقد كان الإمام البخارى يلقى فيه الحديث فكان يتلقى عنه ما يقوله عدد من المبلغين الذين يبلغون ما يقوله إلى الناس لكثرة الحاضرين عندهم حتى قال بعضهم: إن عدد الحاضرين كان يصل إلى أكثر من عشرة



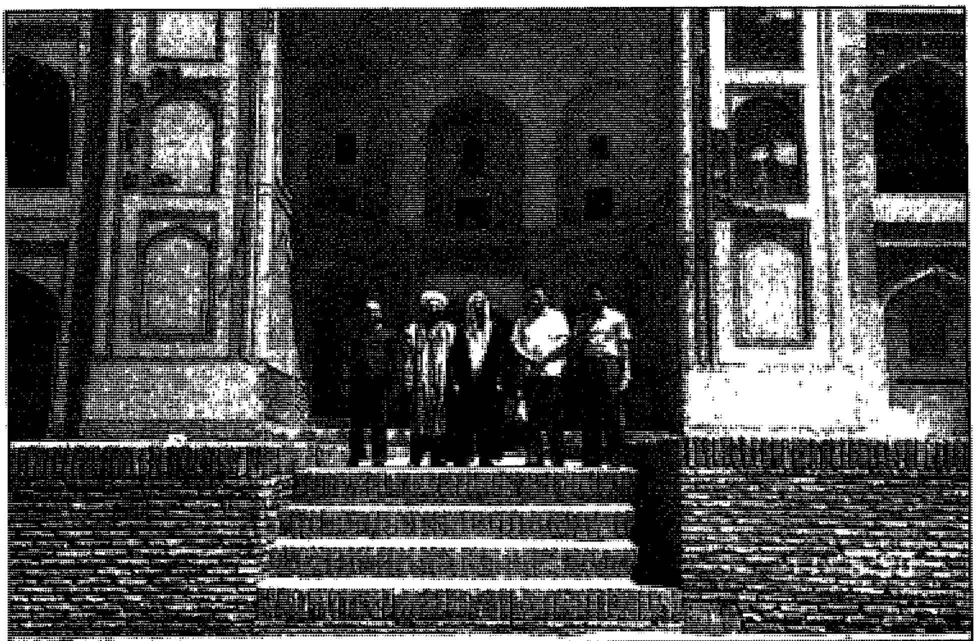
منارة جامع كلان في بخارى والمؤلف واقف بالقرب منها مع أحد الطلبة

آلاف. إلا أن الإمام البخارى لم يمت فى مدينته بخارى هذه وإنما مات فى بلدة خرتنك التى تبعد ٣٠ كيلو متراً عن مدينة سمرقند الكبيرة. وذلك أنه حدث خلاف بين أمير بخارى آنذاك وبين الإمام البخارى فخرج البخارى مغضباً من بخارى قاصداً سمرقند ولكن واليها منعه من دخولها مجاملة لحاكم بخارى فمات هناك فى خرتنك وقبره معروف الآن زرناه وسلمنا عليه عند زيارتنا الأولى لهذه المنطقة. ذكرت ذلك فى

كتـاب «فى بلاد المسلمين المنسـيين: بخـارى ومـا وراء النهـر». الذى أشرت إليه قبل قليل- وهو كتاب مطبوع.

وبناء جامع كالان الحالى يرجع إلى عصر الأمير عبيد الله الشيبانى الذى بناه بمشـورة من وزيره العـربى المشـهور الذى تنسـب إليـه الآن مدرسـة ميـر عرب. والأمـير الشـيبانى بانى المسجـد لا صلة له بقبـيلة شيـبان العربية رغم تطابق الاسم وإنمـا هو منسوب إلى شيبـان المغولى من ذرية جنكيز خان.

مدرسة مير عرب:



وفد الرابطة عند مدخل مدرسة مير عرب في بخارى

وهى مدرسة إسلامية عريقة يقال إن الذى أسسها رجل عربى من حضرموت اسمه الأمير عبد الله الحضرمي وكان وزيراً لأميربخاري عبيد الله الشيباني. وقد بنيت فيما قالوا لنا فى القرن السادس عشر الميلادى فى بناء رائع مماثل لبناء (جامع كلان) وفيها أكثر من مائة غرفة فى طابقين وهي غرف صغيرة معدة لسكنى طلبة العلم. وتعتبر مدرسة إسلامية متوسطة تقتصر على تدريس العلوم الإسلامية والعربية وتعد الطلبة للالتحاق بمعهد الإمام البخاري فى طشقند. وتشرف عليها الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان التي يرافقنا مشكوراً رئيسها الشيخ محمد صادق محمد يوسف جزاه الله خيراً. ثم قام وفد الرابطة بعد ذلك بزيارة بعض معالم مدينة بخارى الأثرية الإسلامية. منها :

١ – قلعة أرك حيث كان السامانيون يحكمون من بخارى ولاية خراسان وما وراء النهر.

٢ – ضريح إسماعيل السامانى الذى بنى فى القرن العاشر الميلادى.

٣ – جاشمة أيوب (بئر أيوب) وهو بئر ماء عذب يقال إن له خواص علاجية لبعض الأمراض.

٤ – مسجد بهاء الدين النقشبندى مؤسس الطريقة النقشبندية الصوفية المتوفى عام ٧٩١ هـ وكان المسجد بعد اغلاق طويل قد فتح في شهر مايو ١٩٨٩م ويجرى فيه الترميم حالياً.

أما قبر النقشبندي فإنه منفصل عنه وقد هدم البناء الذى كان فوقه.

وقابلنا في المسجد إمام المسجد السيد عبد الغفور عبد الرازق وهو شاب نشيط خطاط يقال أنه يحتفظ بالعديد من المخطوطات الإسلامية.

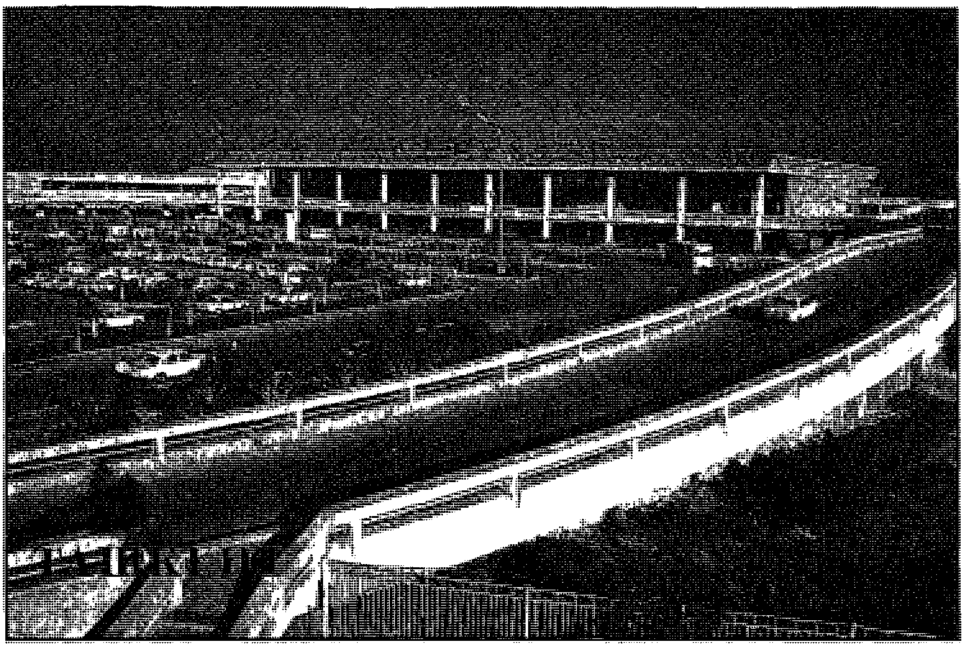
العودة إلى طشقند:

غادرنا مطار بخارى عائدين إلى طشقند على طائرة مروحية تتسع لاثنين وخمسين راكباً وليس في مقاعدها أرقام وإنما مقاعدها لمن سبق من الركاب. وقد لاحظنا من إجراءات الأمن في هذه الطائرة أنه عندما كان الركاب يصعدون كان أحد رجال الأمن ويحمل مسدساً واقفاً لمراقبتهم، ولاحظنا عندما ركبنا الطائرة أنه يوجد باب مغلق ما بين غرفة القيادة والطائرة. وفيه ثقب ضيق فيه مكبر وهو مايسمى بالعين الساحرة عند العوام بحيث يمكن لمن في غرفة القيادة أن يرى الذي يطرق الباب عليه من داخل الطائرة وكل هذا في الجو.

ولذلك لاحظنا أن المضيفة عندما كانت تريد أن تدخل من أماكن الركاب إلى غرفة القيادة كانت تقرع هذا الباب بيدها فيفتح لها بعد بطأ. وقد أغلقوا باب الطائرة وبقيت فترة عانينا خلالها الحر الشديد. بل كاد الركاب يختنقون لأنه لا يوجد في الطائرة مراوح ولا مكيفات ولا صنابير للهواء المعتاد. كما لا يوجد في الطائرة جرائد ولا مجلات ولا أية معلومات عن الطائرة أو إرشادات للركاب. وقد بحثت عن جريدة مع أنني لا أعرف اللغة الروسية ولا لغتهم وإنما لكي أروح بها عن وجهي أي أحركها لتبدد الحر وتجفف العرق..

وقامت الطائرة في السابعة مساء بتوقيت بخارى وهو مثل خوارزم

متأخر عن توقيت طشقند بساعة واحدة. وأعلنوا أن المسافة إلى طشقند هى ٤٣٥ كيلو مترًا تقطعها هذه الطائرة المروحية فى ساعة وعشر دقائق. وفى الطائرة مضيفة لم يزد عملها على تقديم الضيافة التى انحصرت فى نصف كوب من الماء . مع أن الركاب كانوا يتصببون عرقًا . ولكن لم أجد منهم من شكا أو تضجر. ومما زاد فى معاناتى خاصة أننى كنت على نافذة فى الجانب الأيسر من الطائرة ونحن ذاهبون شمالاً فكانت الشمس تسقط عليّ ولم تكن فى النوافذ ستائر. وعند الوصول إلى منطقة طشقند تمتعت برؤيتها من هذه الطائرة الصغيرة التى تتمهل فى طيرانها. وهي منطقة معمورة بالمزارع والمنازل المنفردة فى الضواحى ثم قلب المدينة الذي تشقه الشوارع الحديثة الواسعة وتنتظمها الأبنية الضخمة ذات الطوابق المتعددة. وأما القسم المهم عندي فى المدينة وهو القسم التاريخي ذو المنازل القديمة المبنية على الطراز المعماري الإسلامي فإنه قد تطامن حتى لا تكاد تراه بين الأبنية الحديثة الشامخة. وتوشي كل ذلك وترصعه الأشجار العالية الوارفة الظلال.



مطار طشقند

وهبطت الطائرة فى الساعة الثامنة بتوقيت بخارى التى أقلعنا منها. ويساوى ذلك التاسعة بتوقيت طشقند وقد غربت الشمس على الأرض منذ حوالى ثلث ساعة. فقصدنا فندقنا الذى كنا فيه فى طشقند وهو (فندق أزبكستان) وكنا نمني النفس بنوم مبكر فى هذه الليلة غير أن ساعيًا أتى يقول:

إن الموعد الآن وكانت الساعة تقترب من العاشرة هو موعد الذهاب إلى مأدبة العشاء التى أعدها للوفد نائب المفتى الشيخ ذاكر إسماعيل.

وكانت مائدته حافلة بما لذ وطاب فى الفم، وصعب فى الهضم لأنها الفواكه المنوعة الطازجة تلتها الأوانى المليئة باللحم الذى طبخ على عدة وجوه من مسلوق ومشوى ومن غير ذلك . ثم المكرونة البخارية التى

هى وحدها وجبة كاملة. وتلت ذلك أوانى الحساء التركستانى الشهير .
وبعد الانتهاء من ذلك كله استأذنا فى الإنصراف فقال القوم: إن النوع الرئيسي من الطعام وهو الرز البخارى لم يقدم بعد. وعندهم ألا يغادر الضيف بيت مضيفه حتى يقدم له الأرز البخاري. ورجعنا إلى الفندق فى الثانية عشرة منتصف الليل.

يوم الثلاثاء ١٤١٠/١١/١٩هـ .

استئناف الجولة على المساجد:

سبق أن أوضحت الأهمية الكبرى للمساجد فى هذه البلاد الشيوعية التى كان التعصب الشيوعى الإلحادي قد حرم على المسلمين بناء المساجد الجديدة فيها، بعد أن كان قد صادر المساجد القديمة إلا عدداً قليلاً منها. إضافة إلى ذلك نقول: إننا نحمل معنا من رابطة العالم الإسلامي مبالغ مالية كنا خصصناها للإعانة على بناء المساجد الجديدة أو ترميم المساجد القديمة ولا نستطيع أن نصرف هذه الإعانة إلا لمسجد رأيناه وعرفنا مقدار الحاجة إلى مساعدته. فكان أن استأنفنا فى هذا الصباح الجولة على المساجد فى منطقة طشقند وضواحيها وهي الجولة التي كنا بدأنا بها قبل السفر إلى خوارزم وبخارى فكان أول مسجد وقفنا عليه هو:

مسجد نور الإسلام:



لقاء المؤلف مع بناة المسجد الجديد الكبير «نور الإسلام» في ضواحى مدينة طشقند

يقع مسجد نور الإسلام فى محلة قوم اريق . قابلنا فيه الإمام فاضل جان بن صابر ومتولى المسجد طبيب اسمه خير الله بن عبد الحكيم يقول: بأن حكومة اوزبكستان منحتهم الأرض ومساحتها أربعة هكتارات، وأما مساحة المسجد فهو ٣٦×٣٦ متراً، وستكون له منارتان ارتفاع كل منهما ٢٠ متراً، وستكون قبته فوق المحراب يقدر وزنها ١٨٠ طنا وارتفاعها ١٩ متراً وقطر دائرتها ١٢ متراً. . كما سيكون بجوار المسجد مدرسة وغرف للإمام والمكتبة والضيوف وتقدر التكاليف بحوالى ٣,٥ مليون روبل أسهمت الإدارة الدينية هنا بمبلغ ١٢٠ ألف روبل وجمع أكثر من ٥٠٠ ألف روبل من المتبرعين المسلمين.

وقد قال لنا الأخ المتولى الطبيب خير الله: إنه يجمع حتى من موظفى الإدارة الحكومية التى يعمل بها تبرعات للمسجد فشكرت لهذا الأخ الطبيب المسلم جهوده ودعوت له بالمزيد من التوفيق وقلت له أشجعه على عمله: أرجوا أن يكون من أبناء المسلمين هنا من يقتدون بك فى عمل الخير، وسوف نراكم فى الحرم المكى الشريف فى مكة المكرمة ثم قدمنا للمسجد تبرعاً بخمسة آلاف دولار أمريكى من رابطة العالم الإسلامي.

مزرعة طشقندية:

بالقرب من (مسجد نور الإسلام) هذا دخلنا بيت أحد الإخوة المسلمين لشرب الشاي واسمه (عابد جان) وهو فلاح متقاعد يعنى أنه كان يعمل عند الحكومة ثم تقاعد من ذلك وبدأ العمل لنفسه فى أرضه المحدودة المساحة التى فيها بيته وهي – كما تقدم- فى ضاحية من ضواحى طشقند وليست فى وسط المدينة وفى هذه الضاحية بيوت للفلاحين الذين استملكوا أراضي خاصة بهم أو لنقل الذين أعطتهم الدولة أراضي صغيرة المساحة ولكنها خاصة بهم بمعنى أنهم يزرعونها ويبيعون ما تنتجه، أو يستهلكونه بأنفسهم فيكون فى المزرعة الخاصة البيت وحوله هذه الأرض الضيقة المزروعة.

استقبلنا الأخ(عابد جان) فى بيته واستقبلنا معه جماعة من المسلمين فى هذه الضاحية التي تعتبر ضاحية إسلامية كل سكانها هم من المسلمين. واستقبلتنا معهم أيضاً مجموعات من الزهور الملونة ذات الشذى الفواح. وهذه الزهور هي للانتفاع بثمنها وليست لمجرد التزيين

فهي كثيرة بالنسبة إلى هذه المساحة الصغيرة التي غرست فيها وقدرها ٨ أمتار عرضاً في ٢٥ طولاً ومع ذلك ذكر لنا الأخ (عابد) أنها تعود عليهم بدخل جيد يتراوح ما بين ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف روبل في السنة. وهو مبلغ كبير إذا عرفنا أن الموظف المتوسط لا يزيد راتبه على مائتي روبل في السنة.

وفي حواشي هذه المزرعة الصغيرة أشجار مثمرة من المشمش والتوت. وقد رأيت منهم تقليداً جيداً في إكرام الضيف وهو أن يتسلموا حذاءه ويصفوه مع أحذية بقية الضيوف ثم يقدمون لكل واحد حذاءه ويساعدونه على لبسه. وجلسنا في غرفة متوسطة السعة من بيت الأخ (عابد جان) وقد وضعوا من قبل على مائدة فيها الخبز والزبيب والمكسرات وأنواعاً من الفاكهة الطازجة ثم جاءوا بالشاي.

وعند الإنصراف أردت أن يلتقط أحد الإخوة صورة لنا مع صاحب البيت وطلبت أن يجلس بجانبي لهذا الغرض وكان واقفاً طول الوقت فاعتذر عن ذلك بأنه يجب عليه أن يظل واقفاً في خدمتنا حتى ننصرف، ولا يريد أن يجلس أثناء وجودنا لأن ذلك يعتبر تقصيراً منه في خدمتنا. فدعونا له وانصرفنا.

مسجد قويلوق أتا:

سلكنا الطريق الدائري لمدينة طشقند على أيماننا المدينة بضواحيها الغربية وعلى أيسارنا قرية زراعية، وفي هذه المناطق بيوت شخصية أي مما يصلح لسكنى الشخص بنفسه، وليست من البيوت الحكومية

التي تكون من أبنية ضخمة عالية (عمارات). ورأيت بعضها كما في خوارزم يبنى الآن وهذا أمر جديد أيضاً. إذْ بناء البيوت الشخصية في المدن أو ضواحيها كان قد توقف منذ سنين.

فوصلنا إلى حي اسمه (قويلق أتا) لمشاهدة مسجد سمي على اسم الحي (مسجد قويلق أتا) ووجدنا متولى المسجد الأخ (زاكر كريم باي) وهو عقيد في الشرطة سابق تقاعد من العمل الحكومي ووقف كل وقته للعمل على بناء هذا المسجد.

قال لنا : لقد خدمت الحكومة في الشرطة سنوات طويلة وأريد الآن أن أخدم ديني الإسلامي الحنيف بكل ما أستطيعه حتى يوافيني الأجل.

وتبلغ مساحة الأرض التي حصلوا عليها من الحكومة نصف هكتار يبنون منها المصلى الآن بمساحة ٢٦ متراً في ٢٧ متراً.

كانت جمعية المسجد موجودة بأكثر أعضائها ووجدناهم أعدوا مائدة شاي وفاكهة ضخمة ممتدة عليها الحلوى والفاكهة من الكرز والخوخ والطماطم وهم يقدمونها في مثل هذه الموائد كما تقدم الفاكهة ويأكلونها كما تؤكل، وليس كما هو معروف عندنا من كونها مخصصة للطبخ أو للسلطة. وذلك لصعوبة الحصول عليها في الشتاء بسبب البرد الشديد في بلادهم إلا أنها تكثر في الصيف حتى تباع بثمن بخس. وقد أعطيناهم ثلاثة آلاف دولار إسهاماً من رابطة العالم الإسلامي في بناء هذا المسجد ووعدناهم بحضور المفتي الشيخ محمد صادق الذي كان معنا ومعه عدد من المشايخ العاملين في الإدارة الدينية بأنهم إذا لم يكف

ما جمعوه واحتاجوا النقود فإن الرابطة سترسل لهم مساعدة مالية إضافية للمسجد.

حي رباط القاضي:

تركنا حي (قويلق أتا) وقصدنا حيًا في قلب مدينة طشقند اسمه (قاضي رباط محلة) أي حي رباط القاضي ولاحظنا خلال اختراقنا من الضاحية الجيدة التي كنا فيها في حي (قويلق أتا) إلى قلب المدينة أن السيارات فى الشوارع كثيرة وأكثرها من سيارات النقل. أما سيارات الركوب الصغيرة فإنها غير كثيرة وإن كانت موجودة فى كل الشوارع وأغلبها من طراز (لادا) الإيطالي الأصل يصنع فى الإتحاد السوفيتي ولكن يصعب الحصول على السيارة إلا إذا كان هناك واسطة يسهل الحصول عليها من رجل ذي منصب أو ذي قرابة بصاحب منصب أو بذل المشتري رشوة أو إكرامية للموظفين. أما إذا كان طلبه الحصول على السيارات طبيعيًا بمعنى أنه يدفع الثمن ويطلب قبض السيارة كما يكون فى البلدان الحرة فإنه سوف يستغرق زمنًا طويلاً، وسوف يقدم عليه غيره من أهل الوسائط.

وقف الموكب في شارع اسمه (دومير آباد كوجا) لمشاهدة مسجد هناك. وجدنا فى الإستقبال جماعة من الإخوة المسلمين القائمين على أمر المسجد منهم الأخ (عبد الجليل غلام) أو غلوم والمتولى الأخ (جوره بابى بن منصور بيك). وكلمة (بيك) تدل على أنه من ذرية أمير أو قائد عسكرى وقد أخبرني أن ذلك صحيح ويعمل مدرس تاريخ فى مدرسة

حكومية فقلت له: أرجوا أن تعلم أبناء المسلمين التاريخ الصحيح فى المسجد فقال: نعم نحن ندرس تاريخهم فى المدارس- يريد تاريخ الروس- والمسجد جديد كلية منحتهم الحكومة أرضه ومساحتها نصف هكتار.

وأخبرنا أن هذا سيكون مسجدًا جامعًا وأنه يخدم هذه المحلة (قاضي رباط) ومحلة (دومير آباد) لآن هذه المحلات فيها مساجد للصلوات الخمس ولكن ليس فيها جامع غيره. وأرض المسجد خصبة جدًا. فيها أشجار من الأشجار الضخمة المسماة (جنّار) وقد رأيتها لأول مرة فى كشمير التى تحتلها الهند، وعجبت من ضخامتها وذكروا أنها تعمر مئات السنين. ثم عرفت أنها كثيرة فى أراضي تركستان. كما توجد فى أرض المسجد أشجار من أشجار التوت ومن التفاح والخوخ والمشمش وكلها تكاد تنوء أغصانها بثمارها. وينوون الإبقاء على هذه الأشجار فى أرض المسجد. لأنها ستكون فى حديقته أو فى فنائه المكشوف لأن المصلى المسقوف فى المسجد لا تزيد مساحته على ١٩ متر فى ٣٨ مترًا. وهذه عادة لهم قديمة فى تركستان الشرقية والغربية. بل وفى الصين أن يجعل المسلمون المسجد كمركز فيه المصلى وحدائق وأفنية عديدة حوله . وتكون فيه غرف لطلبة العلم ومسكن للإمام والمؤذن وقد يكون فى المسجد إذا كان كبيرًا معمورًا أكثر من إمام ومؤذن يتناوبون العمل فيه تناوبًا. وقدمنا لهم تبرعًا من الرابطة وإسهامًا فى بناء المسجد.

محلة نوزه أو اليوم الجديد:

ثم انتقلنا إلى حي اسمه (نوزه) أو (نوزه محلة) كما يلفظون به. ونوزه تعني باللغة الأزبكية (اليوم الجديد) وتفاءلنا بأن يوماً جديداً للإسلام يشرق الآن وتستمر معه أيام جديدة سعيدة فى هذه البلاد التى شهدت أياماً من أيام الإسلام المجيدة. فوقفنا على (مسجد نوزه) الذي سمى باسم هذا الحي، ويقع على شارع رئيسي مهم اسمه (شارع صداقة الشعوب) وهو مسجد قديم صغير هدموه لكي يوسعوه وحصلوا من الحكومة توسعة له أرضاً جديدة حكومية ملاصقة له. متولي المسجد الأخ (ترسوف خوجه بن إسماعيل) وإمامه الشيخ (إسماعيل بن أمان الله خان) حافظ للقرآن الكريم. وملحق به مدرسة إسلامية (كُتَّاب) تعمل الآن فيها ٣٢ تلميذاً يتعلمون تلاوة القرآن الكريم. وهو أيضاً كسابقه فى أرضه أشجار وارفة الظلال كثيرة الثمار.



المؤلف بجانب مسجد نوزه مع القائمين على المسجد

مسجد نظر بيك:

خرجنا مرة ثانية من قلب مدينة طشقند إلى ضاحية زراعية تبعد عن المدينة ٢٠ كيلو مترًا حتى وصلنا حي (نظربيك) ويسمونه (نظربيك محلة) ومحلة هي اللفظة العربية بمعنى مكان نزول القوم وإقامتهم وهي معنى (حي) الشائعة في لغة الكتابة العربية المعاصرة.وذلك للاطلاع على مسجد جديد هناك.

رأينا الإخوة المسلمين يجتهدون في بنائه وكلهم حماس لذلك . وقال أحدهم بتأثر: لقد كنا بحاجة إلى مسجد ورأيت فما يرى النائم أن الأرض هذه فيها مسجد ظهر منه نور. فقام أهل المحلة وطلبوا من الحكومة أن تمنحهم هذه الأرض التي هي أرض حكومية فمنحتهم إياها بالمجان ومساحتها واسعة تبلغ هكتارًا ونصفًا إلا أنهم بنوا المصلى الرئيسي في المسجد ٢٠ في ٣٠ مترًا، فقد انتهوا من حفر الأساسات. ويصلون الآن في مكان مجاور للمسجد. ويؤمهم في الصلاة الشيخ نصر الله قاري بن إسماعيل قاري، ذكر أن والده كان قارئًا للقرآن الكريم والمتولي أي رئيس الجمعية التي تشرف على المسجد هو الأخ (لطف الله بن ذكر الله) حافظ للقرآن الكريم وكان في استقبالنا عند حضورنا إلى المسجد وقد ساعدناهم كما ساعدنا الذين قبلهم بما تيسر تقديمه من مساعدة عاجلة من رابطة العالم الإسلامي.

ذكر الشيخ نصر الله أنه يدرس الآن عددًا محدودًا من أبناء المسلمين علنًا في المسجد لا يخافون إلا من الله، أما في أزمات الشدة – كما قال– ويريد بذلك زمن الطغيان الشيوعي فإن تدريس الدين وتلقين

مبادئه على الأصح كان يتم خفية وعلى خيفة فى البيوت وبالدور بحيث أن المدرس يأتى إلى بيت يجتمع فيه خمسة فقط أو ستة من أبناء المسلمين فى يوم معين ثم ينتقل بعد ذلك إلى عدد قليل غيرهم فى وقت معين آخر، وذلك حذرًا من أن يكتشف أمرهم، إذ أنه إذا عرف أنهم يدرسون الدين فإن المعلم والطلاب يعاقبون عقوبة شديدة أهونها السجن لمدد معينة لكونهم خالفوا القانون الإلحادي الشيوعي الذي يحظر تدريس الدين.

هذا وقد طلب الإخوة القائمون على المسجد أن نختار اسمًا لمسجدهم لأنه لا اسم له عندهم إلا اسم المحلة التي هو فيها فاخترنا لهم اسم (مسجد الفتح) فوافقوا على ذلك.

هذا وكان لقاء هؤلاء الإخوة بوفدنا مؤثرًا فقد بكى بعضهم عندما صافحناه وعرف أننا من مكة المكرمة وصار بعضهم يضع جبهته على يد كل عضو من أعضاء الوفد محبة فى أهل الحرمين الشريفين.

مسجد جمير أتا:

ثم انتقلنا إلى محلة (حملِ غوزي) حيث وقفنا على مسجد يسمى (مسجد جمير أتا) وجمير أتا تعنى الأب الأكبر، لأن جمير بثلاث نقط تحت الجيم اسم شخص. والمتولى على هذا المسجد هو الأخ (مير أكبر ابن عيسى) قال لنا والقوم من قومه يسمعون: أنه سعى أكثر من سنة لدى الجهات المختلفة حتى حصل على التصريح اللازم لبناء المسجد. وكان يعمل فى وظيفة رئيس الطباخين وهو الآن متقاعد. وذكر أنه

عندما حصل على التصريح ببناء المسجد لم يدر كيف يجمع النقود فكان أن جاء إليه شخص واحد هو الأخ قوزي بن محمد وأعطاه أربعمائة روبل تبرعًا لبناء المسجد فكانت هذه فتحًا مبينًا ابتدأ به عمارة المسجد، ومعلوم أن الأربعمائة روبل لا تساوي مبلغًا يستحق الذكر عندنا إذا ما نظرنا إلى قيمة صرف الروبل مجردة من ظروف الحياة الاقتصادية عندهم فهى تساوى حوالى ٦٢ دولارًا أمريكيًا بالصرف التشجيعي للسياح ولكنها تساوي هنا راتب موظفين اثنين متوسطين أو خمسة فراشين فى الشهر.



الأخ أكبر علي متولي جامع جمير آتا يتسلم المساعدة المالية العاجلة من المؤلف

ولذلك عندما تبرعنا لهم بثلاثة آلاف دولار أمريكى التى تساوي بالصرف التشجيعى للدولار حوالي تسعة عشر ألف روبل فرحوا

بذلك وحمدوا الله وشكروه. وذكروا أنهم ينوون بناء مدرسة دينية فى جانب من أرض المسجد مؤلفة من طابقين بعد أن ينتهوا من بناء المسجد.

مسجد مكة المكرمة:

انتقل الموكب إلى حي آخر من أحياء وسط مدينة طشقند وهو حي (علان): منطقة جوغتاي بازار لمشاهدة مشروع بناء مسجد ضخم على أرض واسعة وجدنا المعدات الضخمة التى استأجروها من الحكومة بأجرة بخسة تحفر أرض المسجد حفرًا وتعمق الحفر لأساسه كأنما هو أساس بناء مكون من عدة طوابق.

وينفق على المسجد جماعة من المسلمين يتقدمهم المتولى – كما يسمونه – وهو الأخ (شريف جان بن رحيم جان). وقد أطلعونا على الخرائط والمخططات التي وضعوها للمسجد بحيث خططوا له أن يشتمل على مصلى رئيسي سعته ٤٢ مترًا فى ٦٣ مترًا ومدرستين لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الإسلامية والعربية إحداهما للبنين والأخرى للبنات.

وذكروا أنهم لم يدفعوا شيئًا لهذه المخططات والرسومات وإنما تبرع بعملها رئيس المعماريين فى الحكومة.ويؤدون الصلاة الآن فى مكان صغير مجاور ويؤمهم الشيخ (غلام قادر بن ميرزا يعقوب). وقدمنا لهم تبرعًا من الرابطة إسهامًا فى هذه المرحلة من البناء، كما أخبرناهم بأننا سوف ننظر فى تقديم المزيد من التبرع فى المستقبل.

ثم تركنا هذه المحلة ومررنا بمقبرة للمسلمين فيها شواهد حجرية ترتفع حوالي المتر مكتوب عليها اسم الميت وتاريخ وفاته. أما القبر نفسه فإنهم لا يرفعونه عن الأرض أكثر من شبر.

وصرنا نسير في شوارع واسعة عريضة من شوارع طشقند. وكلها شوارع حديثة تقع عليها الأبنية الكبيرة التى ليس لها طابع محلي ، ولا إسلامي وإنما هى أبنية مؤلفة من شقق تؤجرها الدولة مساكن للأهالي بأجور زهيدة لأنهم لا يستطيعون بناء بيوت خاصة بهم فى داخل المدن.

ويذكر بهذه المناسبة أن مدينة طشقند تعتبر المدينة الرابعة فى الإتحاد السوفيتي من حيث عدد السكان وهي على الترتيب: موسكو، لينين قراد، كييف، ثم طشقند. وتكثر الحدائق والأشجار فى المدينة ولها فى النفس منظر أنيق. بسبب الحر الشديد الذي نشعر به الآن.

ثم مررنا بمسجد الشيخ ضياء الدين فى حى ياالانفاج وهو مسجد عامر سبق أن زرناه فى المرة الماضية. وكان يرافقنا إمامه الشيخ ذاكر بن إسماعيل نائب رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان. واستقبلنا فيه جماعة من الشيوخ وكبار السن وقد أجهش أكثرهم بالبكاء عندما رآنا لأنهم لم يروا من قبل أحدًا من سكان الحرمين الشريفين يأتون إليهم فى مسجدهم. وفى هذا المسجد فصول دراسية للبنين والبنات لتعليم القرآن الكريم سمعنا منهم قراءة أحدهم وهو الطالب (حميد الله بن أخن) فقرأ قراءة جيدة من سورة النساء عن ظهر قلب. وذكر أنه يحفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم. ثم تناولنا الغداء

السخي المعتاد فى غرفة فى هذا المسجد تتقدمه الفاكهة الطازجة الممتازة وتتوسطه وتقفوه اللحوم التركستانية الدسمة.

وبعد ذلك سلمنا جميع المساعدات التى تبرعنا بها أمس واليوم إلى المفتى الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية. وكنا أخبرناهم جميعاً لكي يتسلموها مساء اليوم أو غداً من الإدارة الدينية. وذلك من أجل أن تسلمها الإدارة للأشخاص الذين تعرفهم ويكونون مخولين بتسلم النقود لتلك المساجد حسب المتبع عندهم . إضافة إلى متابعة العمل من قبلها وشعور أهل المساجد بذلك.

جمهورية تاجيكستان

جمهورية تاجيكستان:

تقع فى جنوب تركستان الغربية بآسيا الوسطى على حدود أفغانستان تأسست فى البداية باسم مقاطعة تاجيكستان ذات الحكم الذاتى كجزء من جمهورية أوزبكستان فى ١٤ أكتوبر ١٩٢٤م وبعد أن ألحق بها إقليم خوجند وإقليم بدخشان فى هضبة البامير تحولت إلى جمهورية تاجيكستان ذات الحكم الذاتي التابعة لاوزبكستان فى ١٥ مارس ١٩٢٥م.

ثم قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى ١٢ يونية ١٩٢٩م فصلها تماماً عن اوزبكستان وفى ٥ ديسمبر ١٩٢٩م أعلنت جمهورية تاجيكستان الاشتراكية السوفياتية الفيدرالية.

وتقدر مساحة تاجيكستان ١٤٣٠٠٠ كم٢ وعاصمتها دوشنبه ويبلغ عدد سكانها ٤٨٠١٠٠٠ نسمة فى احصاء عام ١٩٧٩م نسبة المسلمين منهم ٨٦ فى المائة.

من طشقند إلى دوشنبه:

دوشنبه هي عاصمة جمهورية (تاجيكستان) وتقع مدينة (دوشنبه) فى جهة الجنوب الشرقى من طشقند.

كان من المقرر أن تقوم الطائرة فى الرابعة والربع من بعد الظهر وقد دخلنا إليها فى الموعد المحدد وكان يصحبنا الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان

الذي صحبني فى جميع جولاتي فى آسيا الوسطى جزاه الله خيراً ومعه عدد من موظفى الإدارة الدينية.

والطائرة نفاثة من طراز توبوليف ١٥٤ مليئة بالركاب الذين أكثرهم من الروس الذين يعيشون فى هذه المناطق الإسلامية وفيهم ركاب من الأوزبكيين. والقلة فيهم هم (التاجيك) وكانت مقاعدنا فى الدرجة الأولى التى هى مقاعد معتادة فى مقدمة الطائرة.

وكنت سألت إخواننا عن الجو فى (تاجيكستان) وهل هو أقل حراً من طشقند كما كنت أسألهم فى المرة الماضية قبل سنوات عن الجو فى البلاد التى نقبل عليها وأقول لهم: عسى أن يكون أكثر دفئًا من طشقند.

وقد أخبروني أن (تاجيكستان) أبرد من طشقند لوقوعها على حافة جبال الهملايا. غير أن الحر الذي كنا نفر منه فى طشقند كان لنا بالمرصاد فى الطائرة إذْ أغلقت أبوابها كالمعتاد وهي مليئة بالركاب وليس فيها تكييف هواء ولا مراوح ولا صنابير للهواء وتركونا فترة طويلة فى جو خانق حار. لم يحركوا الطائرة ولم يفتحوا أبوابها لدخول الهواء مادامت واقفة، والشمس ساطعة حارة. ولم أر أحداً جهر بالشكوى من الركاب رغم التعب الذى لحق بهم. ثم تحركت فى الساعة الخامسة والربع وأعلنوا الاعتذار عن هذا التأخر وذكروا أنه بسبب حالة الجو فى (دوشنبه).

كان قيامها فى السادسة والربع حسب توقيت طشقند. وأعلنوا أن مدة الطيران ستكون ٤٥ دقيقة. كان مقعدي فى الجانب الأيمن من الطائرة

بجانب النافذة ولم تكن على النافذة ستارة من القماش أو غيره. فلقيت من حرارة الشمس إضافة إلى حرارة الجو فى داخل الطائرة أذى شديداً.

وحتى الإخوة الذين معنا وليسوا معرضين للشمس قالوا: هذا (دو حمام) على قياس (دوشنبه) فدو فارسية معناها: اثنان كما سيأتي فى ذكر معنى اسمها بالفارسية، ومعنى كلامهم أننا الآن ذاهبون إلى دوشنبه فى حمامين من الحر.

وقد اشتد الحر قرب النافذة حتى صرت لا أستطيع أن أضع يدي على زجاجها من شدة حره، وأظن أن ذلك من شدة التدفئة داخل الطائرة عندما ارتفعت وأن الطائرة مصممة فى الأصل لمكافحة البرد ولم يأخذوا مكافحة الحر بالاعتبار.

وكانت الطائرة قد ارتفعت فوق سحاب كثيف صادفناه بعد مفارقة منطقة مدينة طشقند. ثم انجلى أكثره فاتضحت لنا المنطقة تحت الطائرة جبالاً عالية تجللها الثلوج المطبقة التي لم تستطع هذه الشمس الحارة أن تذيبها، واذا بها جبال الهملايا العاتية وهي الثلوج التي تذوب أعاليها وأطرافها فيتألف من ذوبها أنهار ونهيرات من أشهرها فى هذه المنطقة نهرا جيحون وسيحون وهما من الأنهار التي تهبط من الهملايا وتجرى إلى الشمال منها.

أما الأنهار التي تجري إلى الجنوب من الهملايا فهي من مناطق لا نراها وقد رأيت بعضها من كشمير التي عاصمتها سرنيقر ومن كتمندو

عاصـمة نيبـال ومن تلك الأنهار التي تنسـاب جنوبًا من الهمـلايا معظم أنهار القارة الهندية.

تجاوزت الطائرة منطقـة الثلوج الكثيفة إلى جبـال أقل ارتفاعًا. وليس ذلك لضـيق تلك المنطقـة وإنما لكون الطائرة كـانت تطيـر على حـواشي تلك الجبال الشاهقة.

وبعـد أن أمـضت ٣٥ دقـيـقـة من الطيـران بدأت التـدني فـوق أرض جبلية بينها وديان خصبة. ثم وصلنا بسرعة ونحن نطير إلى واد خصب أكـثـر اتساعًا من غـيـره يشـقه نـهر تسطـع الشمس عـلى ميـاهه حـيث تنعكس عليه أشعة الشمس.

وفى هذا الوادي قرى زراعيـة عديدة، أما الجبال التي تحيط بهـا فإنها قليلة الخـضرة قليـلة السكان، وكلما قـربت الطائرة من الأرض اتسـعت الحقول فى مرأى العين وتبين أن الزراعة فى الوادي هي حقول متسعة. ومنها حقول من الحب الحصيد الذي منه القمح.

في مطار دوشنبه :

بدت مـدينة (دوشنبه) من الطائـرة متـسعـة المساحـة بين ضواحـيهـا حقـول زراعية كثـيرة حتى تبدو ضـواحيهـا أشبه بالريـف منها بالأحـياء المدنية السكنية.

وفى قلبها أبنية عالية ذات طبقـات متعددة إلا إن عددها قليل، ويشقها النهـر الذي رأيناه ينسـاب فى الوادي. وجـمـيع منازلهـا التى رأيناها من الطائرة ذات سقوف مسنمـة تسنيمًا حادًا، وذلك من أجل أن تنزلق عنها

الثلوج وتسهل إزالتها إذا تراكمت عليها. لأنه لا بد من أن نتذكر أن مدينة (دوشنبه) هذه واقعة في شمال جبال الهملايا ومعنى ذلك أنها ذات جو بارد ، بل قارس البرد فى الشتاء.

هبطت الطائرة فى السادسة مساء بتوقيت طشقند، ويساوي ذلك السابعة بتوقيت دوشنبه لكونها واقعة شرقاً من جمهورية ازبكستان.

كانت جوانب المدارج فى المطار مكسوة بأعشاب كثيفة صفر قد جففتها شمس الصيف الحارة.

وكانت المفاجأة أنهم أعلنوا أن درجة الحرارة الآن هي ٢٥ درجة مئوية وهذه درجة جيدة مع جفاف الجو.

رأينا فى المطارطائرات حربية عديدة لأن جمهورية تاجيكستان هذه مجاورة لأفغانستان التي لا تزال الحرب قائمة فيها بين المجاهدين الأفغانيين وقوات الحكومة الشيوعية التي يؤيدها الإتحاد السوفيتي ويمدها بالسلاح، كما أنه يوجد فى هذه الجمهورية (تاجيكستان) قواعد حربية سوفيتية عديدة .

وجدنا في الاستقبال عند سلم الطائرة عدداً من المستقبلين والمحتفين على رأسهم الشيخ حاج أكبر جان توره زاده عبد القهار قاضي جمهورية تاجيكستان. ورئيس الشئون الدينية فيها، ومعه عدد من أئمة المساجد وأعيان البلاد، وكان مصورو التلفزة والصحافة يصورون قدوم الوفد بكثافة.

إلى مدينة دوشنبه:

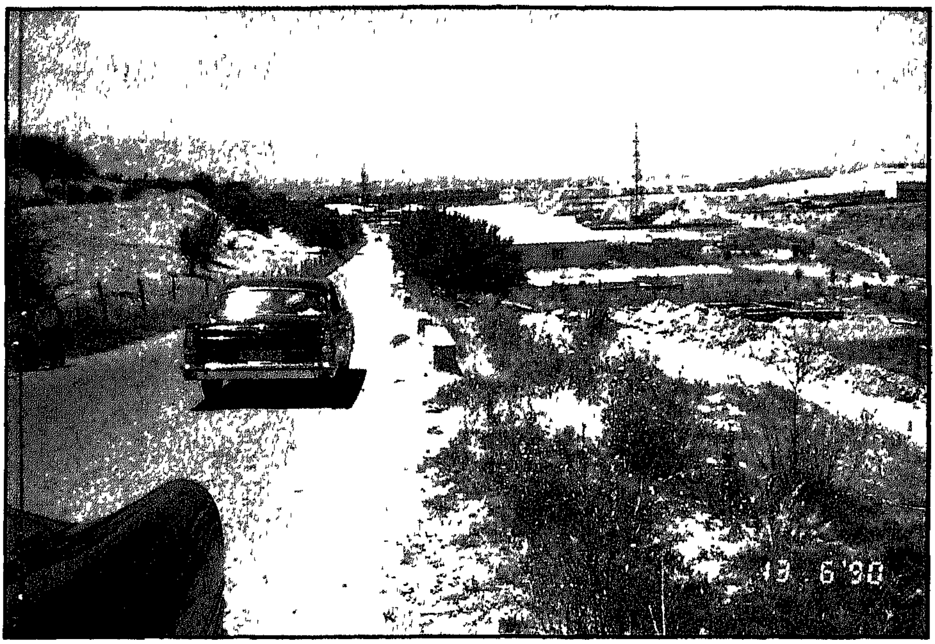
لم نبق طويلاً فى المطار لأننا وجدناهم قد أعدوا موكبًا من السيارات فى مقدمته سيارتان سوداوان أحداهما لي وللشيخ المفتي محمد صادق وكان الشيخ حاج أكبر يركب معنا. والأخرى لبقية أعضاء الوفد مع سيارات أخرى.

سار الموكب تتقدمه سيارة من سيارات الشرطة بصوتها المميز قاصداً مدينة (دوشنبه). فمر بضاحية اسمها (دوشنبه) الجديدة كانت قرية منفصلة عن دوشنبه فاتصلت بها وهي غارقة بالأشجار والحدائق. ثم دخلنا مدينة (دوشنبه) من شارع رئيسي اسمه (شارع لينين) أو (طريق لينين) وهو الشارع الرئيسي فى المدينة مع وجود شوارع أخرى عديدة فيها بطبيعة الحال. ذكر الإخوة الكرام أنهم يسعون إلى تغيير اسمه من بين مايسعون إلى تغييره من المظاهر الشيوعية التي كان الشيوعيون ابان تعصبهم قد عملوها فى البلاد.

وهذا الشارع ذو اتجاهين تفصل بينهما جزيرة خضراء مظلة الأشجار لازدهارها وكثافتها فيها.

ومر الموكب بعدة ميادين مجملة ذات أرصفة جيدة .

إلى ريف دوشنبه:

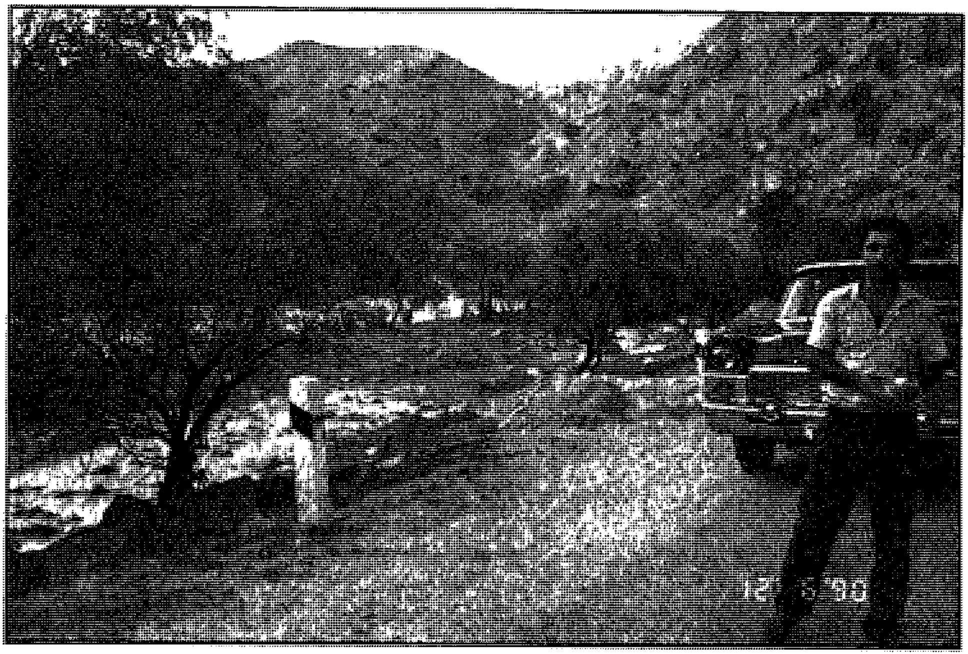


طريق ريفي سلكناه في تاجيكستان

ذكر الشيخ أكبر جـان توره زاده ونحن نسير، أن أول فقرة فى برنامج الزيارة ستكون صلاة المغرب في جـامع (سري آسيا) وإننا ذاهبون الآن إلى قصر الضـيافة للاستراحـة فيه قبل المغرب. فـقلت له إنه قد بقى في النهار بقية صالحة نريد أن نقضـيها فى رؤية معالم البلاد. لأننا ليس بنا حاجة إلى الاستـراحة.فلم ندخل قصر الضيافـة وإنما استمر الموكب في سيره قاصداً خارج مدينة (دوشنبه) لقضاء الوقت في نزهة خلوية نطلع منها على طبيعة الأرض في هذه البلاد.

نهر ورز آب :

قطعنا نهر (ورز آب) على جسر قد أقيم عليه، وهو النهر الذي رأيناه فى المدينة وينساب فى الوادى الخصيب الذي رأيناه من الطائرة أخضر واسعًا نسبيًا بين الجبال. وقد رأيناه متدفق المياه مندفعًا فى سيره لأنه يقدم من جبال عالية من جبال الهملايا فيمر بهذه المنطقة الجبلية التي فيها المدينة ويتركها مسرعًا منحدرًا إلى الوادي المذكور.



على ضفة نهر ورز آب في تاجيكستان

بلاد الجبال :

عندما زرت نيبال كتبت مشاهداتي فيها في كتاب عنوانه: «فى نيبال، بلاد الجبال» واليوم بعد أن شاهدت ماشاهدته من هذه البلاد من

الطائرة، وبينما كنا نسير في واد ضيق بين الجبال لا يكاد يتسع لغير مجرى نهر (ورز آب) أسأل مضيفنا الشيخ أكبر جان عن هذه البلاد أيصح أن يقال أنها بلاد جبلية فيقول مجيباً عن علم وعن احصاء رسمي: إن هذه البلاد أحق بلاد الله بلقب بلاد الجبال لأنه حسب المسح الرسمي الحقيقي تؤلف الجبال ٩٣٪ من أراضيها، ولا تؤلف الأرض المطمئنة إلا ٧٪ فقط. وهي على هيئة وديان بين الجبال. ونعود إلى نهر (ورز آب) فنقول إننا رأينا مياهه تتدافع وهي كدرة لكثرة المياه فيه فذكر مرافقونا أنها الآن تكون كدرة، ولكنها بعد شهر تكون في غاية الصفاء حتى إن بعضهم قد يسميه في ذلك الوقت بالنهر الأزرق لصفاء مياهه.

وذكروا أن مياهه تأتي من ذوب الثلوج، وذكروا أن الثلوج تظل تذوب في أشهر الصيف حتى يأتي الخريف ثم الشتاء فيمدها بثلوج جديدة وفيها ثلوج دائمة التجمد لا تذوب أبداً. كنا نتحدث بهذا الحديث ونحن خارج المدينة نسير مع وادٍ ضيق يشقه النهر. ومع ضيق الوادي الذي يشقه النهر فإن عليه بعض القرى الجبلية التى تعيش على الزراعة فى الوديان الضيقة وتربي الحيوان الذي يجد علفه مما يزرع على النهر ومن الأعشاب البرية فى شعاب الجبال.

حتى العسل ذكروا أنه هنا من العسل الجيد. لكون المنطقة فيها شعاب ضيقة يمكن اللجوء إليها من الرياح العاتية التى تهب من تلقاء سيبيريا فى فصل الشتاء.

وعلى ذكر الثلوج ذكروا أن الثلج يستمر مطبقاً عليهم مدة ثلاثة

شهور في السنة. ولذلك سقفوا بيوتهم بسقوف مسنمة واقفة، حتى يسهل زوال الثلج عنها، أما لو كانت مسطحة فإن الثلج يثقل فوقها فتنهار. وإذا أرادوا إزالته لم يستطيعوا.

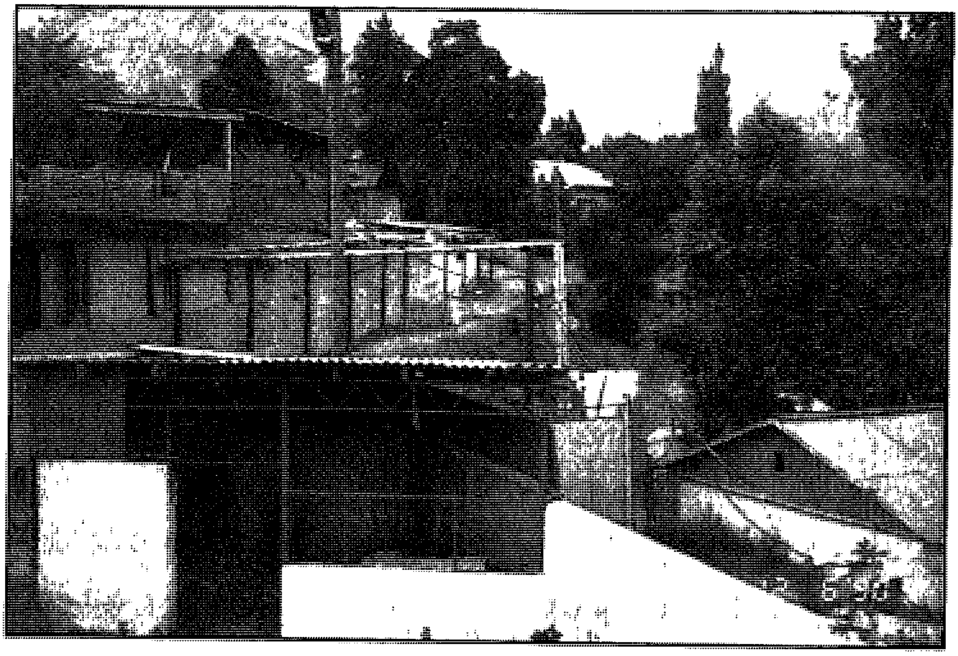
ونحن نسير الآن على خط ازفلتي جيد يمتد إلى طشقند على مسافة ٥٤٠ كيلو مترًا من (دوشنبه) ولذلك عرضوا علينا الرجوع من الطريق البري هذا لأنه يمر بمناطق غريبة ومناظر شيقة من ذلك أنه يسير في أماكن عديدة فوق السحاب فيشاهد السائر فيه السحاب منخفضًا عنه. حتى يصل إلى قمة تسمى (انزابا) ترتفع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر. ثم ينحدر لوادٍ خصب تقع فيه (شهرستان) المنطقة التاريخية القديمة التي نسبت إليها طائفة من العلماء والمحدثين حفلت بذكرهم كتب التراث العربي الإسلامي.

تحدث القوم عن صلاة العصر وكنا صليناها جمعًا مع الظهر في مطار طشقند فذكروا لنا ما استغربناه وهو أن وقت صلاة العصر عندهم هو السابعة والنصف . أما غروب الشمس فإنه في التاسعة.

قرية القلعة:

وقفنا في مكان متسع قليلاً على ضفة نهر (وارزاب) للتمتع بمرأى النهر وهو يغذ السير بل الانحدار ولمياهه خرير جميل يجلب النعاس لرتابته وتوازن وقعه وقد انتصبت الحيطان الجبلية التي تكاد تخنق وادي النهر بأيد خضر، ولكن النهر يبادر فيغسل اقدامها دون أن يصل هامها.وصورنا هنا ماشاء لنا التصوير من صور تذكارية. ومع جمال

المنطقة وتدافع مياه النهر الذي ارتدت صفحته المضطربة ثيابًا بيضًا من شدة الاضطراب فإن مجرد رؤية الجبال المنتصبة التي تكاد تغلق النظر دون الأفق القريب بل إنها تغلقه بالفعل لأن الوادي ينحرف بعد أن يتجاوزنا هي مما لا يشعر المرء معه بالارتياح، إذا تصور أنه سيقيم على سبيل الافتراض - بين هذه الجبال.



جانب من منازل قرية (قلعة)

وبعد هذه الوقفة الممتعة رجعنا أدراجنا مع الطريق حتى وصلنا جسرًا أقيم عليه فسلكناه إلى قرية تسمى (كلاه) وهي كلمة (قلعة) العربية صارت فى ألفاظهم (كلاه) وذلك من أجل أداء صلاة العصر فى مسجدها للقوم الذين من أهل البلاد لم يصلوها جمعًا. ومن أجل أن نرى نحن هذه القلعة ونرى المنطقة، نفسها من قرب.

تجاوزنا الوادي مع طرق ضيقة أفضت إلى القرية وهي لا تبعد كثيرًا عن ضفة النهر الذي هو في الوادي الرئيسي ولكنها في شعبة بين جبال لأن الوادي الرئيسي الذي يجري فيه النهر ليس فيه متسع لموضع قرية.

المقهاة مسجد:

وجدنا المسجد منزلاً معتادًا مؤلفًا من ثلاث غرف اتخذوا الكبيرة منها مصلى لأوقات الصلاة اليومية . وإذا ضاقت فتحوا أبواب الغرفتين الأخريين فاتصلت بها بعض الاتصال، وليس للمسجد مئذنة فلما استفسرنا منهم عن كيفية وجود المسجد على هذه الصورة أجابونا بأنه إبان الطغيان الشيوعي لم يكن مسموحًا بافتتاح مسجد فاستصدر المسلمون رخصة من الحكومة باتخاذ هذا البيت مقهاة للشاي وإن شئت الدقة قلت مشربًا للشاي وقد ذكروا اسمه بلغتهم الفارسية (تشاي خانة) أي بيت الشاي، أو مكان شرب الشاي.

ثم صاروا يصلون فيه على الطريقة التي رأيناه عليها، ولم يستطيعوا أن يبنوا مسجدًا مستقلاً يتخذ صورة المسجد ومظهره من منارة وقبة، بل من الكتابة عليه أو تسجيله باسم المسجد. وقد تكلمت في جماعة المسلمين من أهل القرية الذين اجتمعوا حولنا وقلت لهم: إننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون لتقديم مساعدة مجزية لهم على بناء المسجد إذا قرروا بناءه، وقلت لرئيسهم الشيخ أكبر جان زاده قاضي تاجيكستان: إنني أرجو أن توافينا في الرابطة بما يفعله هؤلاء الإخوة لبناء المسجد.

وعلى ذكر الطغيان الشيوعى ذكر الإخوة من أهل البلاد أن المسلمين فى هذه القرية ونحوها أصبحوا قليلى الفهم لدينهم الإسلامي الحنيف، وذلك بسبب محاربة المذهب الشيوعي الملحد للتعليم الإسلامي حتى فقد منهم كلية، وحتى كانت الحكومة الشيوعية إذا عرفت أن شيخاً يدرس الدين للناس فإنها تنفيه إلى سيبيريا، أو تعمل على قتله. قالوا: وهذا كان فى السبعينات. أما الآن فإن الأمر اختلف إلى الأحسن ولله الحمد.

بنيما كان القوم يصلون صلاة العصر علقت مصورتي بيدي وسرت في أزقة هذه القرية لأرى أهلها ولكنهم لم ينتظروني حتى آتيهم وإنما أقبلوا هم على هذا الحدث العظيم الذي قلما يتكرر عندهم وهو وجود سيارات فاخرة تقف فى قريتهم ينزل منها قوم يذهبون إلى المسجد لأداء الصلاة.

وجدت القرية مهملة من العناية في المرافق العامة وهى نفسها صغيرة تتعلق بيوتها بأهداب الشعب الجبلي الذي تقع على قدمه. بيوتها من الآجر والخشب وبعضها من الطين الذي بنيت أساساته من الحجارة. وقد طلبت من بعضهم التقاط صورة فتمنعوا من ذلك ثم ما لبثوا أن غلبهم الفضول فأقبلوا هم بأنفسهم فصورتهم وكنت أود أن التقط صورة تذكارية تجمعني بهم. وكان المشهد مشهداً ممتعاً قلما يحلم به المرء وهو أن يرى قرية منزوية فى شعب من شعاب الجبال التاجيكية. ويحيط به قوم من الإخوة المسلمين من أهل هذه البلاد بل من العريقين

فى الإسلام. وإن كانت حصيلتهم من المعرفة بالإسلام قد قلت الآن أو كادت تعدم إذا نظرنا إليهم أفرادًا من العامة.

أما مشايخهم ابتداء من رئيسهم القاضي الشيخ أكبر جان تور زاده إلى أئمة المساجد فإنهم يعتبرون من المجاهدين فى سبيل الله إن شاء الله، لأنهم يعملون لدينهم رغم قلة الأنصار. وعظم المسئولية.

ولم أر حيوانًا فى القرية إلا خيلاً وحميرًا وأذكر أن حمارًا منها كان يقف في الطريق الضيق. فحاول سائق سيارة الشرطة التى أمام موكبنا أن يبعده بإطلاق بوق سيارته المزعج المميز . فلم يكترث بذلك . وإنما واصل الايماء برأسه وهو يخفضه كأنما يتحدى فلم يكن إلا التلطف به حتى مرت السيارات بجانبه دون أن تصدمه ولم تكد تمر. ولا شك أن من أسباب ذلك أنه لم يتعود على أصوات السيارات وربما ظن ذهنه (الحماري) أنها مثل أصوات الرعود التي تحدث في السماء ولا تحتاج منه إلى الابتعاد عن موضعه عندما تسير. أو ظن أنها مثل صوت مياه النهر التي لا تفتأ تهدر هذا الهدير الرئيسي أوهكذا توهم بفهمه الحماري الكثيف.

جامع سري آسيا:

مررنا بقصر الضيافة فوجدناهم قد وضعوا أمتعتنا فى الغرف التي خصصوها لكل واحد منا ثم توجهنا إلى (جامع سري آسيا) ومعنى اسمه رأس الطاحونة وذلك أن الحي الذي هو فيه يسمى بهذا الاسم.

وهو جامع قديم بنى أول مرة منذ ١٠٨ سنة وكان صغيرًا. ثم جدد بناؤه حديثًا، وبنوا له منارة مستديرة تقليدية كما تكون المنارات عندهم.

وصلنا إلـى الجـامع والمؤذن ينادي لـصـلاة المغـرب وأفـواج المصلين تتقاطر على المسجد حتى كاد يمتلىء بهم عندما أكمل الأذان.

ولم ينتظروا الفـراغ من الصلاة حـتى يسلمـوا على إخوانهم القـادمين من مهابط الوحى ويصافحوهم بل ابتـدأوا بالسلام وكان كبار السن فيهم يبكون، وبعـضـهم يسـمع له نحيـب فى البكاء من التأثر، فـقد ذكـروا أننا أول وفد يأتى من مكة المكرمة إليهم وكنا نرتدي الملابس العربية التى لها فى نفـوسـهم تقديـر عظيم. لأن بعـضـهم يعـتـقـد أنها اللبـاس الإسـلامـي الأصيل. وقد استمر سلامـهم مدة طويلة حتى لم يكد يبقى منهم شخص إلا وسلم علينا. ثم أم الجميع بالصـلاة المفتى الشيخ محمد صـادق محمد يوسف رئيس الإدارة الدينيـة لمسلمي آسيـا الوسطى وقازاقستان وتـتبع إدارته هذه الجمهورية في الشئون الدينية كما هو ظاهر من اسمها. وبعد الصلاة نهض الجميع لأداء ركعتي السنة ثم بدأ الدعـاء المعتاد والتسبيح والتحـميد بعد الصلاة، وبعـد أن انقضى ذلك كله نهض الشـيخ محـمد صادق فـقدم وفد الرابطة إلى الحاضـرين وذكر أسمـاءنا والغرض الذى جئنا من أجله.

ثم بدأت بالقاء كلمة مطولة مرتجلة ترجمهـا من العربية إلى الفارسية التي يتكلم بـها القـوم في هذه البـلاد القـاضي الشـيخ الحـاج (أكبـر جـان توري زاده) فـتكلمت عن مـهـمـتنا التى جـئنا من أجلهـا إلى هذه البـلاد وأنها السلام عليـهم وتجديد الصلة بهم والاطلاع على أحوالهم ومـعرفة مـا يحـتـاجونه من أمـور دينهـم التي يمكن لرابطة العـالم الإسـلامي أن

تساعد عليها وبخاصة في بناء المساجد وإقامة المدارس وإرسال المصاحف. وبينت لهم قوة الرابطة التي تربط بين المسلمين وأنها أقوى من رابطة النسب وتكلمت على الماضي المشرق لهذه البلاد وكيف كانت قد أخرجت للعالم الإسلامي جهابذة من العلماء والصلحاء والزهاد الذين أفادوا بعلمهم البشرية كلها، وجعلت هذه البلاد مركزاً مهماً من مراكز الثقافة الدينية الإسلامية ولدينا شواهد فيما خلفوه من الآثار العلمية الباقية على الدهور، وإلى أن مكتباتنا العربية تحوي الآن من آثارهم ما يعد مفخرة للمسلمين جميعاً.



قبل الصلاة في تاجيكستان

وقلت لهم: أن الإسلام دخل إلى هذه البلاد منذ ألف وثلثمائة سنة وطيلة هذه القرون كان أسلافكم الكرام ينقلون الأمانة الإسلامية من جيلهم إلى الجيل الذي بعدهم ثم ينقله من بعدهم إلى أبنائهم فالله الله من التفريط فى أبنائكم لأنكم إن فعلتم ذلك - لا قدر الله - كان عليكم إثم انقطاع هذه السلسلة الذهبية المتصلة من المسلمين منذ ذلك العهد الذي دخل فيه الإسلام أول مرة إلى بلادكم فتتحملون بذلك الوزر فى التاريخ وتكونون أشقى الأجيال كلها.

وأن إخوتكم المسلمين فى العالم ينتظرون منكم أن تعيدوا المجد العلمي العريق الذي كان لأسلافكم ويسألوننا دائمًا عما هي عليه حالكم فاتقوا الله فى أنفسكم وفي أولادكم وجاهدوا فى حفظ دينكم فهذا هو الجهاد الأكبر فى هذه المرحلة وهو الحرص على تنشئة أولادكم تنشئة إسلامية صحيحة.

إننا الآن رأينا التغييرات الجيدة الجارية فى بلادكم السوفيتية ومنها الإذن ببناء المساجد، والسماح بتدريس الأطفال مبادئ الدين الإسلامى وتلاوة القرآن الكريم، وهذا أمر لم يصل إليه آباؤكم بل لم تكونوا تحلمون به فى الزمن القريب.

ولا شك فى أن سبب ذلك هو تطبيق سياسة إعادة البناء التى نادى بها الرئيس جورباتشوف فيجب عليكم أن تنتهزوا هذه الفرصة وتستفيدوا منها لدينكم.

وكان كثير منهم يبكون وأنا ألقى كلمتي من التأثر.

العشاء في المسجد:

انتقلنا من داخل المسجد إلى غرفة مستطيلة فيه فوجدناهم قد وضعوا مائدة عليها مقدمات المائدة المعتادة عندهم وهي الفواكة المتعددة من الكرز والمشمش والخوخ والبطيخ الأصفر الجيد (الشمام) وزادوا على العادة بأن أحضروا معها البصل الأخضر والبقدونس. فأكلنا من هذه المقدمات بينما كانوا يحضرون الطعام الرئيسي الدسم فكان أربعة أصناف آخرها الرز البخاري الذي نعرفه في بلادنا.

وكانت المذاكرة على الطعام أشهى من هذا الطعام الشهي. وقد لاحظت في آسيا الوسطى أنهم يأكلون الفاكهة في أول الطعام ووسطه وآخره. لأنهم كانوا يضعونها في مقدمة المائدة ثم يظلون يأكلون منها وبخاصة إذا رفعت الصحاف بطعام. لتعود أو تعود غيرها ممتلئة بالصنف الآخر. ولم نعد إلى قصر الضيافة إلا في الحادية عشرة والنصف قبل منتصف الليل. وقد أضافوا إلى الموكب في هذه المرة سيارة من سيارات الشرطة خلف الموكب. ولم يكتفوا بالسيارة التي تتقدمه.

أما قصر الضيافة فإنه جيد في مستوى فنادق الدرجة الأولى وهو دارضيافة حكومية للوفود الرسمية. وودعونا على أمل أن يبدأ الانطلاق لبرنامج الغد في السابعة والنصف ولم أنم كثيراً رغم الحاجة إلى النوم من أجل الاستعداد لعمل الغد، وذلك لاستغراقي في التفكيرالسار الذي أحسست به وأنا أصل إلى هذه الديار المسلمة وأرى إخواني المسلمين فيها مما لم أكن أحلم به في الماضي. وزاد من السرور بهذا اللقاء أنه

يجئ فى ظرف حسنت فيه أحوال المسلمين الدينية، وزادت آمالهم فى أن يستعيدوا حريتهم فى معتقدهم، وأن يربوا أولادهم التربية الإسلامية التي يريدونها كما أنهم قد فرحوا للأخبار التي عرفوها عن السماح لهم بالحج هذا العام لأول مرة فى تاريخ بلادهم الحديث أي منذ ٧٣ سنة.

يوم الأربعاء: ١٤١٠/١١/٢٠هـ - ١٣ /١٩٩٠/٦م.

صباح دوشنبه:

وكدت أقول: صباح الاثنين رغم كون اليوم هو يوم الأربعاء وذلك أن معنى اسم هذه البلدة (دوشنبه) هو (يوم الاثنين) لأن (دو) بالفارسية التي هي اللغة السائدة هنا هي اثنان، وشنبه هو يوم السبت . ففى الفارسية أول الأسبوع يوم السبت واسمه (شنبه) وبعده بوم الأحد ايك شنبه أي السبت الأول أو الواحد وبعد الأحد الاثنين (دوشنبه) أي اليوم الثاني بعد السبت أو بالترجمة الحرفية غير الفقهية السبت الثاني. وقد سميت بهذا الاسم (الاثنين) لأن موضعها كان فيه فى الأصل سوق يقام يوم الاثنين. فسمي المكان به حتى صار مدينة بهذا الاسم. وقد اسفرت النافذة التى فتحتها على حديقة قصر الضيافة عن منظر أنيق بل بديع لأنها كانت تفتح على حديقة غناء ريانة الأشجار، مرتبة الأزهار فى هذا الصيف الذي هو لهم ربيع. وقد نسقت الحديقة تنسيقاً بديعاً. وقد اتصلت أشجارها وأزهارها بالأشجار الضخمة الوارفة الظلال التى ترفرف أغصانها على الشارع الذي يقع عليه قصر الضيافة من منطقة هي أجمل ما فى المدينة من المناطق.

ولم أستطع مقاومة الإغراء فى النزول إلى الحديقة رغم قصر الوقت، فنزلت أتمشى فى الحديقة فى هذا الصباح الذي خيل إليّ أنه كان يبتسم لي أو لأهل هذه المدينة بعد عبوس طويل ران عليها لادهار حتى صار الكبار من أهلها لا يذكرون من زمانهم غير العبوس، وكان الصباح باردًا بردًا ربيعيًا لذيذًا مالبث أن خف مع ارتفاع الشمس فكان كغضب الحبيب ما يلبث أن يزول، بل ما يلبث أن يتحول إلى حب لذيذ أو أمل فى حب لذيذ.

محلة المعرفة:

بدأ البرنامج كما كان مقررًا له فى السابعة والنصف فانطلق الموكب الذي تتقدمه سيارة للشرطة وتتبعه سيارة أُخرى فى ذلك الموعد، وقبل تناول الافطار، وحتى القهوة والشاي.فكان أولى فقراته الذهاب إلى حي المعرفة ويسمونه (محلي معرفت) والكلمتان عربيتان كما هو ظاهر. وذلك لزيارة مسجد (قاضي عبد الرشيد) في ذلك الحي. وجدنا (حي المعرفة) حيًا شعبيًا بيوته من الطين أكثرها من طابق واحد. ذات سقوف مسنمة. أو ممالة إلى جهة واحدة حتى تنزلق عنها الثلوج. والفرق شاسع بينه وبين المنطقة التي فيها قصر الضيافة فتلك منطقة جيدة كأحسن ما تكون المناطق فى المدن الحديثة.

سيد الطعام:



بعض المستقبلين في مسجد القاضي عبد الرشيد في مدينة دوشنبه

وصلنا موقع المسجد فوجدناهم أعدوا فى سرادق منه مائدة طويلة حافلة جلس عليها حوالي أربعين رجلاً فيهم ثلاثون من جمعية المسجد ورجال الحي وعشرة هم وفدنا والمرافقون.

كانت المائدة هي طعام الإفطار وذلك قبيل الثامنة وقد وضعوا عليها أنواعًا منوعة من الفاكهة والخضروات ثم الأطعمة الحارة.

وكنت أوجست خيفة من تغير في بطني أرجعته إلى أكل فواكه أو خضروات قد تكون غير مغسولة أو قد يكون الذباب قاربها وهو كثير في المنطقة، فى هذا الفصل من الصيف، وبخاصة في خوارزم لذلك

اقتصرت على أكل قطعة من خبز لهم كبير جيد، مع لعقات من عسل تنتجه بلادهم من مراعٍ طبيعية إلا أنهم الحوا عليّ بالأكل من صحن اسموه (سيِّد الطعام) وقالوا أنه لا بد من الأكل منه على المائدة حسب عادتهم وهو أرز يطبخ باللبن ويصب فوقه سمن البقر الطازج، ولم تكن بي قدرة على أكله لكثرة ما أكلته من الدسم في هذه البلاد لذلك اقتصرت على ملعقة كانت بيدي فغرفت من الصحن غرفة فأكلتها فأخذ الشيخ (اكبر جان) غرفة بملعقتي، فملأها من الطعام وأكله، ثم صاروا يتناولون ذلك الصحن الذي أكلت منه، كل واحد منهم يأكل بالملعقة نفسها منه مرة أو مرتين، ثم يناولها إلى من يليه حتى فعلوا كلهم ذلك. وتبين أنهم فعلوا ذلك اعتقاداً منهم ببركته لأنه من بقايا طعام شخص جاء من جوار البيت الحرام.

هكذا بلغت بهم محبة هذا الدين . جزاهم الله خيراً. وينسجم هذا مع ما فعله عدد من كبار السن فيهم. وذلك أنهم بكوا من التأثر عندما وصلنا المكان وسلمنا عليهم وقد أكل الجميع من هذه المائدة الحافلة. وعندما انصرفنا عنها جلس إليها عدد آخر من الشبان والصبيان أيضاً فوسعتهم.

وكانت النسوة من نساء المسلمين يقفن على المكان أيضاً غير بعيد منا وفيهن بنيات يقترين أكثر لأن جلبة الموكب ووجود سيارات الشرطة التي كانت تطلق نفيرها المتميز والسيارات الأخرى قد جلب انتباه أهل الحي فجذب إليه من لم يستطع إلا الوقوف كالنساء. ونساؤهم يشبهن

نساء الأوزبك الذين هم جنس ممن نسميهم البخاريين. إلا أن التقاسيم في الوجوه المميزة لوجوه البخاريين أقل ظهورًا في وجوههن، فهن في هذا الأمر كرجالهم وسط فى ذلك بين البخاريين والأفغانيين. هذا وأرض المسجد جديدة حصلوا عليها من الحكومة المحلية بالمجان. وتبلغ مساحتها هكتارًا واحدًا وأسموه مسجد قاضي عبد الرشيد على اسم شيخ فاضل درس على يديه سرًا بعض أهل البلاد واسمه (قاضي عبد الرشيد) وقد توفى فى عام ١٩٧٩.

ويصلون الآن فى مكان بجانب المسجد حتى يتم البناء يؤمهم فى الصلاة الشيخ فضل الحق ابن ذلك الشيخ قاضي عبدالرشيد. وقد وصلوا بالبناء إلى السقف فى جزء من أجزاء المسجد إلى أن يكمل كله.

وقد أخبرنا متولي المسجد الأخ (عزيز خوجه بن شريف جان) أنهم قد بدأوا البناء في المسجد منذ عام وأنهم يتمهلون في ذلك من أجل جمع النقود. وقد رأينا أحد المسلمين جاء بمبلغ من المال ووضعه في يد المتولي فأخرجه وعده أمامنا وإذا به عشرون روبلا وهو مبلغ لا بأس به عندهم لأنه يساوي ربع راتب الفراش الذي يعمل في مؤسسة عامة.

وقد أعلنت لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي بأربعة آلاف دولار نقدًا وهو مبلغ كبير عندهم إذ يستطيعون استبداله في المصرف الحكومي وهو ستة روبلات وربع للدولار الواحد أوبيعه في السوق الحرة التي يسمونها السوداء بثمانية عشر روبلاً للدولار . وعلى كل الحالين فإن المبلغ كبير باعتبار أسعار المواد عندهم.

وقد سألتهم عن سكان هذا الحي أهم جميعًا من المسلمين؟ فأجابوا: أن نعم. لأنه حي شعبي معظم منازله خاصــة، وذكروا أن الأحياء الأخرى التي فيـها أبنية حكوميـة ذات شقق سكنية فيـها نسبة من غـير المسلمين وبخاصة من الروس حيث تبلغ نسبتهم في مدينة دوشنبه ما بين ٣٧ إلى ٤٠٪ وهذه نسـبة عاليـة ذكر المسلمـون أن الروس يعملون في المـصانع والمشروعات الهندسـية ونحوها مالا يستـطيع سكان البلاد الأصلاء أن يقوموا به في الوقت الحاضر.

إلى (حصار) : *العاصمة القديمة:*

كانت لي رغـبة في الإطلاع على ناحيـة أخرى من ريف تاجيكسـتان من جـهـة الوادي الواسع الذي تقـع في طرفـه مـدينة (دوشنبـه) بعـد أن رأينا الجهة التي ليس فيـها إلا واد ضيق على أن يكون في ذلك عمل من العـمل الذي نؤديه هنا وهو الإطـلاع على المشـروعات الإسـلامـيـة من مساجد وغيرها .

فكان أن تقرر أن نتـوجه إلى العـاصمة القـديمة لهذه البلاد قـبل اتخاذ دوشنبه عاصمة لها وعندما كانت تابعة لإمارة بخارى.

ومما يجـدر ذكـره أن (تاجـيكسـتـان) هذه تجـتـمع مع بخـارى في استعمال اللغة الفارسية فكلاهما يتكلم أغلب الشعب فيه اللغة الفارسية، وإن كان بعضهم يقول : إنها لهجة من الفارسية وليست الفارسية نفسها بمعنى أنهـا ليست التـي يتكلم بها أهل طـهـران في إيران بالضـبط ولكن هذا لا يمنع من كونها لغة فارسية.

وتسمى العاصمة القديمة (حصار) وتقع في واد يسمى (وادي حصار) وفيه قرية (قلعي حصار) أي: قلعة حصار ، وكل هذه الألفاظ عربية الأصل.

في الثامنة والنصف بدأنا السير خارجين من مدينة (دوشنبه) إلى الريف مع طريق جيد مزدوج تفصل بين جزئيه جزيرة خضرة بالأعشاب. لا بالزهور مع سهولة غرس الزهور ونموها هنا وبخاصة في فصل الصيف هذا.

وعلى جوانب الطريق مزارع قمح ادرك الحصاد وقد غدا أصفر وأشجار ضخمة من أشجار التوت التي يكافحون تضخمها بتقليم أطرافها حتى تنبت عليها بعد همودها في الشتاء أغصان صغيرة تكون مكسوة بالورق الذي يتغذى عليه دود القز الذي يستخرج منه الحرير الطبيعي المعروف.

ومن الملاحظ أنه رغم كون هذه البلاد التاجكية لغتها الفارسية وهي تعيش في جو أوزبكي بالنسبة إلى جيرانها وإلى وجود طائفة من الأوزبك مستوطنين فيها يبلغ عددهم حوالي مليون شخص من مجموع سكان تاجيكستان الذي يبلغ قرابة خمسة ملايين وكون الأوزبك يتكلمون لغة أوزبكية مشتقة من التركية فإن كل اللافتات التي رأيتها على هذا الطريق مكتوبة باللغة الروسية التي لا نستطيع نحن وأمثالنا حتى قراءتها ، لأن هجاءها ليس هجاء اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية المعتادة. وإنما هو بحروف سلافية أشبه ما تكون بالحروف اليونانية.

مثلما أن المذهب المسيحي الذي يعتنقه أكثر الناس فى روسيا هو المذهب الأورثوذكسي الشائع في اليونان.

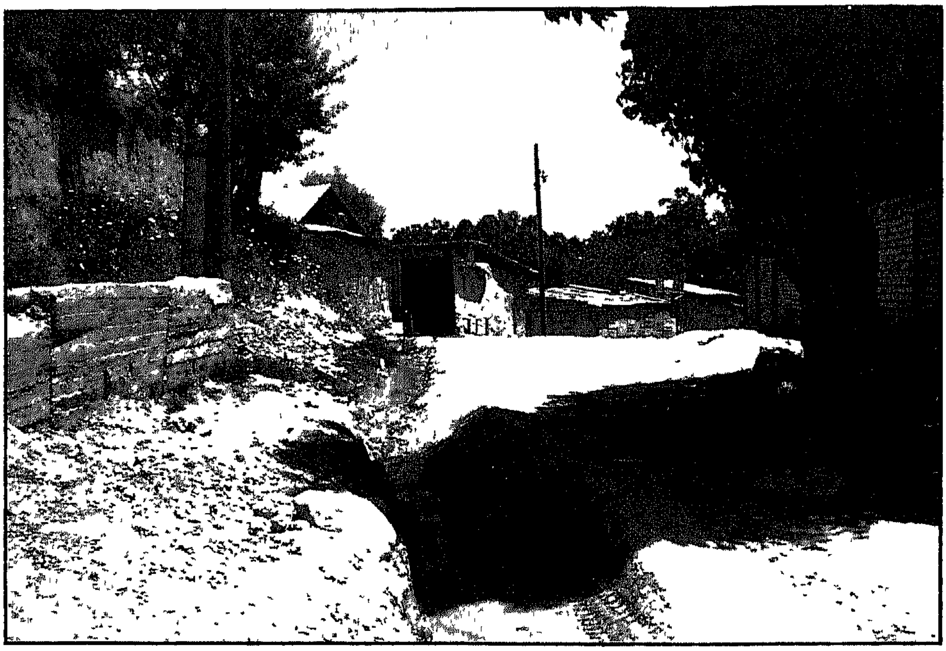
ولكن الواضح لنا فى الكتابة الروسية هو الأرقام، فإنهم يستعملون الأرقام العربية المستعملة فى المغرب العربي وفي العالم كله، ونسميها نحن بالأرقام الافرنجية ، مع أن الافرنج يسمونها الأرقام العربية.

وهذه الأرقام موجودة أيضًا في اللغات التي تختلف حروفها عن الحروف اللاتينية والعربية بل ربما صح القول أنها ليس فيها حروف، وانما فيها أشكال مثل اللغة الصينية فإنهم يستعملون هذه الأرقام العربية بالشكل التي هي عليه في سائر أنحاء العالم. فهم في هذا كالروس الذين ليست لهم أرقام غير الأرقام العربية.

ومررنا ببحيرة اصطناعية بمعنى أنها ليست طبيعية موجودة من قبل وإنما حفروا موضعها قليلاً وسلطوا عليها مياه وديان تسيل فتصب مياهها فيها ولا تخرج منها. ورأينا مزارع ضيقة لعدد من الخضروات التي تستعمل للطبخ.

القرية التي دمرها الزلزال:

صعد الطريق تلة غير عالية رأينا فيها بيوتًا منفردة مؤقتة، على هيئة غرفة واحدة كبيرة ذكروا لنا أنها بنيت للمتضررين من الزلزال الذي حدث قبل سنة وأربعة أشهر ودمر قرية (شراوه) التي رأيناها فى الطريق ذات بيوت طينية قد تشققت بيوتها من الزلزال وقد أصبحت القرية كلها خرابًا الآن.



آثار الزلزال في ريف تاجيكستان

وتبين أن هذه التلة العالية التي رأيناها إنما هي تلة طينية صلبة وليست صخرية لذلك ذكروا أنها أثناء سيل عظيم زحفت من هذه التلة كتل من الطين على القرية.

قرية قلعة حصار :

بدت قرية (قلعي حصار) على يسار الطريق وقلعي فى اسمها هي (قلعة) العربية. ذكروا أنها سميت بذلك لأنه كانت تقابلها من جهة الغرب قلعة.

والقرية القديمة خربة ويسمونها (كوهناك) بمعنى قديمة، أما الجديدة وهي صغيرة فيسمونها (ناو) بمعنى جديدة بالفارسية.

وفوقها في كف الجبل قلعة عظيمة واسعة أكثرها خرب يسمونها (آراك) وهي مشابهة لقلعة خوارزم وبخارى التي يكون فيها سكنى الأمير وحاشيته وقواده وكبار رجال الدولة، إلا أن هذه أصغر منها. وذلك هو المتبع في هذه المناطق من أن يكون السلطان سواءً كان ملكًا أو أميرًا كبيرًا يسكن في قلعة ضخمة مع رجال دولته منفردًا عن الجماهير وتكون تلك القلعة محصنة عن الأعداء.



مدخل قلعة حصار القديمة وهي القهندز أو أراك

وهذه هي عادة قديمة رأيت ياقوت الحموي رحَمه الله يسمى أمثال هذه القلاع القهندز ذكر منها قهندز بخارى وهو القلعة التي تسمى الآن (آراك) وقد ذكرت أمرها في كتاب «فى بلاد المسلمين المنسيين:

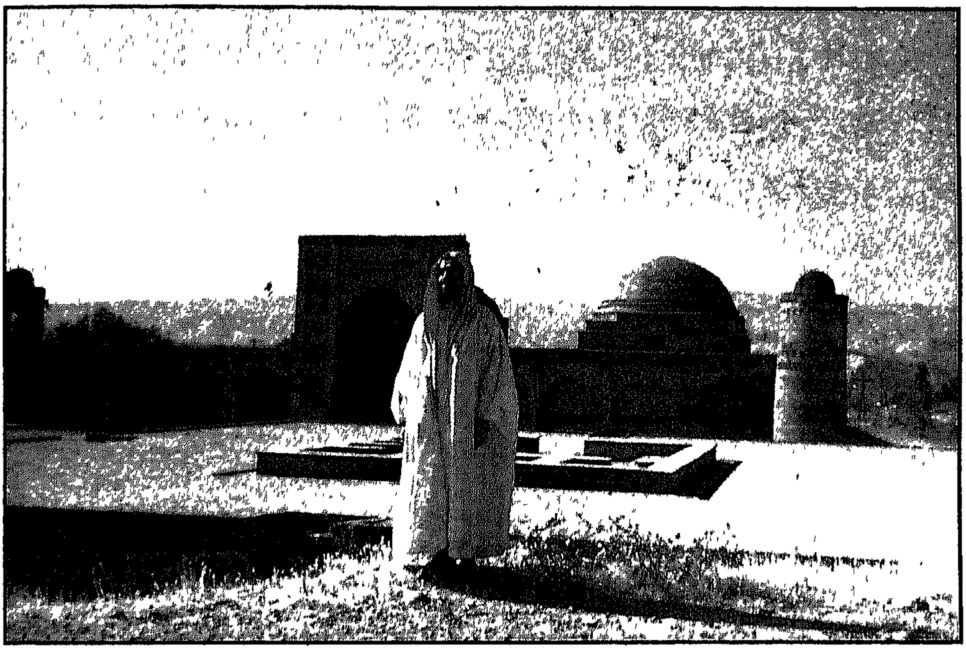
بخارى وما وراء النهر» ومنها قلعة خوارزم التي سبق ذكرها. قال ياقوت:

قَهَنْدَز: بفتح أوله وثانيه، وسكون النون وفتح الدال، وزاي، وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، وأكثر الرُّواة يسمونه قُهُنْدز وهو تعريب كُهُندِز معناه القلعة العتيقة، وفيه تقديم وتأخير لأن كُهُن هو العتيق ودِز قلعة ثم كثر حتى اختصَّ بقلاع المدن، ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في غير مدينة مشهورة، وهو في مواضع كثيرة، منها: قهندز سمرقند، وقهندز بخارى، وقهندز بلخ، وقهندز مرو، وقهندز نيسابور، وفي مواضع كثيرة؛ وقد نسب إلى بعضها قوم، فممن نسب إلى قهندز نيسابور، الحسن بن عبد الصمد بن عبد الله بن رَزين أبو سعيد القهندزي النيسابوري؛ وعمر وقيس ومسعود بنو عبد الله بن رزين القهندزي؛ وأحمد بن عمرو أبو سعيد القهندزي النيسابوري، سمع الفضل بن دُكَين وغيره؛ وعبد الله بن حمّاد أبو حماد القهندزي، سمع نهشل بن سعيد وغيره؛ وقهندز هراة، نسب إليه أبو سهل الواسطي؛ ونسب إلى قهندز سمرقند أحمد بن عبد الله القهندزي السمرقندي أبو محمد ذكره أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند، يروي عن عمّار بن نصر، روى عنه سهل بن خلف وغيره؛ وممن ينسب إلى قهندز بخارى أبو عبد الرحمن محمد بن هارون الأنصاري القهندزي البخاري، سمع ابن المبارك وابن عيينة والفُضيل بن عِياض،

روى عنه أسباط بن اليسع البخاري وغيره، وممن ينسب إلى قهندز هراة أبو بشر القهندزي، روى عنه أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الإمام وغيره، وقد ضبطه بعضهم بالضم والأصل ما أثبتناه.

بين الآثار التاريخية:

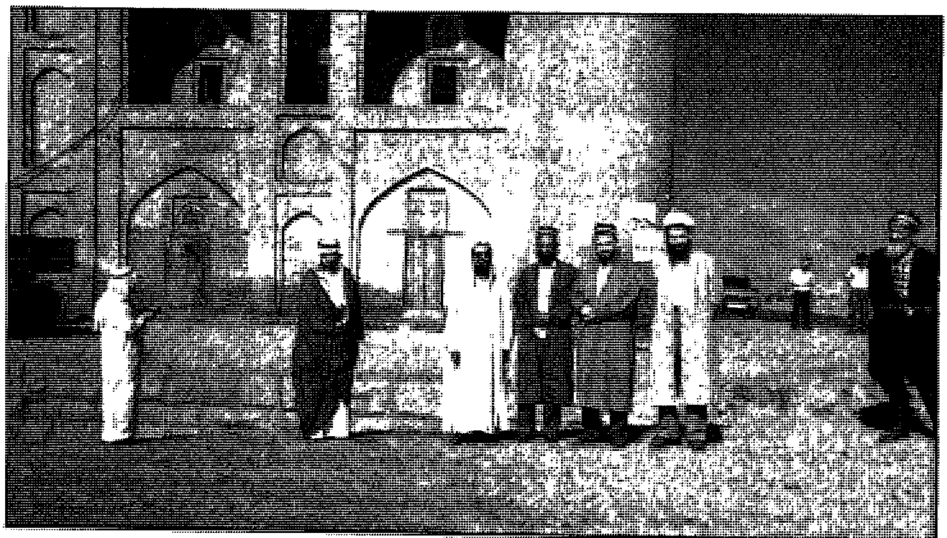
وقف الموكب عند أقدام القلعة المستندة إلى الجبل وقد تهدمت أكثر مبانيها لأنها مهجورة الآن وعلى شفير وادٍ يأتي من الجبال ليصب في هذا النهر الخصيب. وليس فيه ماء الآن وإنما يسيل من المطر.



المؤلف أمام المدرسة القديمة في قلعة حصار

وذلك لمشاهدة مبنى مدرسة أثرية من الحجارة وعقود الآجر ذكروا أنها بنيت فى القرن السادس عشر وطراز بنائها يوحى بالفعل بذلك. وهذه المدرسة التى قالوا لنا إنه كان يتعلم فيها أكثر من ثلثمائة من طلبة العلم الذين هم فى مستوى علماء هذا العصر عندهم أو أرفع مستوى قد تركت الآن خاوية على عروشها لا تستعمل ولا ينتفع منها بشيء.وبجانبها مسجد قديم لا يستعمل لأن البيوت التي كانت حوله قد تهدمت منذ زمن. وقد بقيت هذه الآثار التاريخية شاهداً على ما بلغته هذه البلاد من رقي عمراني في تلك العصور السالفة.

وقد بحثت عن أحد من أهل المنطقة، لكي أتحدث إليه وأصوره فلم أجد إلا أخًا مسلمًا قرويًا مر مصادفة فذكر أن اسمه (محمد نظيف) ولم أجد عنده غناءً من معرفة بماضي هذه المنطقة ولا شيئًا عن هذه الآثار المهمة.



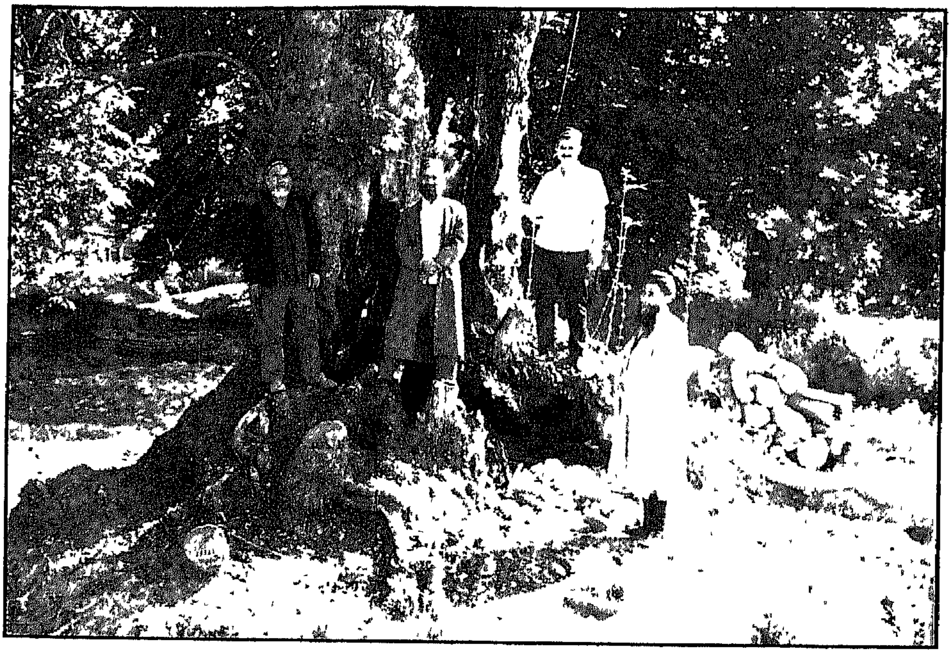
وفد الرابطة – قلعة حصار – تاجيكستان مع القاضي أكبر جان توري زاد والشيخ عبد الغفار

عين السمك:

غير بعيد من المكان الذي وقفنا فيه وداخل منطقة حصار مكان انتقلنا إليه فيه مسجد ومدرسة وفيه نبع ماء عرف الموضع باسمه وهو (ششمه ماهيان) ومعناها عين السمك وذلك لأنهم ذكروا أن فى هذا الماء الذي هو نبع يجري فهو عين غير كبيرة سمكاً وأن أساطيرهم وحكاياتهم تقول: ان الأولياء من الصوفية ونحوهم كانوا يأتون إلى هذه العين يشربون من مائها ويأكلون من سمكها يكتفون بذلك.

وعلى شفير العين شجرة (جنار) ضخمة جداً لا شك أن عمرهايمتد إلى أكثر من مائتي سنة ذكروا أن العوام يعظمونها لكونها واقعة على عين الأولياء هذه.

ولذلك وجدنا فى جذعها آثار حرق كبير أخبرونا أن بعض طلبة العلم حاولوا إحراقها منعاً لذلك فلم يستطيعوا. وذكروا أن مزايا هذه العين التى استرعت انتباه الناس إليها أن ماءها ساخن فى الشتاء بارد فى الصيف. وأن بعض العوام يحملون ماءها يشربونه اعتقاداً ببركته.



الشجرة التي على عين السمك في حصار

فقلنا: إن كون مائها باردًا في الصيف ساخنا في الشتاء أمر طبيعي ظاهر التعليل لأنها تنبع من شفير وادٍ فوقه جبال فهي إذا قادمة من باطن الأرض وباطن الأرض يكون دفيئًا مثل البئر الذي يكون ماءه فيما يحس به الإنسان باردًا في الصيف ساخنًا فى الشتاء مع أنه على حالة واحدة لم تتغير ولكن إحساس الذي يمسه يختلف فى الشتاء عنه فى الصيف فحيث يكون الجو باردًا يكون ماء البئر ساخنًا فى إحساس من يتوضأ منه مثلاً بالنسبة إلى برودة الجو حوله. وعكس ذلك في الصيف يكون ماء البئر باردًا بالنسبة إلى حرارة الجو.

وغير بعيد من هذه العين مسجد يبنى استعادوا أرضه قريبًا ووضعوا أساسه، لأنه كان مسجدًا قديمًا صادره الشيوعيون ثم خرب بعد ذلك.

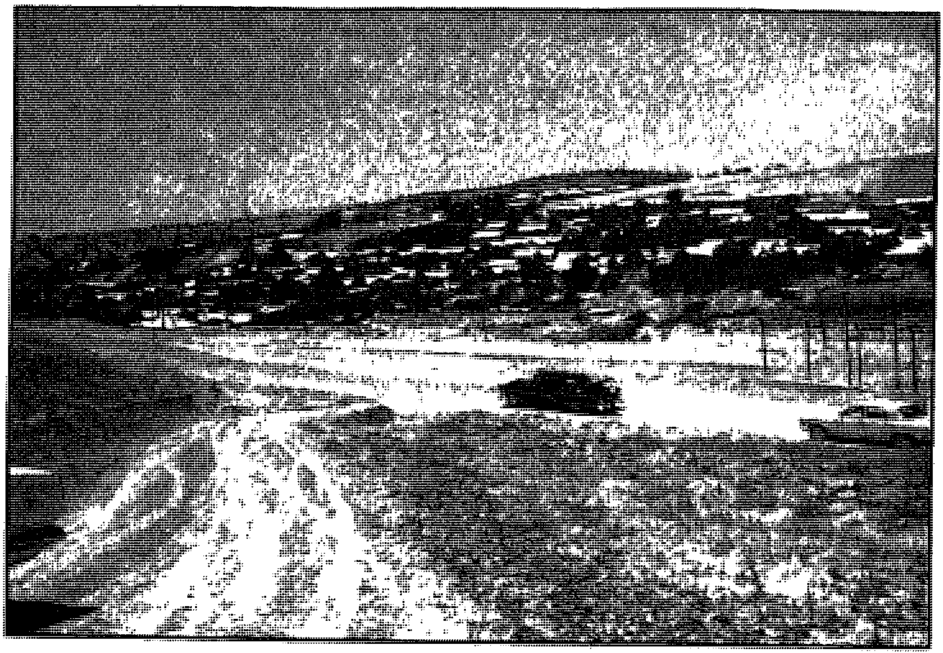
ويقول الشيخ (أكبر جان توري زاده) قاضي تاجيكستان: أن هذا المسجد لا علاقة له بالعين وأن الناس قد أصبح عندهم من الوعى الديني ما يمنعهم من اعتقاد البركة أو التأثير من مائها، وإنما المقصود هو بناء مسجد ومدرسة فى هذا المكان الريفي المناسب. ويبنون المصلى الرئيسي فى المسجد الآن بسعة ١٧فى٣٢ متراً.

الوادي الخصيب:

رأينا من هذه الناحية من ريف (دوشنبه) مالم نره من الجهة الجبلية التي كنا فيها أمس ومن ذلك أننا تركنا (عين السمك) وشجرة الجنّار الضخمة التي بجانبها وانطلقنا مع طريق آخر غير الذي جئنا منه. وهو يشق الوادي الخصيب المتسع الملئ بالزراعة فكان أكثر ما استرعى انتباهنا جبال أو كالجبال فيه من القطن الذي زرعوه هنا ويريدون نقله بعد تعبئته فى (بالات) أي حزم ضخمة وقد كوموه أكواماً ضخمة. وذلك قرب قرية اسمها (خانقاه).

و(الخانقاه) هو فى الأصل: مكان سكنى جماعة من الناس يجمعهم غرض معين مثل طلبة العلم المتفرغين للعلم والمتعبدين. وهي مؤلفة من كلمتين (خان) فـ(قا) التى قيل أنها مختصرة من كلمة (قائم)، بمعنى مقيم وقد كثر استعمالها فى البلدان العربية فى مصر والشام فى عهد المماليك ، حيث كان السلاطين الأثرياء يبنون (خانقات) لطلبة العلم وللمحتاجين من المسافرين.

فهذه القرية كانت في مكان مثل هذا الخانقاه قبل أن تعمر فسميت باسمه.



قرية ريفية في تاجيكستان

كان الموكب يخترق الطريق تحف بها المزارع وتشاهد منها الجبال التي تحيط بالوادي جبالاً تكاد تكون أعاليها عارية من الخضرة.

والسيارات التى تسير فى الوادي أغلبها سيارات النقل وأقلها حافلات وسيارات ركوب صغيرة كسيارة (الفيات) الإيطالية، وسيارة الشرطة التي تتقدم الموكب تلح بنفيرها وباشارتها على تلك السيارات التي تستخدم الطريق فتلجئها إلى حافاته وأكتافه لتبعدها عن الطريق الازفلتي أثناء مرورالموكب.

أما الطرق نفسها فإنها ازفلتية جيدة. وعلى ذكر سيارة الشرطة أخبرونا أن سائقها هذا اليوم هو مسلم على حين أن السائق أمس كان

روسيا. قال الشيخ (أكبر جان): لقد اعتذر مدير الشرطة أمس عن إرسال رجل غير مسلم يتقدمكم أمس لأنه لم يكن منتبهاً إلى ذلك وإنما ظن أنكم مجرد ضيوف من البلدان العربية مع العلم بأن المقصود من ذلك هو سائق سيارة الشرطة التى تتقدم الموكب أما سائق سيارتنا والسيارات الأخرى المرافقة فإنهم كلهم من المسلمين.

القلعة العليا:

لا أدري لم تكثر الأسماء بالقلاع هنا فقد صعد الطريق من تلة طينية واسعة وقفنا فيها لأنها تشرف على الوادي الزراعي الخصيب والتقطنا منها صوراً له وللرفقة معنا. ثم انحدرنا إلى جانب من الوادي الزراعي الذي فيه مدينة (دوشنبه) وذلك في طريق العودة إليها. فمررنا بقرية اسمها (قلعى بالام) بمعنى القلعة العليا وذكروا أنها كان فيها قلعة بالفعل ولم نقف فيها وإنما واصلنا سيرنا من أجل:

العودة إلى دوشنبه:

عدنا إلى مدينة دوشنبه مع شارع رئيسي مهم اسمه شارع فيتو فسكي سمي باسم أحد قادة الروس الذين اخضعوا هذه البلاد لحكم الروس ذكر لنا بعض الأهالي أن هذا الرجل هو الذي أنشأ المخابرات الأجنبية في المدينة، وإنه قتل بسببه آلاف من المسلمين فى هذه البلاد ويأملون فى أن يغير اسم الشارع وقد يسمونه شارع الشهداء. والشهداء الذين أشاروا عليهم هم من المسلمين أهل البلاد الذين سقطوا صرعى برصاص السلطات الحكومية الشيوعية فى هذه البلاد عندما تظاهروا فى شهر فبراير الماضي ، وهتفوا بسقوط الحكم الشيوعى قائلين لانريد

الحكم الشيوعي نريد حكم المشايخ الذين يحكمون بالدين الإسلامي. وقد قتل منهم سبعة وعشرون وجرح عدد أكبر من ذلك بكثير.



منظر من ضاحية في دوشنبه

وكانت هذه المظاهرات قد اندلعت في هذه المدينة. بسبب وصول عدد من الأرمن الذين فروا من اذربيجان أثر المصادمات بينهم وبين المسلمين الاذربيجانيين. فقررت السلطات الحكومية نقل آلاف منهم يقال: إن الدفعة الأولى بلغت ٢٤ ألفاً إلى هذه البلاد لإسكانهم فى دوشنبه بدلاً من اذربيجان ووصل منهم بالفعل عدة مئات أسكنوا فى أماكن مؤقتة، ولكن مظاهرات المواطنين ومعارضاتهم لذلك أفسدت الخطة، ومنعت من إسكانهم فى تاجيكستان لأنهم صاروا يخافون على أنفسهم.

جامع حاجي يعقوب:

وقفنا عند جامع مبني بناء محكماً مزخرفاً يقع فى وسط حي من أفخر الأحياء في دوشنبه فيه مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الحاكم في البلاد، ومقر حكومة تاجيكستان وقد زينوا المسجد بزخارف إسلامية عريقة أحضروا لها من قام بها من بخارى وسمرقند وذلك من أجل أن يكون هذا المسجد معلماً بارزاً بمظهره ومخبره من معالم مدينة دوشنبه الحديثة لا سيما أنه يقع بقرب مقر الحكم والإدارة فى البلاد، ولا يبعد عن شارع لينين الذي يكاد يكون أهم شارع فيها.

المعهد العظيم:

وإلى جهة الشمال من (جامع حاجي يعقوب) يبنون معهداً إسلامياً رائعاً أسموه المعهد العالى الإسلامي.

وبناؤه فى ثلاث طبقات على أفخر طراز للبناء عندهم وأقواه. حتى بنوا مداخله بأقواس عالية مشرفة كالتي تكون على المدارس والمساجد الأثرية العريقة وأحاطوه من الداخل بزخرفة إسلامية تتضمن آيات قرآنية كريمة أرونا الشخص الذي يقوم بالإشراف على ذلك واسمه (استا قراي بن طاهر) من أهل سمرقند حيث يقوم بعمل الزخارف على ألواح من الجبس أو الحجارة فى بعض المواضع وهي على الأرض ثم يلصقها الصاقا فى الحيطان وفي داخل القباب والمداخل بحيث تبدو متصلة لا يفصل بينها فاصل لأنه يلحمها ويصبغها ويزخرفها بعد تثبيتها على الحيطان. وذكر لنا أنه هو الذي صنع النقوش الزخرفية

والآيات القرآنية الموجودة على مسجد الإمام البخارى فى خرتنك قرب سمرقند، وقد ذكرت أمر (خرتنك) فى كتاب بخارى وما وراء النهر. ووجدناهذا المعهد العظيم فيه جيش من العمال والمهندسين. وبخاصة من يقوم منهم بطريقة البناء التقليدية الفاخرة. ومن ذلك أنهم كتبوا بعض الآيات القرآنية بالفسيفساء العربية المتخذة من المرمر شبيهة بالسيراميك وكل ذلك مما يجمعونه من تبرعات المسلمين قليلاً قليلاً. وهو أول معهد إسلامى يبنى فى هذه البلاد التاجيكية منذ أن استولى الشيوعيون على الحكم قبل أكثر من سبعين سنة.

ولذلك كان الإخوة يتسابقون إلى هذا العمل ويتبرعون له ومن لم يستطع منهم التبرع بماله تبرع بما يملك من أشياء عينية يمكن أن ينتفع بها فى إقامة المعهد، ومن لم يستطع هذا ولا ذاك تقدم للعمل بنفسه متطوعًا بذلك لا يرجو ثوابًا ولا جزاء إلا من الله تعالى.

هكذا رأينا الأمر ورأينا بعض المتطوعين والمتبرعين. وما لم نره من ذلك أخبرنا الثقات منهم به.

وتزين المعهد قبة خضراء زاهية على غرار القبة النبوية فى المدينة المنورة.

أما المسجد فله منارتان رأيناهم بنوهما بأساس قوى جدًا وذكروا أن ارتفاع كل واحدة منهما سيكون ٣٥ مترًا.

ثم صعدنا إلى الطابق الأعلى من المعهد فوجدنا غرفه وممراته وقاعاته منقوشة بنقوش جصية بديعة لا يقوى على النفقة عليها وعلى المعهد بهذه الصورة إلا حكومة سخية.

وقد أخبرنا الشيخ (أكبر جان) والاخوة القائمون على المعهد أنهم بدأوا بناء المعهد والمسجد من دون أن يكون عندهم ما يكفي من النفقة لبنائهما بناء معتادًا متواضعًا غير أنهم ما أن بدأوا البناء وعلم الناس بذلك حتى تدافعوا إلى التبرع.

فأعلنت لهم أن رابطة العالم الإسلامي تتبرع للمشروع بستة آلاف دولار أمريكي تدفع نقدًا الآن، وأنها تتبرع أيضًا بتأثيث المعهد الإسلامي هذا بعد اتمامه بما يحتاجه من الأثاث وبخاصة ما لا يمكنهم الحصول عليه في بلادهم كالآلات الكاتبة والناسخة العربية وآلات التصوير وطلبت منهم أن يقدموا لنا ما يحتاجونه من أثاث المعهد وذلك لإرسال ما لا يوجد منه في بلادهم ولتحويل قيمة ما يشترونه من هنا.

فكبروا عندما سمعوا ذلك وهللوا وحمدوا الله تعالى وشكروه وأبدوا امتنانهم لهذا الذي سمعوه مني.

فقلت لهم: الحقيقة أننا نحن الذين يجب أن نشكركم، ذلك بأننا نشعر أن بناء مثل هذا المعهد للمسلمين في هذه البلاد المسلمة العريقة هو واجب علينا، فقمتم أنتم ببنائه، فكأنكم قمتم بذلك نيابة عنا ، بل نيابة عن جميع المسلمين، وعلى أية حال فإن الأمر كله هو من باب التعاون على البر والتقوى الذي هو واجب الجميع وهو الذي تسير عليه رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

ويبنون الآن فيه مقرًا للإدارة الدينية في تاجيكستان فيكون في هذا المجمع الإسلامي الفاخر ثلاثة أماكن مهمة جامع حديث مبني على الطراز القديم الفاخر ومعهد إسلامي واسع ومقر للإدارة الدينية في هذه

البلاد التي هي الجهة الوحيدة التي تعتني بأمور المسلمين من الناحية الدينية.



شيخ يعمل في بناء مسجد جديد في تاجيكستان

ضاحية كلستان:

بعد جلسة فى أحد المكاتب التى جهزوها تجهيزًا مؤقتًا في هذا المعهد العظيم ودعنا الاخوة القائمين عليه من إداريين ومعماريين وعمال واتجهنا الى ضاحية خارج المدينة اسمها (قلستان) ومعناها: البستان. وهذا هو معناها الفقهى وإلا فإن معناها الحرفي: مكان الزهر. وقد يسميها بعضهم قرية مولانا التشرخي. وتبعد هذه الضاحية ١٨ كيلو مترًا عن قلب العاصمة دوشنبه. وذلك لزيارة مسجد الشيخ يعقوب بن

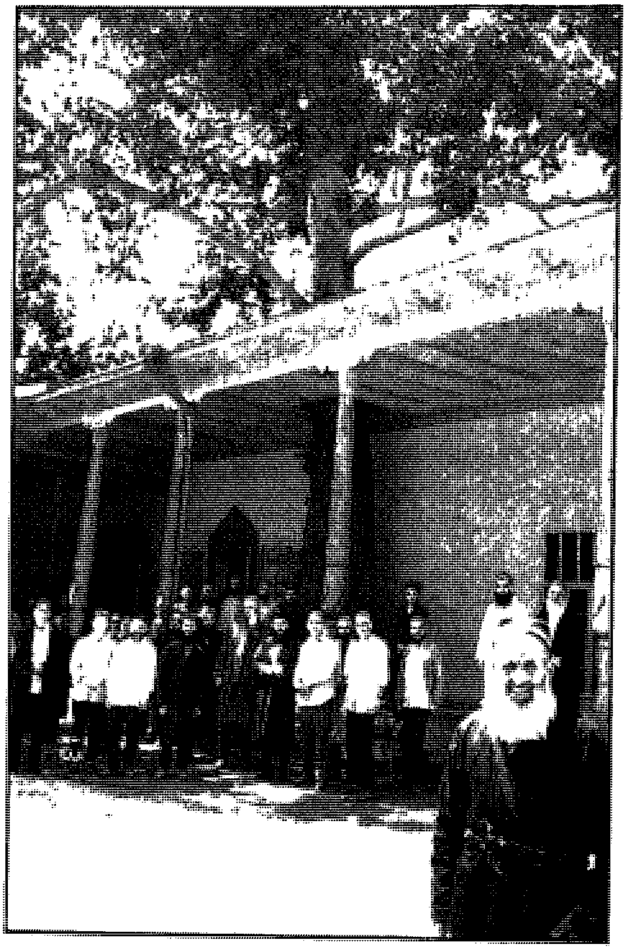
عثمان التشرخي وهو من الزهاد العباد الأوائل الذين أصبحوا ممن يقتدى بهم الصوفية المتأخرون فيقلدونهم، ويقولون أن الشيخ يعقوب التشرخي هو تلميذ علاء الدين العطار. وعلاء الدين العطار هو تلميذ بهاء الدين النقشبندي، الذى تنسب إليه النقشبندية وهو المدفون فى ضاحية من ضواحي مدينة بخارى. وذكرت ما شاهدته عند مسجده ومقبرته هناك في كتاب «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر» وقد توفى الشيخ يعقوب التشرخي في عام ٨٥١هـ.

دخلنا إلى المكان مع بوابة واسعة تفضى إلى حديقة واسعة جداً فيها أشجار سامقة من أشجار الظل أهمها شجرة ضخمة من أشجار الجنار يبلغ عمرها مئات السنين.

ثم وجدنا جامعًا واسعًا هو الذى جئنا من أجل رؤيته اسمه (جامع يعقوب التشرخي) بني قبل أربعمائة سنة أعمدته من الخشب القوي الصلب الذي قاوم القرون رغم كونهم يضعفون أسافله بحيث تكون نحيلة نسبيًا طلبًا للتجميل ويزخرفونه بالحفر عليه بنقوش من الفن الإسلامى وآيات قرآنية كريمة.

وجدنا فى المسجد إمامه الشيخ (حبيب الله بن أعظم خان) ونائبه الأخ (عبد الستار بن عبد الناصر) وهو من حفظة كتاب الله.

وفي فناء مكشوف منفصل عن المسجد بمنطقة خالية يوجد قبر الشيخ يعقوب التشرخي ليس عليه بناء من قبة أو سقف وإنما هو مرفوع عن الأرض بمصابط أي ما يشبه الدرجات من المرمر محيطة به الواحدة أعلى من الأخرى ويبلغ ارتفاعها حوالي المتر.



المصلون في مسجد التشرخي خارجون منه بعد الصلاة

وقد كتبت لوحة على قبره بالعربية:

«هذا ضريح المرحوم المغفور له جامع العلوم الظاهرية والباطنية. شيخ طريقة النقشبندية، مولانا يعقوب بن عثمان التشرخى الغزنوي رحمه الله ، وهو من أصحاب خواجه بهاء الدين النقشبندي، توفى رحمه الله سنة ٨٥١ هجرية من أحفاد السلطان محمود الغزنوي».

وغير بعيد من هذا القبر المرفوع أكثر مما هو جائز شرعًا يوجد قبر

حديث مدفون دفنـاً شرعيـاً معتاداً لا يرتفع عن الأرض أكـثر من شبر، وليس عَليه بناء وهو قـبر الشيخ مـحمد جان الهند سـتاني مفسـر القرآن بالأزبكية وأصله من فرغانة . وقد توفي في عام ١٩٨٩م.

ووجدنا عند قبر الشيخ يعقوب التشـرخي جمعًا غفيرًا من الناس فيهم الرجال والنساء والأطفال من أعـمار مختلفة. وبعض النسـاء مـتسترات قد غطين رؤسهن بمناديل مما يدل على التـدين، وبعضـهن ليس عليهن مثل ذلك وإنما لـباسهن هو اللبـاس الشائع فى هذه المنطقـة الوسطى من آسـيا كـما تعـرف الآن وهو القـميص الحـريري الطويل نوعًا مـا وتكون أكمامه قصيرة في الغالب.

ولم نجدهم يصلون فى المسجد الذي هو منفـصل كما قلت، وإنما كانوا يقفون أو يجلسون حول القبر.

ويضم الفناء الكبـير التـابع للمسـجد إضـافة إلى الـقبر مـدرسة قـديمة مـقـامة من الخـشب مـا عـدا حـوائطهـا وإلا فـإن أعـمـدتهـا من الخـشب وسقـوفهـا من الخشب وهي على الطـراز القديم المميـز لمبانى هـذه البلاد العريقة ويتقدمها رواق ذو أعمدة من الخشب أيضـاً.

ومنارة منفردة في الفناء ليست متـصلة بأي مبنى من المباني الموجودة فيه وهى مستديرة منقوشة بنقوش زاهية.

إلى قرية الأبرار:

كانت الـساعة قـد بلغت الثانيـة عشـرة عندما تركنا ضـاحيـة أو قرية كلستان وتقع في الجنوب الشرقي من (دوشنبه) واتجهنا إلى قرية أخرى

في جهـة الشرق من المدينة اسـمها (نيكان) أي الأبرار بالـلغة الفارسـية وهي منفصلة عن المدينة بينهما مسافة من الفراغ بل الخلاء.

قطعنا في الطريق واديًا زراعـيًا اسـمه (راحـتي) وهى كلمه (راحـة) العربية من الإرتياح.

وهذا الوادي خـصب رأينا فـيه مـن الدواب حمـيـرًا خضـرا ورمـادية والحـمار الأخـضـر عند العـامة من بـني قومنا هـو الأسود الذي سـواده خفيف أو غير حالك. والحمير موجـودة هنا يستعملها الفلاحون للانتقال وذلك لقلة السيارات والجرارات الخاصة عندهم.

وفي مكان مـرتفع رأينا قـرية أشـار اليـهـا القـوم بقولهـم هذه اسمـهـا (تبـايبي سـمـرقند) أي تلة سـمـرقند بالفـارسـية فـيـهـا مـسجـد صـادره الشيوعيون ولم يسترده المسلمون بعد.

ولم نقف في تلـة سمـرقنـد، وإنما واصلنا السـيـر في مـوكب من عـدة سيارات تتقدمه سيارة للشرطة وتتبعه سيارة عسكرية أخرى.

وأشار القوم إلى تلة عـسكرية عليها أبنية مميـزة ليس في هذه المنطقة الريفيـة العريقـة مثلهـا وقالوا: هذه قـاعدة عسكرية لاطـلاق الصواريخ وهي قاعـدة مهـمة، وذلك لقرب المنطـقة من حدود أفـغانسـتان والصين الشيوعية.

وصلنا قرية (نـيكان) أي: أبرار فاسـتـقبلنا أهلهـا الكرام وقد تجمـهروا لذلك في حشـد كبـير اشتـرك فيـه الشيوخ والشبان والأطفـال وشاركت النسوة في الاحـتشاد حول المسـجد وإن لم تقترب أو تخـتلط بالرجال ولم

تسلم على الضيوف ولكن كانت تراقب ومعها بعض البنيات الفضوليات اللاتي يقتربن من هذا الحشد الحاشد ثم لا يلبثن أن يغلبهن الحياء والخوف فيرجعن أدراجهن.

جلسنا في رواق قديم في المسجد يرجع تاريخه إلى ماقبل مائتي سنة كما قالوه لنا. ويظهر القدم عليه من هندسة بنائه وطريقة أعمدته التى هي من الخشب القوي ذكروا أنه من خشب الجنار الذي لا يصيبه السوس ويظل السنين الطوال بل أنه يفني الأجيال وهو باقٍ على حاله كما شاهدنا ذلك هنا وفي أماكن أخرى .

ومع ذلك فإن هذا القسم الأمامي الذي هو عامر من المسجد ويصلون فيه ليس هو الأقدم بل المسجد الذي أقدم منه هو الذي يرممون بناءه الآن وقد بني– فيما قالوه – وفيهم طلبة العلم قبل أربعمائة سنة، ويزيدون فيه مرافق تكون تابعة له.

وكان الشيوعيون قد صادروه مع هذا القسم الأحدث منه واستعملوه مكانًا لتربية دودة القز فبقي معهم إلى أن استعاده المسلمون فى يوم ١٦ من شهر فبراير من هذا العام الحالي.

كانت هذه الجلسة ممتعة لأنها في مسجد أعيد للمسلمين بعد أن أخذ منهم وبقي أسيرًا معطلاً عن العبادة عشرات السنين. ومع قوم من الأخوة المسلمين المتدينين بل المتحمسين الذين أخذوا يجمعون المال رغم فقرهم وعوزهم وقلة ذات اليد فيهم حتى صاروا يعمرونه وهم مبتهجون لذلك.

والمناظر الغريبة التي تبدو متناقضة في هذا المكان من قرية (الأبرار) ذات البيوت الطينية الخالصة للطين. والأزقة التي لم تعرف الأسفلت وهي أيضاً خالصة للمسلمين لا يساكنهم فيها ساكن من الروس أو غيرهم من غير المسلمين.

وترتفع منها على مدى البصر جبال خضر بهيجة تقابلها قاعدة مهمة من قواعد الصواريخ السوفيتية وصبية من ناشئة المسلمين من القرويين كانوا قد تجمهروا واقفين حول هذا الحشد فقال أحد الاخوة من أهل البلاد: إن أمثالهم كانوا ضائعين في الماضي لا يعرفون شيئاً من أمور دينهم ولا يستطيعون أن يتلفظوا من القرآن بما يكفي للصلاة قد أصبحوا يتعلمون القرآن. ثم جعلوا ينادونهم لكي يسمعونا مما يحفظونه من القرآن ففروا من مكانهم ولم يستطيعوا الإمساك إلا بواحد منهم من القارئين الذي بدا خجلاً من وجود هذا الحشد من أهل القرية ومن الضيوف حيث يبلغ عدد الجميع حوالي التسعين.

جلس الصبي على تهيب واسمه (برهان الدين بن ويس الدين) وعمره عشرسنين. فقرأ حفظاً من سورة الملك قراءة جيدة تسر القلوب والآذان. ولما فرغ من قراءته أعطيته حلواناً (بخشيشاً) أرضاه بل ربما لم تملك مثله يداه وذلك لقاء اجتهاده في حفظ كتاب الله.

وقدموا الشاي أو الشبيه به وهو الذي لا يدخله السكر ومعه الخبز ولب الجوز وعين الجمل والزبيب وذكروا أن ذلك كله من انتاج قريتهم قرية الأبرار. والقرية صغيرة يقدرون سكانها بثلثمائة أسرة فى كل أسرة ستة أشخاص .

الطعام من البيوت:

عندما كنا جالسين في رواق المسجد لاحظت أن بعض الأشخاص وغالبًا ما يكون امرأة يأتون بأوانٍ يكشف عليها المسئولون عن المسجد ويضعونها جانبًا وقال لي أحد الإخوة من أهل البلاد. أن هذه الأواني تأتي من البيوت فيها الطعام، من غير أن يطلب أحد منهم ذلك، وإنما عرف أهل البيوت أن في القرية ضيوفًا فسارعوا إلى احضار الطعام، وأكثر ما يحضرونه هو الخبز.

وقد انتهزت فرصة الفراغ من شرب الشاي فذهبت وحدي لم يتبعني إلا أحد الإخوة المرافقين لكي أصور زقاقًا من الأزقة الضيقة المتعرجة في هذه القرية الطينية ذات الطراز القديم. فما كان من إحدى النساء وقد وقفت على باب بيتها تحمل خبزًا إلا أن أخذت توجه كلامها إليّ بما لا أعرفهُ، وهي تقدم رجلاً وتؤخر أخرى بمنعها حياؤها وخفرها من أن تتقدم مني أكثر من ذلك وأسرع المرافق يقول: أنها تقدم إليكم الخبز وتطلب أن تأخذه معك. فشكرتها واعتذرت بما لم تفهمه من كلامي. ولكن الأخ المرافق قال: إنه لابد من أخذ الخبز وإلا فإن ذلك سيؤثر في نفسها فأخذه وحمله معه وأعطيتها نقدًا صغيرًا فرفضته، إلا أن المرافق وهو يحسن العربية قال لي : إنني قلت : أن هذا النقد فيه بركة لأن صاحبه قادم من مكة المكرمة. وقال: إن الناس لم يتعودوا على أخذ النقود مقابل الطعام. فقلت هذا صحيح ولكن هذه بمثابة الهدية.

ولم أبعد كثيرًا في أزقة القرية التي تختلط فيها البساتين بالبيوت

وليس في أزقتها، (زفت) كما قدمت بل أن أزقتها ليست مستوية فبعضها مرتفع وبعضها منخفض حسب طبيعة الأرض.

وكنت أود أن اتعمق فيها ولكن الرفاق لحقوا بي فخرجت بنية من بيت من بيوت القرية معها صحن فيه شيء مغطى وملفوف بمنديل كشفوه لنا فإذا به طعام كالأرز يقدمه أهل البيوت للضيوف. وهذا من الإكرام للضيوف فى آسيا الوسطى الذي عرفته عنهم والذي قل أن يوجد له نظير في مكان آخر سواء بالنسبة إلى ما يقدم للضيوف من طعام وافر منوع أو بالنسبة لما يقدمه الناس للضيف الغريب .. حتى وإن لم يعرف أهل البيت من هو، ولا مكانته، وإنما يقدمونه لمجرد كونه ضيفاً غريباً على المكان.

وعدنا إلى جمهور المسجد وانصتنا للمتولي وهو يقول: إن أهل القرية عددهم قليل، وأكثرهم ليس عندهم مال يقدمونه للمسجد ولكن الله سبحانه وتعالى يسر لنا الأمر فصارت التبرعات تأتي من أهل القرية ومن غيرهم وهي وإن كانت قليلة المقدار فإنها كثيرة العدد ولله الحمد وقد أنزل الله البركة فيها حتى لم نتوقف عن العمل منذ أن بدأناه بسبب قلة النقود.

واسم المتولي (أعظم خان بن أحمد خان) فشكرت له ولإخوانه القائمين على المسجد وكانوا حاضرين عملهم وشجعتهم على ذلك ودعوت لهم بالتوفيق وقلت لهم: إننا سنخبر إخوانكم من أهل الحرمين الشريفين ومن غيرهم بما رأيناه من اجتهادكم في بناء المسجد ونرجو أن

تبنوا بجانبه مدرسة دينية تعلم أولادكم أمور دينهم واعلموا أنكم مسئولون أمام الله تعالى عن تربيتهم تربية إسلامية.

ثم أعلنت لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي بثلاثة آلاف دولار أمريكي للمساعدة على بناء هذا المسجد.

قرية قراتيجين:

واسمها كما يلفظون بها (قرا تيجين) معناه : تيجين الأسود. والذي يهمنا من أمرها بالطبع هو معرفة أحوال إخوتنا المسلمين فيها.

تركنا قرية الأبرار بتوديع من أهلها الكرام حساً ومعنى وسلكنا طريقاً أزفلتية لا تتسع إلا لسيارتين متقابلتين فوجدنا فيها شاحنتين كبيرتين قد اصطدمتا فانقلبت إحداهما وهي طويلة. فشغلتا الطريق كله وهو طريق أزفلتي لكنه في منطقة زراعية فجاهد سائقو سياراتنا وهي سيارات منخفضة فى الخروج من الخط الازفلتي ثم الرجوع إليه.

وقد أخبرونا أن خسارة هذا الإصطدام هي على السائقين لأنهما موظفان مثل أكثر الناس عند الحكومة، والشاحنتان مملوكتان للدولة.

وصلنا قرية (قراتيجين) فوجدنا بيوتها كلها من الطين مما ذكرنا ببيوت الطين في بلادنا فى القديم لا سيما حينما رأينا قطيعاً من الغنم فيها ذاهباً للمرعى وبقرات رابضة في ظل بعض الأشجار.

وأخبرنا الإخوة أن مثل هذه المواشي تكون شخصية بمعنى أنها مملوكة لأشخاص، ليست للدولة وهي تتجمع حتى يخرج بها الراعي بأجر.

وحدثونا بأمر عجيب من أمر هذه القرية وهو أنها من الناحية الرسمية ليس فيها أي مسجد مع أنها قرية مسلمة خالصة للمسلمين ولكن الدولة لم تكن تسمح بإنشاء المساجد لذلك استصدروا مثل أهل القرية الأولى التي رأيناها أمس وهي قرية (كلاه) إذناً بالسماح بفتح مشرب للشاي أو مقهاة ويسمونها تشيخانة واتخذوا المكان مسجداً وعندهم مسجدان أو مكانان للصلاة وهذا النوع من المساجد كان شائعاً في السنوات القليلة الماضية . والطريق فى القرية ضيق على مرور هذه السيارات الرسمية العريضة وإذا مرت بنا سيارة أخرى أثارت الغبار لأن الازفلتي لا يتسع لها.

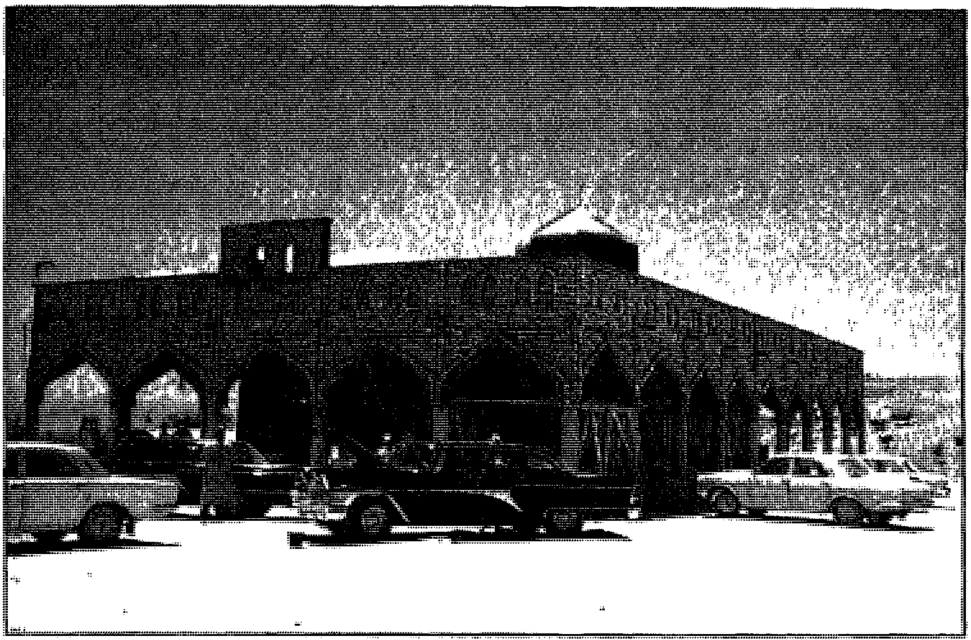
مسجد حافظ شيرازي:

صعدت السيارة تلة عالية كأنها الجبل المرتفع وتبين أن أرضها طينية وليست حجرية إلا في بعض الأماكن حيث تختلط الحجارة بالطين، فيشق ذلك على السيارات لأن هذا الطريق غير المزفلت كانت تسلكه سيارات العمل كسيارات النقل وغيرها وشق علينا الغبار أيضاً فأغلقنا زجاج السيارات منعاً للغبار الذي كان يثور على هيئة سحب تتطفل على العيون والأنوف بل حتى الثياب البيضاء تريد أن تعفرها.

وأما السيارات فإنها وهي صاعدة على طريق غير مزفلت وفيه أماكن وعرة قد ارتفعت الحرارة فيها فأوقفوها وصاروا يصبون فيها الماء. إلى أن وصلنا قمة الجبل الطيني إن صح التعبير، فإذا به يطل على قرية ريفية ذات مزارع مزدهرة وإذا به بيوت قليلة جيدة ذكروا أن الحكومة تخطط لإنشاء قرية حديثة تبنى بمواد حديثة على هذه التلة.

وقد وزعت أراضي على الناس فيها بثمن رمزي هو (روبلان) للمتر المربع. ويسمون الجبل الطيني هذا (كانير) اسماً علماً عليه.

وقفنا عند مسجد مبني أكثره ولم يكتمل بناؤه بعد ولكنهم يصلون فيه. وصلينا فيه نافلة وتلبثنا قليلاً مع أن الوقت يداهمنا إذْ لم يبق على خروجنا للمطار إلا القليل. ويسمون المسجد (مسجد حافظ شيرازي).



مسجد جديد في إحدى القرى في تاجيكستان

واجتمع في المسجد من أهل القرية من كان قد علم بزيارتنا وبعضهم استرعى انتباههم مجيء سيارات الركوب مع هذا الطريق السيء وتبين أن هذه غلطة من الدليل إذْ لم نرجع مع هذا الطريق وإنما وجدنا طريقًا أخرى أزفلتية تصل إليه كان بإمكاننا أن نتفادى الطريق غير المزفلت.

ومن طريف ما حدث في هذا المسجد أن أحد الإخوة المسلمين حرص على أن يلصق بي ويضع في كفي نقدًا صغيرًا أظنه (روبلان) ويساوي ذلك أقل من ثلث دولار أمريكي بالصرف التشجيعي. ورأيته حرص على أن لا يراه أحد. فأخذته وأعطيته أحد الإخوة يتصدق به لئلا ينكسر خاطر أخينا هذا المحسن الذي ظن أن الصدقة أو الإحسان بالمال جائز لمثلي.

ثم أعلنت لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي بثلاثة آلاف دولار أمريكي من أجل استكمال بناء المسجد.

مسجد الأمير الأسود:

انحدرنا عن مسجد (حافظ شيرازي) عائدين إلى (دوشنبه) ولكننا لم ندخل وسط المدينة وإنما قصدنا مسجدًا في أحد ضواحيها اسمه (قرا مير شنكار) أي مسجد الأمير شنكار الأسود. فمعنى قرا: اسود. ومير: هي أمير العربية وشنكار اسم معناه: الصيَّاد. صلينا فيه صلاة الظهر ولكن القوم أخذوا يتنفلون قبل الفريضة يصلون أربعًا قبل صلاة الظهر ونحن على عجل نخاف فوت الطائرة ولكنهم صلوا الظهر على مهل وصاروا يتنفلون ويطيلون وقد قدم إمام المسجد الشيخ المفتي محمد صادق ليصلي بالناس وخلع عمامته وهي كبيرة فوضعها على رأس الشيخ عندما أراد الصلاة.

وفي غرفة من المسجد تغدينا على عجل وكان الطعام منوعاً ذكروا أن مضيفنا الذي قدم لنا الغداء هو الشيخ (عبد القادر خان بن محي الدين). وكانت جموع غفيرة من المسلمين قد استقبلتنا فى المسجد إلى جانب بعض الذين كانوا معنا فى القريتين السابقتين قد حضروا أيضاً وانتظروا فى المسجد ونحن نتناول الغداء حتى خرجنا فتجمهروا لتوديعنا.

حديث الإذاعة في السيارة:

وكان مندوب القسم العربي في إذاعة (دوشنبه) قد حضر إلى المسجد يحاول الحصول مني على حديث لإذاعته فلم يمكن ذلك إلا فى السيارة وهي تسير بين المسجد والمطار. فكان يوجه الأسئلة بالعربية لأنه يجيد العربية فيكون الجواب عليها بالعربية. وكان هذا أغرب حديث أدليت به لإذاعة أذكره وذلك أن تسجيل الحديث كان يتخلله أبواق السيارات فى الطريق وأصوات محركاتها. وقد تضمن الكلام عما شاهدناه في هذه البلاد وعن الغرض من زيارتنا وعن مشاعرنا نحو أهلها وما نتمنى لهم في المستقبل إضافة إلى العلاقات الثقافية القديمة بين هذه البلاد والبلدان العربية، وأثر السياسة التي انتهجها جورباتشوف على الإخوة المسلمين فى الإتحاد السوفيتي.

مغادرة تاجيكستان:

وصلنا المطار ولم يكن فى الوقت متسع لدخول قاعة الترحيل، أو مكاتب المطار وإنما دخلنا مع عدد ضخم من المودعين من باب خارجي يفضي إلى موقف الطائرة فكان جموع من الإخوة المسلمين يطلبون منا

أن نكتب لهم عناويننا ويسألون أسئلة عديدة والموظف المسئول يستحثنا للذهاب للطائرة. وقد منعوا المودعين من السير معنا إلى الطائرة ثم سمحوا لعدد منهم.

وكانت مغادرة مطار دوشنبه في الرابعة إلا ربعًا بتأخير ربع ساعة عن الموعد المحدد للإقلاع من قبل.

وتكرر الشعور بالحر الشديد عندما أغلقوا أبواب الطائرة على الركاب. وقال أحد الإخوة من أهل البلاد:إن هذه الطائرات السوفيتية مصممة لجو سيبيريا لذلك لا تجد فيها أي شيء يكافح الحر أو يقلل منه. وليس فيها أي شيء يقطع به الراكب وقته، ويستفيد منه كالنشرات أو الصحف.

وحالما نهضت اتضحت طبيعة البلاد الجبلية التى ذكرنا أنها تؤلف ٩٣٪ من أراضي تاجيكستان.

الوصول إلى طشقند:

وصلنا عائدين إلى طشقند حيث وجدنا سيارة من سيارات المطار فى استقبالنا عند سلم الطائرة انتقلنا منها إلى سياراتنا الصغيرة المعتادة من بوابة المطار إلى فندقنا الذي كنا نسكن فيه وهو فندق أزبكستان.

وكان الإخوة قد أخبرونا أننا سنبقي على غرف آسيا الوسطى حتى أثناء سفرنا إلى خارج طش فيه صعب علينا الحصول عليها مرة ثانية عن شاقة طويلة يشق عليهم متابعتها مع العلم بأن الغرف رخيصة جدا بالنسبة إلى صرف الدولار.

إلى وادي فرغانة

قول قديم: قال ياقوت الحموي:

فرغانة: بالفتح ثم السكون، وغين معجمة ، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تُركستان في زاوية من ناحية هَيْطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق، يقال كان بها أربعون منبراً، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخًا، ومن ولايتها خُجندة؛ وبفرغانة في الجبال الممتدة بين الترك وبينها من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مُباحٌ ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الآخذ منه وكذلك في جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره.

قال الإصطخري: فرغانة اسم الإقليم وهو عريض موضوع على سعة مدُنها وقراها، وقصبتها أخسيكث، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة، وربما بلغ حدّ القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم.

وممن ينسب إلى فرغانة حاجب بن مالك ابن اركين أبو العباس التركي الفرغاني، سكن دمشق وحدث بها عن أحمد بن إبراهيم بن فيل البالسي وأحمد بن حمدون وعمرو بن علي وعلي بن حرب وأبي حاتم الرازي وهلال بن العلاء وغيرهم كثيرين، روى عنه أبو سعيد بن الأعرابي ويوسف بن القاسم الميانجي وأبو بكر بن أبي دجانة وجماعة وافرة سواهم أئمة نحو أبي أحمد بن عدي وأبي القاسم الطبراني، قال البحتري يصف شعره:

إنَّ شِعْرِي ســـــــــــار فــي كـل بَلَدْ،
واشـــــتــــهى رِقَّتَهُ كـلّ أحــــدْ

أهل فـــرغـــانة قــد غَنَّوا بـه،
وقـــــرى الـسُّوس وألْـطَا وسَدَدْ

وقـــرى طَنْجَةَ والســـوس الـتي
بمغــيب الـشــمس شِعــرْي قــد ورَدْ

وقال الحميري «في الروض المعطار»:

فرغانـة: في خُراسان، بينها وبين سمـرقند ثلاثة وخمسون فـرسخًا، كـان أنو شـروان بناهـا ونقل إليـهـا من كل بيـت قـومًا، وفـرغـانة اسم الإقليم، وهو عـريض مـوضوع على سبع مـدائن، واسمـها بالـعـجمـيـة اخشيكث، وقيل إن فرغانة اسم الكورة، واسم قصبتها اخشيكث، وهي علي شط نهر الشاش على أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ، وهي على شمـال النهر، ولها ربض كبير عليـه سور، وقهندزها في المدينة، ودار الإمارة والحبس في القهندز، ومصلَّى العيد على النهر، ومـقدارها في الكبـر ثلاثة فراسخ، وفـي مدينتـهـا وربضـهـا مـياه جـارية مقدار فرسخين، وأسـواقها في ربضها ومدينتها جـميعًا، وحذاء ما وراء النهـرمروج ومـزارع كثيـرة، وبفرغـانة معـادن الذهب والفضـة بناحـية أخشيكث، ولها مـدن كثيرة، وفي بعضها جبال بلق مـؤلفة قطعةً سوداء حالكة، وأُخرى حمراء قانية، وأُخرى صـفراء فاقعة، وفى جبال فرغانة شـجـر الطبرخـون الذي يحـمـل بزرها إلى الآفـاق، وهو ضــرب من الترنجبين، ويحمل منها النوشادر.

ظل اسم (فرغانة) يجلجل فى ذهنى منذ أن لمحته عينى، ووعاه فكرى فى قول لبديع الزمان الهمذانى من أهل القرن الرابع الهجري: إنك لو جبت ما بين غانة إلى فرغانة لما وجدت مثله.

وبهذا حدد حدود بلاد الإسلام من جهة الشرق إلى جهة الغرب بأنها من جهة الشرق (فرغانة) ومن جهة الغرب (غانة) وغانة واقعة على نهر السنغال الذى يفصل الآن بين جمهوريتي السنغال وموريتانيا فى غرب افريقية فجعل الحد المعروف لبلاد الإسلام من جهة الشرق هو فرغانة ومن جهة الغرب غانة.

ولقد قدر لي أن أزور (غانة) أكثر من مرة وهي ليست الجمهورية الافريقية التى تسمى الآن (غانة) وكان اسمها قبل الاستغلال (ساحل الذهب) فهذه أسماها زعماؤها عند الاستقلال وعلى رأسهم (قوامي نكروما) (غانا) تيمنا باسم غانة القديمة . التى تقع على ضفتى نهر السنغال ما بين موريتانيا وجمهورية السنغال أي أنها تقع بعيداً جهة الشمال عن جمهورية غانا الحالية.

ولقد انتشر الإسلام بعد بديع الزمان الهمذانى حتى امتدت دياره إلى ما وراء غانة مثل غينيا إضافة إلى ما كسبه من مواقع فى النصف الغربى من الأرض مثل سورينام فى أمريكا الجنوبية التى يؤلف المسلمون الآن حوالى ٣٥٪ من سكانها ومثل جارتها غيانا التى فيها الآن ١٤٥ مسجداً. إضافة إلى المساجد والمراكز التى يزداد عددها ويتنامى أمرها يوماً بعد يوم فى الولايات المتحدة الأمريكية وأما جهة الشرق أو على الأدق جهة الشمال الشرقى من ديار الإسلام فإنه قد

تجاوز (فرغانة) حتى وصل سيبيريا التى قامت فيها مملكة (سيبير) الإسلامية وظلت قائمة حتى قضى عليها الروس في عام ١٥٩٠م.

ومع ذلك فإن اسم (فرغانة) بقى يدوي فى سمعي، وحرصت على أن أزورها عندما زرت الاتحاد السوفيتي الزيارة الأولى قبل أربعة أعوام ولكن لم تتيسر زيارتها آنذاك بسبب كونها كانت بلاداً مغلقة من بين مناطق ومدن عديدة كانت مغلقة على الأجانب بمعنى أنهم لا يسمح لهم بزيارتها.

وعندما سنحت الفرصة فى هذه الزيارة للذهاب إلى (فرغانة)، كادت تضيع بسبب اضطرابات نشبت في وادي فرغانة قبيل وصولنا بين القرغيز والأوزبك وبخاصة في مدينة أوش إلا أنها هدأت ولله الحمد قبيل وصولنا. فكان أن رتب صديقنا الشيخ المفتي محمد صادق محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية فى آسيا الوسطى وقازاقستان الأمر مع المسئولين هنا فى طشقند والمسئولين فى وادى فرغانة فتقرر أن نبدأ زيارتها وشاء الله أن تتحقق لى أمنية زيارة فرغانة هذه المرة كما تحققت أمنية زيارة (غانة) أو على الأدق موقع غانة ولله الحمد.

يوم الخميس: ١٤١٠/١١/٢١هـ.

من طشقند إلى فرغانة:

غادرنا مطار طشقند إلى مدينة فرغانة على طائرة مروحية صغيرة ذات محركين فيها ٣٣ مقعداً فقط وفى مقدمتها البريد موضوعاً فى أكياس وبعض الأمتعة الأخرى بخلاف أمتعة الركاب فهي ليست فى ذلك الموضع.

وقد أعطونا تذاكر الصعود إلى الطائرة ثم استعادوها منا عند الدخول كما يفعل بركاب الحافلة وهي تذاكر رخيصة جداً بحيث كان سعر التذاكر لخمسة أشخاص ٧١ روبلاً أى أحد عشر دولاراً أمريكياً بالصرف التشجيعي . وقد لبثوا فترة بعد إغلاق الباب قبل أن تقوم الطائرة فتضايق الركاب من الحر وقلة الهواء رغم كوننا فى الصباح. وكان الإعلان باللغة الروسية ذكروا فيه أن الطيران إلى فرغانة سيستغرق (٥٠) دقيقة. وقامت فى التاسعة والنصف صباحاً . وكان الجو شامساً ، واتجهت إلى جهة الشرق فكان من المشاهد التى تمتعنا برؤيتها لوقت لا بأس به من الطيران منظر جانب من جبال الهملايا تجللها الثلوج الكثيفة وفي متسع بينها بدت بحيرة ضخمة من مياه نهر (سيحون) أو هو من مياهها، حيث ينطلق منها وإن كان يبدأ قبلها.

ونهر سيحون شقيق نهر جيحون الذي تقدم ذكره و يسمونه هنا (سرداريا) بمعنى نهر السر وهو الأمر الخفي فداريا: نهر فى اسم النهرين كليهما اذ جيحون يسمونه (امودريا). فكلمة (أمو) من التركية القديمة الباقية فى اللهجة الازبكية وأما كلمة السر فى اسمه فهى عربية فصيحة. وهو أيضاً شقيق نهر جيحون فى كون كل واحد من النهرين ينبع فى الأصل من جبال الهملايا، حيث يتحلب من ثلوجها الضخمة. وكل واحد منهما ورد ذكره فى بعض الآثار مقترناً بذكر النهر الآخر وإن كانت الآثار هذه أكثرها ليس صحيحاً عند أهل الحديث فمنها مثلاً الأثر: سيحون وجيحون والنيل والفرات من أنهار الجنة.

وقد استمرت القمم الثالجة ترى من يمين الطائرة وشمالها حتى

وصلنا إلى (وادي فرغانة) الخصيب المزدهر بالزراعة . وضيافة الطائرة كالمعتاد لا تزيد على نصف كأس من ماء معدنى معتاد. والغريب أن المضيفة تركت الأكواب الفارغة معنا مدة طويلة لم تأخذها مع أنها ليس لديها أي عمل فى الطائرة، ولكن هذه عادة لهن فى طائراتهم أن تجلس المضيفات بدون عمل.

واستمرت المناظر تحت الطائرة مناظر الأرض المزروعة زراعة شاملة وهي تنتشر فيها القرى فى كل النواحي.

فى مطار فرغانة:

عندما بدأت الطائرة فى التدني إلى مطار فرغانة ورأيت الأرض الخصبة المعمورة عمارة شاملة فى الوادي وإن كانت ظهور الجبال التى تشرف عليه أقل عمارة وخصبا . تبادرت إلى ذهني المقارنة ما بينها وبين أرض (غانة) التاريخية القديمة التي قرنها بديع الزمان الهمذاني فى الذكر بفرغانة فوجدت أن لاوجه للمقارنة.

وتذكرت أنني سافرت بالسيارة من مدينة (داكار) عاصمة السنغال إلى (نواكشوط) عاصمة موريتانيا من أجل الإطلاع على المنطقة مفضلاً ذلك – مع المشقة فيه – على الركوب فى طائرة مريحة بين البلدين فاخترقنا نهر السنغال الذي كان أسلافنا الأقدمون يسمونه (نيل غانة) كما كانوا يسمون نهر النيجر (نيل السودان) تشبيهًا بنهر النيل العظيم: نيل مصر أو لكون بعضهم يعتقد جهلاً أنه أصل نهر النيل.حيث قال أحدهم وأظنه ابن سعيد المغربي:

و(نيل غانة) شقيق نيل السودان ويصب فى البحر المحيط الأعظم.. ومعنى ذلك بعبارة حديثة أن نهر السنغال شقيق نهر النيجر وهو يصب فى المحيط الأطلسى وهذا هو الواقع.

وقد ركبنا فى زورق خشبي صغير من الضفة الجنوبية لنهر السنغال وهي سنغالية التبعية إلى الضفة الشمالية وهي موريتانية، فلم أر على ضفتى النهر من العمارة إلا شيئًا قليلاً لا يستحق الذكر بل إن ضفاف النهر حتى في غير هذه المنطقة أكثرها متروك بدون زراعة أو عمارة وكأنما لم يشعر بالمدنية الحديثة ، وكأنما أهلها لم يشعروا بأن هذه الضفاف إذا زرعت من مياه النهر فإنها تنتج الغذاء الذي يسد حاجة السكان هناك الذين يتزايد عددهم باستمرار.

هبطت الطائرة فى مطار فرغانة فى العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين فكان أول ما استرعى انتباهنا فيه أعدادًا كبيرة من الطائرات المروحية الصغيرة التي تسافر إلى القرى في الأماكن النائية. وفيه أيضًا عدد من الطائرات الحربية وهو واسع المدارج. ومما يجدر ذكره أن هذه الطائرات كلها مملوكة للدولة لأنه لا أحد من المواطنين يملك طائرة ولو صغيرة كما أنه لا توجد شركات خاصة تطير الطيارات وإنما تفعل ذلك كله الحكومة الشيوعية . واسترعى انتباهي أيضًا شجيرات برية تحيط بالمدارج كأنها شجر الشيح أو الشجر الصحراوي الآخر الموجود قرب مطار القصيم فى بلادنا. وذلك يعطى الانطباع الصحيح عن طبيعة هذه المنطقة شبه الصحراوية لولا وجود هذه

الأنهار التى أعظمها نهر سيحون التي تمر بوادي فرغانة فيستغلها أهلها أعظم استغلال حتى أنهم شقوا قنوات كثيرة للرى من الأنهار. أو من فروع الأنهار.

ولاحظت أن معظم الأعمال يقوم بها مسلمون يعرف ذلك من القلانس (الطواقي) التي يحرصون على وضعها على رؤوسهم فمثلاً أول شخص رأيناه عن قرب فى هذا المطار هو العامل الذى يدفع السلم الصغير يضعه بجانب الطائرة فينزل عليه الركاب هو مسلم عليه الطاقية التى لا يلبسها إلا المسلمون في العادة.

وعند مدخل المطار وجدنا عدداً عديداً من المشايخ وطلبة العلم من الشبان وغيرهم قد تجمهروا للاستقبال والتحية يتقدمهم (حاتم قوش باي إبراهيم أتا) وكيل إدارة شئون الأديان في منطقة فرغانة والشيخ صابر جان بن تارماتوف رئيس الأئمة فى منطقة فرغانة. فكانت تحياتهم نابعة من قلوبهم عامرة بمحبة الإسلام وأهله مشتاقة إلى رؤية أهل الإسلام من منطلق الإسلام من مكة المكرمة.

وفى غرفة كبار الزوار التي يسميها العوام (صالون الشرف) كان جمع المستقبلين كبيراً.

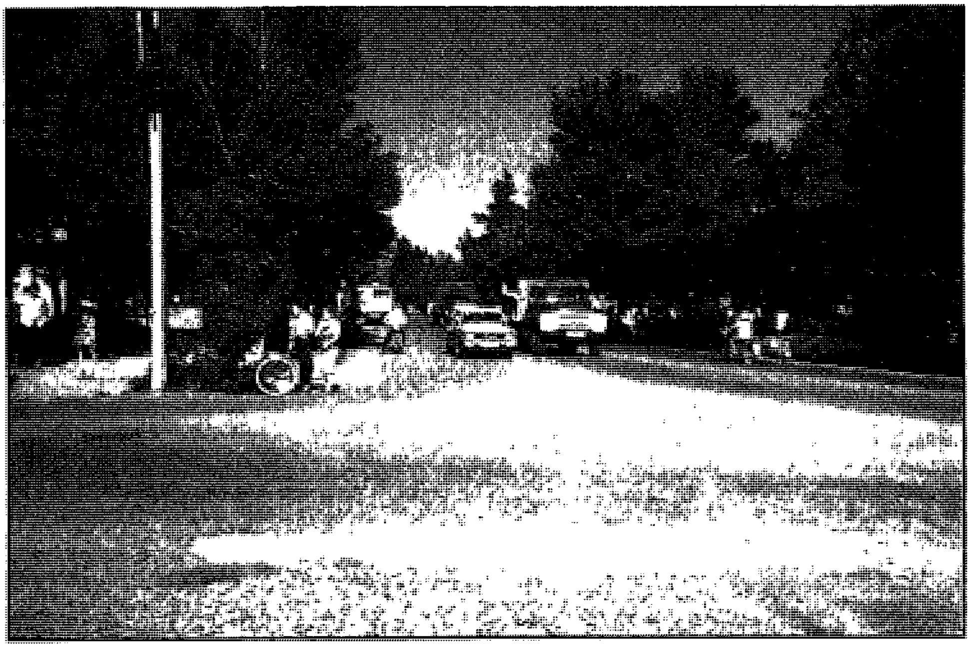
فى مدينة فرغانة:

فعل المحدثون فى وادي فرغانة كما فعل الأقدمون الذين سموا المنطقة فرغانة واسموا مدينة فيها هي قاعدتها فرغانة. كما قال ياقوت الحموي: إن (فرغانة) مدينة وكورة واسعة.

والمُحدثون الآن يسمون المنطقة فرغانة أو (وادي فرغانة) ويسمون مدينة فيه وهي قاعدته (فرغانة). ولكن هناك فرقًا بين (الفرغانتين) بين الأقدمين والمحدثين ففرغانة المحدثين أي المتأخرين غير فرغانة الأقدمين.

هذه المدينة المسماة الآن فرغانة وهي عاصمة الوادي بناها الروس عندما احتلوا بلاد المسلمين هذه قبل الثورة الشيوعية وإنما ذلك فى عهد القياصرة وأسموها (فرغانة).

أما مدينة (فرغانة) القديمة فإن الظاهر أن اسمها الآن (مرغلان) بميم فى أولها. وقد عرفنا اسمها من نسبة أعداد من إخواننا المقيمين في بلادنا ونسميهم الآن بالبخاريين - نسبة إلى مدينة بخارى وإن لم يكونوا من أهل بخارى نفسها وإنما هم ينتمون إلى المنطقة التي تقع فيها بخارى بالمرغلانى. وعندنا أسر عديدة فى مكة المكرمة والطائف تسمى بالمرغلاني: نسبة إلى مدينة مرغلان هذه التي ربما كانت تسمى قديمًا (فرغانة). وتقع مرغلان الآن مجاورة لمدينة فرغانة الحالية التى بناها الروس كما سبق على أنه ليس لدينا دليل على أن (مرغلان) الحالية هى مدينة (فرغانة) القديمة. نظرًا إلى أن مرغلان كانت معروفة منذ أكثر من ثمانمائة سنة باسم (مرغنان) ذكرها ياقوت الحموي بهذا الاسم.



في أحد شوارع مدينة فرغانة

سار موكب مؤلف من عدة سيارات من المطار إلى مدينة (فرغانة) مع شارع عليه أشجار وارفة الظلال سامقة الفروع ضخمة السوق -جمع ساق- وبعض هذه الأشجار تحتها ماء في مجرى يشبه القناة من أجل سقيها، ولم أعجب لذلك حين شعرت بحرارة الشمس هنا التي تجعل الأشجار تحتاج إلى الماء في الصيف، إلا إذا كان الماء قد جلب إلى أماكن أخرى عن طريق مجراه هذا.

كان معنا في السيارة وكيل شئون الأديان في المنطقة والشيخ المفتي محمد صادق وجرى حديث عن المساجد في فرغانة في السابق، وفي الوقت الحاضر مع أحاديث أخرى تتعلق بشئون المسلمين وسيأتي ذكر ذلك عند الكلام عن الشئون الإسلامية في فرغانة.

وقبيل الوصول للمدينة ضاق الشارع وإن كان لا يزال مزفتاً زفلتة جيدة. وكثرت الأشجار فى الشوارع حتى كادت تعمها كلها وتعم الأزقة التى تتفرع منها أو تصب فيها. ثم سرنا مع شوارع متعرجة حتى وقفنا عند فندق (انتورست) من فنادق الدرجة الثانية فاسترحنا فيه قليلاً.

جولة فى فرغانة:

فى الواحدة ظهراً انطلق الموكب مخترقاً شوارع مدينة فرغانة ذات الأشجار الظليلة فكان أول ما لا حظته على أهلها كثرة السكان الروس فيها فذكر لنا المرافقون ما عرفناه من قبل وهى أن الذين بنوا مدينة فرغانة هذه هم الروس وأنهم اتخذوها مركزاً لهم فى وادي فرغانة منذ أول احتلالهم لهذه البلاد فى عهد الحكم القيصري.

وجولتنا فى (فرغانة) المقصود منها بالدرجة الأولى رؤية المساجد فيها والمساعدة على بنائها بالمال. ويتبع هذا الغرض رؤية المدينة نفسها. فكان أول مسجد وقفنا عنده:.

مسجد يانكى جيك:

وهو مسجد قديم من المساجد المحظوظة التى لم تمتد إليها أيدي الشيوعيين إبان طغيانهم فى البلاد. إذ لم يغلق أبداً منذ بنائه الأول فى عام ١٩١٢م أي قبل الثورة الشيوعية حتى الآن وذكروا أنه كان فى وقت من الأوقات هو المسجد الوحيد المفتوح فى مدينة فرغانة.

ويقع فى حي إسلامي مكتظ بالسكان، رغم كون المدينة كانت عند إنشائها يؤلف الروس فيها أكثرية. ذكر لنا متولي المسجد الأخ (كريم

بردي باي) أن الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان التى يرافقنا مديرها مشكورًا وهو الشيخ محمد صادق قد دفعت لهم (٢٥) ألف روبل إسهامًا فى بناء القسم الأخير منه الذى بدأوا ببنائه هذا العام لأن المسجد صار يضيق بالمصلين وقال إمامه الشيخ (صابر جان بن نور محمد) إن عدد المصلين أيام الجمعة يصل ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مُصَلٍّ وفيه دراسة قرآنية مسائية يحضرها ما بين ٤٠ إلى ٥٠ دارسًا. وفيه قسم شمالي مخصص للنساء مزين ومزخرف بنقوش إسلامية.

والحي الذي فيه بيوته من الطين في الأكثر إلا أنهم يطلونه بطلاء يخفي الطين ويظهره كأنما هو مبني بالاسمنت وأكثر ما يكون طلاءه باللون الأزرق. وعند الانصراف أبوا علينا إلا أن نأكل من طعام كانوا أحضروه فأمتنع مرافقنا المفتي الشيخ محمد صادق بسبب ضيق الوقت ولأن فى البرنامج وقفات لتناول الطعام في غير هذا المكان فما كان منهم إلا أن حملوا الخبز من المائدة وجعلوه معنا علامة على الإكرام في الضيافة.

ريف فرغانة:

غادرنا مدينة فرغانة مع ريف خصب أكثر الحقول فيه هي قمح حصيد. وفى الأماكن غير المزروعة أعشاب برية جافة وأشجار صحراوية تشبه أشجار الحمض الموجودة فى بلادنا إن لم تكن هي عينها. وفى الريف رأينا أشجار الفاكهة المثمرة من التفاح والعنب. كما رأينا الفلاحات اللاتي أغلبهن من المسلمات لأن الروس يعملون فى المصانع والمعامل والمشاريع الهندسية فى وادى فرغانة كمشاريع

الكهرباء والري. وعلى الفلاحات اللباس الشائع فى آسيا الوسطى بين المسلمات وهو قميص الحرير الطبيعي الذي يكون ملونـًا بألوان مختلطة ما بين أحمر إلى أصفر أو ذهبى ويكون قميصاً واحداً يضرب إلى ما تحت الركبة بقليل وعلى الرأس منديل من الحرير أيضـًا لا يكاد يخلو منه رأس امرأة فى هذا الريف.



منظر في ريف فرغانة

ونحن فى الوادى الخصيب الذى يحده من جهة أماكن مرتفعة كالجبلية خالية من العمارة وحتى الخضرة فإنها فيه قليلة.

وأخبرونا أن الوادي يشرب من الأنهار والقنوات، كما أنه توجد ينابيع فيه تأتى من الجبال والأماكن المرتفعة.

في بلدة توساي:

كنا نتجه جهة الجنوب منذ أن غادرنا فرغانة ولم نقطع إلا مسافة ٢٤ كيلو مترًا حتى وصلنا البلدة التى نقصدها وهي (توساي). وذلك لرؤية جامع فيها كبير فى مساحته عظيم فى بنائه وقواعد أساسه وأعمدته من الاسمنت المسلح وبقاياه من الفخار الأصفر الذي يكثر استعماله فى الوادي. ولما رأيت ضخامة البناء وسعة المسجد لم أصدق أنه يمكن أن تقوم به جماعة تجمع ما يحتاج إليه من المال بالدرهم والدرهمين، وعلى الأدق بالروبل والروبلين.

وكان الغريب بل الأغرب فى أمر هذا المسجد العظيم أن القائم على بنائه هو سكرتير الحزب الشيوعي (شهرت أحمد) قال الإخوة هنا: إن قيامه على بناء هذا المسجد يدل على أنه مسلم يكتم إيمانه فلما تهيأت الفرصة له لخدمة دينه قام بذلك كما هي عليه الحال عند بعض الشيوعيين. وقال بعضهم: إن الأمر بالنسبة لبعض الشيوعيين قد يكون تقربه للمسلمين من أجل أن يفوز بأصواتهم فى الانتخابات إذا أجريت مع أنهم أكدوا على أن الأمر الذي يعتقدونه بالنسبة للقائم على بناء هذا المسجد هو أنه قام بهذا العمل بدافع الحرص على بناء المسجد وليس بدافع الحرص على الحصول على أصوات الناخبين المسلمين.

لم نجد (شهرت أحمد) متولى المسجد فى الموقع، لأنه كان غائبًا عن البلد ولم يكن يعلم بحضورنا وإلا لحرص على الحضور.

وإنما وجدنا المهندس القائم على المسجد واسمه (أحمد جان) حدثنا

عن أمر هذا المسجد وعدد من جماعته يسمعون فقال: إن الأرض تبلغ مساحتها هكتارًا ونصفًا وأن الحكومة منحتها للمسلمين لكى يقام عليها المسجد دون مقابل، لأن المسجد هو الوحيد فى هذه البلدة التى يعد سكانها خمسين ألف نسمة. كما قدمت لهم الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان عشرين ألف روبل قالوا: وأما النقود فإن التبرعات صارت تنهال عليه من المسلمين على صفة تبرعات قليلة المقدار. ولكنها من أناس كثيري العدد والقليل من الكثير كثير.

وللمسجد منارتان كبيرتان لم تكتملا، ونوافذ مدورة على هيئة ما رأيته موجودًا فى قصور ملوك الصين. وهندسة المسجد جعلوها طبقًا للتراث الهندسي العريق فى هذه البلاد المتمثل بالطراز التيموري الذي هو الأساس فى الطراز المغولي فى بناء المساجد والقلاع فى العهد المغولي فى الهند. لأن المغول هؤلاء جاءوا إلى الهند من منطقة آسيا الوسطى، بل إن كبير الأسرة المغولية المشهورة (بابر) هو من وادى فرغانة هذا الذي نحن فيه.

وقد تأثرنا من حالة الإخوة المسلمين في بناء هذا المسجد العظيم من تبرعات شخصية قليلة وبعزيمة مثابرة وتصميم جاد فتبرعنا لهم بستة آلاف دولار أمريكى ويساوى ذلك ٣٨ ألف روبل بالسعر التشجيعي للدولار الذي تصرفه الدولة لهم رسميًا. وأما فى السوق الحرة المسماة بالسوداء فإن المبلغ يساوى حوالى مائة ألف روبل وهو مبلغ عظيم المقدار فى الإتحاد السوفيتي فى الوقت الحاضر.

ولكننا رأيناه قليلاً بالنسبة إلى عظمة بناء المسجد وما رأينا أنه يحتاج

إليه من نفَقة سواء بحالته الحاضرة أو بالحاجة إلى إتمامه على الوجه المطلوب.

بلدة وليك:

انتقلنا من (توساي) ونحن فى سرور عظيم من مشاهدة مسجدها الفخم الذي كان فى منطقة لم يكن يسمح بوجود مسجد فيها فى القديم. فسار الموكب مع طريق آخر وكأننا نعود إلى مدينة (فرغانة) ولكننا عدلنا إلى بلدة تسمى (وليك). وكانت التلال الجبلية الجرداء الشبيهة بالصحراوية تماشي الطريق الذي نسير معه فى وادي فرغانة الخصب وكان الجو يشبه جو بلادنا فى آخر فصل القيظ، وأول فصل الخريف فهو حار ولكنه ليس شديد الحرارة، كما أنه جاف ولكن ليس بالغ الجفاف. ولذلك كنا نجاهد فى أن نذود الذبان الكثيرة التي تجمعت فى هذه المنطقة بسبب كونها زراعية والوقت وقت إدراك فاكهة يقع عليها الذباب ولاعتدال الجو الملائم لنمو الذبان.

نزلنا عند بيت الشيخ نعمان عثمان وكان فى (خوقند) ذكر أن والده درسه مبادئ الدين الإسلامى، وما يعلمه من العلم الديني سرًا فى بيته. وقد تناولنا فيه بعض الفاكهة التي وجدناها معدة. ثم انتقلنا إلى بيت آخر هو بيت الأخ (عبد الله جان) فوجدناه قد أُعد سماطًا عليه المكسرات المنوعة والفاكهة الطازجة.

مسجد وليك:

وبعضهم يقول (ولي الله) والذين منهم وهم الأكثر يسمونه (وليك).

يريدون وليك يا الله. مررنا بهذا المسجد وهو معمور مكتمل لكي نصلي فيه صلاة الظهر ونجتمع بجماعة المسلمين، ونتعارف معهم في الله. وقد أدينا صلاة الظهر جماعة مع عدد كبير من المصلين. وبعد الصلاة نهض الشيخ المفتي محمد صادق فألقى فيهم كلمة عرفهم فيها بنا وبوظائفنا، وأننا وفد من رابطة العالم الإسلامي جئنا إلى هذه البلاد من أجل التعرف على أحوالهم وتقوية الصلة الأخوية معهم.

ثم ألقيت فيهم كلمة أبلغتهم فيها تحيات إخوانهم من جوار بيت الله الحرام فى مكة المكرمة. وأوصيتهم فيها بتقوى الله تعالى ومراقبته وبخاصة فيما يتعلق بتربية أولادهم تربية إسلامية لأنهم مسئولون عنهم أمام الله سبحانه وتعالى كما قال النبي ﷺ:

«**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» إلى أن قال: «**والرجل راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته**» وذكرتهم بالأمجاد الإسلامية الغابرة لهذه البلاد وأهلها ومن أخرجته للعالم من علماء خدموا اللغة العربية والدين الإسلامى فى العلوم الإسلامية على اختلاف فروعها، وقلت: إنكم إذا ربيتم أولادكم تربية إسلامية فإن بلادكم قد تنجب علماء أجلاء يصلون ما انقطع من علم إسلامى نافع فى هذه البلاد، ويكونون فخراً لكم وللمسلمين عموماً على مدى الأجيال ودعوت لهم بالتوفيق والصلاح، وأعلنت لهم تبرع رابطة العالم بألفى دولار أمريكي تصرف في مصالح المسجد.

الاعتكاف في الفندق:

ألح عليّ إسهال كنت فى أغنى حال عنه، لأنه داهمنى وأنا فى هذه

الجولة المتصلة الحركة في آسيا الوسطى وفسرت حدوثه بأنه بسبب ما أكلته من فاكهة بل من فواكه طازجة ومن أطعمة أخرى فى هذا الفصل الذي يكثر فيه الذباب. ولم أذق طعاماً اليوم ولا الليلة البارحة حتى الذي قدموه اليوم من فاكهة ونحوها لم أذقه.

لذلك لم أستطع أن أمضي اليوم فى البرنامج رغم حاجتى إليه وتشوقي إلى التجول في مدينة (مرغلان) التى هي مدينة (فرغانة القديمة) فاضطررت أن أبقى فى فندقى (ا نتورست) وأن أعهد للإخوة الكرام فى وفدنا وهم الأستاذ حاتم قاضي والأخ رحمة الله بن عناية الله، والأستاذ الصحفى (أيمن حبيب) أن يقوموا بالجولة فى آخر هذا النهار فى مدينة (مرغلان). فقاموا بالأمر وزاروا عدة مساجد هناك هي:

-مسجد ينكي مرغلان.

-مسجد ساي بوي فى مدينة مرغلان.

-مسجد خوجه كهتر في مرغلان.

-مسجد مره كوه.

-مسجد خانقاه.

-مسجد جلايلي.

أما أنا فقد بقيت فى الفندق أندب حظي الذي ضاع فى بقية هذا اليوم وأدعوا الله سبحانه وتعالى أن يقوينى على إتمام الجولة غداً.

وقد أحضر الشيخ (عبد الله جان) جزاه الله خيراً من بيته طعاماً وافراً دسماً ولكنني لم أستطع أن أطعمه. وإنما طلبت عسلاً طازجاً وقطعة صغيرة من الخبز وماء معدنياً فاجتزيت بشئ من ذلك ووقعت فى نوم عميق لم أصح منه إلا بعد أن عاد إخوانى مع الغروب.

يوم الجمعه ١٤١٠/١١/٢٢هـ.

جولة فى وادي فرغانة:

كانت جولة أمس فى مدينة فرغانة وما حولها. وستكون جولة اليوم فى عدة مدن وقرى فى وادي فرغانة ستبدئ بمدينة اندجان وسنمر في الطريق إليها بمدن وقرى سناتي على ذكرها إن شاء الله. وتنتهى بزيارة مدينة نمنكان الشهيرة حيث تنتهى بالإنتهاء منها زيارتنا لوادي فرغانة إذ من المقرر أن نطير منها عائدين إلى طشقند بدلاً من أن نعود ثانية إلى مدينة فرغانة لأن فى البلدتين كلتيهما مطاراً تقوم منه رحلات إلى طشقند. وكان الإفطار فى فندقنا فندق (انتورست) حيث كانت عاملات المطعم فيه من الروسيات المسنات الغليظات الأجسام والهندام اللاتي لا يعرفن اللطف فى الكلام بل لا يستطعن حتى الكلام مع الغرباء مثلنا فضلاً عن كونهن لا يعرفن الابتسام.

وكان فطورهن فطيرة بلا بيض وإنما معها جبن ، وخبز بلا زبدة، أو مربى ثم الشاى الخفيف غير المحلى بالسكر وهو الشبيه بالشاى الصيني الشهير.

إلى مدينة أندجان:

سيكون قصدنا أول الأمرإلى مدينة (اندجان) التي اشتهر عدد عديد من الأسر في مكة المكرمة وجدة والطائف بنسبتهم إلى أهلها فكان يقال لهم (الاندجاني) وبعضهم يكتبها (انديجاني) باثبات الياء قبل الجيم وذلك ناشئ عن اشباع الكسرة حتى تصبح ياء وقد سمعت القوم هنا ينطقون بها بما لا يختلف عما كتبته.

وتبعد مدينة (اندجان) عن مدينة فرغانة ٩١ كيلومتراً، ومع ذلك لن يكون سفرنا إليها قاصداً وإنما سنمر ببلدان وقرى قبلها.

سار الموكب المؤلف من عدة سيارات تتقدمه سيارة للشرطة تطلق نفيرها المميز فتفتح الطريق للموكب وتبعد عنه السيارات، ولأمر مهم آخر وهو أن منطقة وادي فرغانة كانت قد شهدت قبل أيام اضطرابات عنصرية بين القرغيز والأوزبك، وسيارة الشرطة تكون لازمة في هذه الحالة من أجل توفير الأمن للضيوف لأن فيها اثنين من رجال الأمن. غير السائق الذي هو عسكري أيضاً.

حديث عن منطقة فرغانة:

يرافقنا في سيارتنا الرسمية الأمامية الأستاذ (حاتم قوش) وهو خبير في شئون هذه البلاد لأنه من أهلها وهو موظف مختص بشئونها. ومعي أيضاً في السيارة وهي الأمامية بعد سيارة الشرطة الشيخ المفتي محمد صادق محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان وتعتبر هذه البلاد (وادي فرغانة) من ميدان عمله لأنها ولاية تابعة لجمهورية أوزبكستان التي عاصمتها طشقند.

أســست ولاية فـرغـانة فـى عـام ١٩٣٨م ولم تـكن قـبـل ذلك ولاية مـسـتـقلة ذات وحدة إدارية واحدة بل كـانت جهـة تابعـة لمناطق إدارية أخرى. ومـسـاحـتـهـا ٤٤٤٧ كيلو مـتر مـربع، وسكانها مليـونان و ٢٠٠ ألف نسـمـة ٧٠٪ منهم مـسلمـون والبـقية أغلبـهم من الروس، وفـيـهم نصـارى من الأوكـرانيين والأرمن وغـيـرهم وهناك قلة يهـودية . وأهم مدنهـا القديمة: مـرغلان التى كـانت تسمى قـديمًا (مرغـينان كمـا سبق توجـيهـه) ويقـول أهل فرغـانة: إن مـدينة مـرغلان هي أقـدم المدن فى الوادي وأنها أسست قـبل ألفى سنة وأن الفيضان الذى كان يحـدث فيها كل مائة سنة لم يصبها ولا مرة واحدة لأنها مـرتفعة وحتى آخر فيضان قـبل اثنى عشـر سنة لم يصبـهـا بسوء، وقـالوا أيضـًا: إن الزلزال الذي أصاب مدينة فرغانة الحالية وغيرها وأحدث فيها خرابًا لم يصب مدينة مرغلان بأضرار.

وقد احتل الروس مرغلان عـام ١٨٦٠م وآخر ما سقط فى أيديهم من مدن فرغانة المهمة (خوقند) فى عام ١٨٧٦م.

ذكرنا من قبل أن مدينة فرغانة الحالية كان الروس قد بنوها لأنفسهم. وأنهم لم يـكونوا فى زمن الحكم الـقـيـصـرى يسـمـحـون لغـيـرهم أن يساكنوهم فيها حتى أهل البلاد من الأزبك إذا ذهبوا إليها للدراسة يجب عليـهم أن يخـلعـوا مـلابسـهم الوطنيـة. وقـد ألغى ذلـك كله بعـد الثـورة الشـيـوعـيـة. وينتـمـى أغلب سكانهـا من حـيث الأصـول القـومـيـة إلى الاوزبك غـير أنهم لا يؤلـفون أكـثر من ٦٠٪ من سكـانها. والبـاقى وهم

٤٠ ٪ هم من التاجيك والقرغيز وهؤلاء مسلمون ويؤلفون حوالى ١٠٪ من السكان والباقى وهم ٣٠٪ يؤلفون من ذكرناهم من النصارى واليهود وإن كان اليهود قلة ضئيلة..

وقد كرر الأستاذ حاتم قوش ما قلناه من قبل من كون مدينة فرغانة الحالية هى مدينة محدثة بناها الروس لأنفسهم بعد احتلال البلاد فى زمن الحكم القيصرى لروسيا. وليست هي مدينة فرغانة التاريخية القديمة تلك اسمها الآن (مرغلان) كما تقدم.

ولا تبعد مدينة (مرغلان) إلا مسافة (٢٥) كيلو مترًا عن مدينة (فرغانة) الحالية. وقدأسس الروس مدينة (فرغانة) الحالية فى عام ١٨٨٧م.

المتمسكون بدينهم من المسلمين:

سألت الأستاذ حاتم قوش وهو مطلع بحكم عمله على حالة المسلمين فى وادي فرغانة عن عدد المسلمين المتمسكين بدينهم. إذْ نحن نعرف أن المراد بكلمة (المسلمين) الذين يؤلفون ٧٠٪ من سكان وادي فرغانة الذين ولدوا فى أسر مسلمة أو من أبوين مسلمين. ولا يشترط هذا الإحصاء بطبيعة الحال أن يكون المسلم المعدود من هؤلاء متمسكاً بدينه نابذاً للعقيدة الشيوعية الإلحادية ..

لذلك سألت الأستاذ حاتم عن عدد المسلمين المتمسكين بدينهم من مجموع المسلمين هؤلاء. فأجاب: إنهم يبلغون ٧٠٪ تقريباً. وقال إننى مطلع على الموضوع وهو من صميم عملى، ويشمل هذا العدد بعض

أبناء المسلمين العاملين فى الدوائر الرسمية والذين هم أعضاء فى تنظيمات الحكم الشيوعى فبعضهم مسلم حقيقي متمسك بإسلامه ولكنه مضطر لمجاراة السلطات الحاكمة ومن أجل المحافظة على منصبه، وقد يفسر بعضهم المحافظة على المنصب بأنها أيضاً من العمل للإسلام لأنه يساعد المسلمين عن طريق وجوده فى منصب هام فى الإدارة الحكومية. ومعلوم أن الإدارة الحكومية الشيوعية هي أوسع أنواع الإدارة الحكومية فى العالم. لأن معظم الشعب العامل حتى الفلاحين يكونون عاملين فى الحكومة أو تحت إشرافها.

وقال بهذه المناسبة: إننى أعرف بعض أعضاء الحزب الشيوعى من أبناء المسلمين يصلون خفية، بل يواظبون على الصلاة.

وقال: أنا مثلا موظف حكومي فى جهاز شيوعى يقوم أصلاً على الإلحاد، ولكننى أعلنت أخيراً أمام رئيسى أننى مسلم متمسك بعقيدتى الإسلامية مثل أكثرية المسلمين في هذه البلاد.

وذكر مدير الشئون الدينية الأستاذ حاتم أيضا أن عدداً من الروس الذين يعملون فى الإدارة ويتظاهرون أنهم شيوعيون قد أسلموا وأهم ما يظهرهم لنا أنهم يعقدون عقود الزواج فى المساجد كما يفعل المسلمون. ويختنون أبناءهم، بل إن عدداً منهم ممن أسلموا على كبر ختنوا أنفسهم تمسكاً منهم بالشعار الإسلامي وبهذه السنة التى صارت علامة فارقة بين المسلمين وغير المسلمين فى المظهر. وذلك أن من أسلم من الروس فإنه يسلم عن اقتناع بصحة الدين الإسلامى ولذلك يلتزم بما يأمر به الدين إلتزاماً تاماً.

وقال الأخ حاتم: لقد عملت في شئون الأديان منذ سبع سنوات وأعرف الآن أكثر من مائة روسي أسلموا وحسن إسلامهم، وهناك يهودي جاء إلينا وأسلم وأعطيته شهادة بإسلامه منذ سنتين.

قال: وهناك عدد من الروس الذين عرفوا الدين الإسلامي على حقيقته ولكنهم لم يعلنوا إسلامهم، وهم يحضرون الدروس الإسلامية التي تلقى بالأوزبكية في المساجد وهم يعرفون اللغة الأوزبكية لكونهم عاشوا في هذه البلاد.

وأخبرنا بخبر سررنا له وهو أنه في هذه السنة الدراسية الحالية أكثر المدارس أدخلت تعلم الحروف العربية اجبارياً على طلابها، بعد أن قررت جمهورية أوزبكستان التخلي عن الحروف الروسية التي كانت مفروضة عليهم لأن الحروف العربية كانوا يستعملونها منذ قرون متطاولة حتى حرمها الروس عليهم وأحلوا حروف لغتهم محلها في هذه البلاد. والمنتظر أن يكون تعلم الحروف العربية واستعمالها رسميا في جميع المدارس في هذه البلاد.

بلدة (كُوَّه):

كنا ونحن ذاهبون من (فرغانة) إلى (اندجان) نتجه جهة الشرق لأن هذا هو موقع (اندجان) بالنسبة إلى فرغانة فوصلنا بلدة (كوة) وهي بلدة قديمة يبلغ عدد سكانها الآن خمسين ألف نسمة. منازلها على الطريق العام، أكثرها جيد المظهر، نوهوا بأن أهل هذه البلدة ممن سارعوا إلى تعلم الحروف العربية وتعليمها لأولادهم.

وقف الموكب عند أرض أعطتهم إياها الحكومة وكانت مكانا لمدرسة

ابتدائية انتقلت إلى مكان آخر ويريدون بناء مسجد كبير على هذه الأرض، مع أنها واقعة على شارع رئيسى يسمى بشارع (كارل ماركس) وذكروا أن بلدتهم فيها الآن مسجدان عامران.

تجمهر علينا عدد من أهل البلاد من رجال وأطفال ونساء أبعدن قليلاً وكلهم يتفرج برؤية هذا الموكب من السيارات الذي نزل منه أناس عليهم الملابس العربية التى لم يرها كثير منهم إلا فى الصورة أو فى الخيال. ورأوا علية قومهم يحتفون بهؤلاء الضيوف الذين عرفوا بعد ذلك أنهم من بلاد الحرمين الشريفين، فجاؤا يشاركون فى الترحيب ولو عن طريق التجمهر وتكثير السواد.

وعلى ذكر السواد يطرأ على الذهن ذكر اللون فألوان القوم هنا هي البياض ولكنهم سمر على قلة، مثلهم فى ذلك مثل السوريين.

وأهل بلدة (كُوه) هذه ليس على وجوههم من الإشراق، ما على وجوه أهل طشقند، ولا شك فى أن سبب ذلك هو العيش فى جو ريفى تصحو شمسه فى الصيف وهم بحكم برودة الجو فى أكثر فصول السنة لا يتقون البروز إلى الشمس فتؤثر فيهم من حيث لا يشعرون.

وأعجب ما فيها وأجمله أنهم يغرسون أشجار الفاكهة أمام بيوتهم فتجد عرائش العنب المزدهرة تتدلى منها العناقيد على مداخل البيوت. وأكثر العنب عندهم لم يدرك بعد. وكذلك أشجار الفاكهة الأخرى كالتوت الذي ينتفع بثمره وورقه أيضاً لتربية دودة القز تجده على حواشي المنازل وفى أماكن الأرصفة حيث لا أرصفة فى أكثر شوارعها وأزقتها.

وعلى ذكر دودة القز الذي ينتج الحرير ذكر أصحابنا المرافقون وغيرهم أن جمهورية أوزبكستان تنتج من الحرير الطبيعى ٢٠ ألف طن فى السنه ٢٥٪ يأتي من وادى فرغانة.

وأخبرونا أنه رغم شهرة (وادي فرغانة)بالزراعة وازدهارها فيه فإن فيه صناعة مزدهرة وأن فيه ١٢٠ مصنع منها ٢٠ من المعامل الكبيرة ذات الشأن فى الإتحاد السوفيتى كله مثل مصانع نسج الحرير وإنتاجه. كما أن فى أرض وادي فرغانة نفطاً يستخرج ويكرر فيها فاجتمعت فيها الخيرات الظاهرة والباطنة.

تركنا بلدة (كوه). وسار الموكب مع طريق جيد الزفلتة إلا أنه غير عريض بحيث كانت سيارة الشرطة التى تتقدم الوفد تزعج السيارات التى تقابلها أو تسبقها فتخرج هذه من الطريق الازفلتى لافساح الطريق أمام سيارات الموكب، فتثير السيارات الخارجة عن الاسفلت غباراً متصاعداً لأن أكتاف الطريق غير مزفلتة.

واستمرت عرائش العنب على أبواب البيوت وواجهات المنازل حتى وصلنا:

بلدة نياز باتر:

ويبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة. ومعنى اسمها بصل نياز فنياز: اسم شخص. وباتر: بصل. وذلك لكثرة إنتاج البصل فيها.

وقفنا فى البلدة وسرنا على الأقدام لمسافة قصيرة لرؤية مسجد يبنونه فيها. فمررنا بمقبرة مسورة بسور من شبك الحديد داخله القبور وليس

عليه سقف من شباك أو غيره. وكلها لا ترتفع إلا أقل من شبر فهى أقل حتى من القبور عندنا.



مسجد نياز في قرية نياز باتر

وجدنا فى أرض المسجد الأخ الكريم (محمد صالح) متولى المسجد وهو الإمام والخطيب. وقد وضعوا أساس المسجد وصبوا العوارض فيما بينه بالاسمنت القوي المسلح بالحديد. كما وضعوا الأساس أيضاً لمدرسة إسلامية ستكون من طابقين مؤسسة بأساس من الاسمنت المسلح أيضاً.

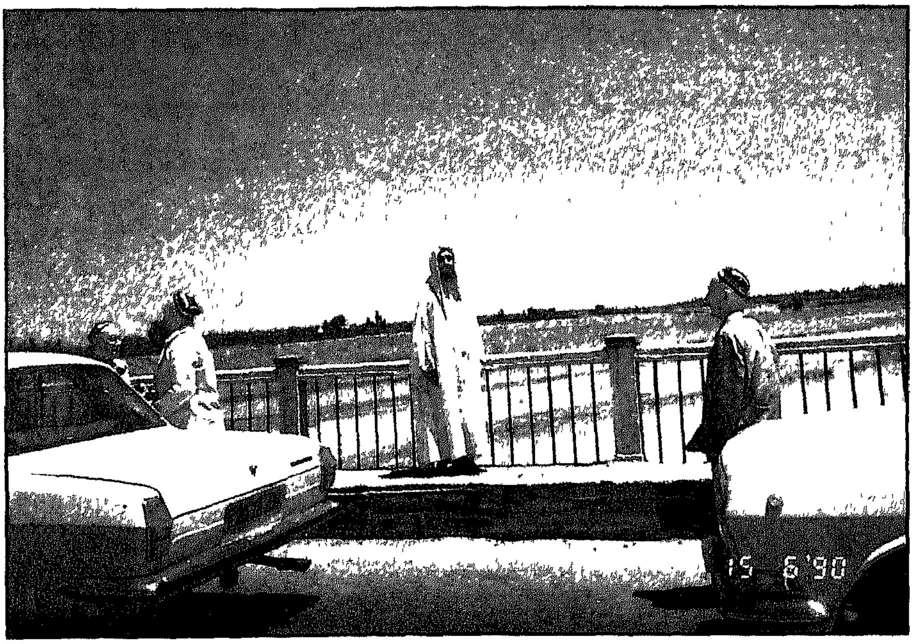
وقد أخبرونا أنهم الآن يدرسون (٣٥) من أبناء المسلمين فى وقت فراغهم مبادئ الدين الإسلامي وتلاوة القرآن الكريم وقد أمروا بعض

الأبناء الذين كانوا حضروا بتلاوة من القرآن الكريم وعددهم أكثر من عشرين فقرأ أحدهم قراءة جيدة بحيث قال له عدد من الحاضرين (رحمت) ومعناها: شكرًا. وهذه هي الكلمة الشائعة فى تركستان الشرقية وهي موجودة هنا بمعنى (شكرًا) وهي إحدى لفظتين للتعبير عن الشكر إحداهما (عِشْق النبى) بكسر العين وإسكان الشيْن.

وقد أخبرنا الأخوة من أهل القرية إن أرض المدرسة هي منحة من الحكومة الحالية للمسلمين وأن هذا المسجد جديد كليًا بل إنه أول مسجد يؤسس فى الحي.

قناة فرغانة:

سألتهم عن ماء رأيناه يجرى فى قناة تباري الطريق من أين هو؟ فأجابوا: إنه ينبع من الجبال، وأن مصادر الماء العذب عندهم متوفرة فنهر (سيحون) الذي يسمونه (سرداريا) لا يبعد عنهم إلا ٢٠ كيلو مترًا، وقناة فرغانة الضخمة الشهيرة حفرت فى عام ١٩٣٩م فى مدة ٤٥ يومًا شقت من نهر (نارن) الذي هو أحد أصلي نهر سيحون إلى (اندجان)، وطولها ٢٧٢ كم وتروي مساحات تصل مع تعرجاتها إلى ٣٠٠ كيلو متر. يقع على جانبها مائتا قرية وبلدة. وقد اشترك فى حفرها (١٦٠) ألف شخص قسمت على البلدان التي تمر عليها وجعل على كل بلدة أو قرية تمر بها أو بالريف المتصل بها أن تحفر ما والاها منها.



فوق جسر الترعة في ولاية انديجان

وعندما مررنا بقناة فرغانة ورأيتها كالفرع الصغير من النهر مفعمة بالمياه القادمة من النهر ذكرت مدينة (تنبكتو) في شرق مالي في أفريقية وكانت مدينة سودانية غربية عريقة فى الثقافة العربية الإسلامية، بل كانت إحدى المدن الرئيسية في افريقية فى دراسة العلوم الإسلامية وتخرج العلماء الأعلام فى دين الإسلام، وذكرت أن تلك المدينة (تنبكتو) يشرب أهلها من آبار غير صالحة للشرب، وقد حفرت حكومة مالي على ضعفها المادى لهم آباراً للشرب، فى ناحية من المدينة يستقى الناس منها الماء من صنابير مقامة في المحلات العامة مع أن نهر النيجر الذي يسميها علماؤنا الأوائل نيل السودان لا يبعد عنها إلا تسعة كيلو مترات بالنسبة إلى وجود محاقن ومجتمعات للمياه العذبة من النهر

متصلة به لا تبعد إلا تلك المسافة وكان أحد الإسكيات وهم حكام مملكة سودانية عريقة عاصمتها مدينة (قاو) التى كان اسمها عند القدماء (قاو قاو) بلفظ التكرير وذكرت فى كتب أسلافنا العرب برسم (كوكو) فقالوا: إن مملكة سلطان السودان وفى وقت من الأوقات صاروا يسمونه ملك التكرور يحدها من الشرق (كوكو) ومن الغرب (صوصو).

وقد ذكرت ذلك كله فى كتاب «بلاد التكرور» فذلك الإسكيا أى الملك المسلم قد جر مياه النهر فى قناة مرت بتنبكتو هذه وتجاوزتها إلى أكثر من ١٤٠ كيلو مترًا فى الصحراء يريد أن يذهب بها إلى مدينة (ويلاته) فى منطقة الحوض التى تتبع الآن جمهورية موريتانيا الإسلامية. ولو أن أهل (تنبكتو) عملوا ما عمله أهل فرغانة لأصبحت مدينتهم التى هي فى أطراف الصحراء الكبرى مدينة خضراء ولكانوا كمن أجرى إليها نهرًا وذلك أمر سهل عليهم لأن أثر القناة القديمة موجود الآن وقد تركت لا تملأها إلا الرمال.

مدينة مؤسس الإمبراطورية المغولية:

سار الموكب ورأى وهو يودع بلدة (نياز باتر) أكوامًا فى الطريق من أكوام القمامة قد وضعوها فى الأماكن المنخفضة من أجل ردمها وقد أشعلوا النار فى بعضها من أجل أن يصغرحجمها فرأيناها والنار تنبعث منها. ومزارع القطن الواسعة اليانعة تمتد مدى البصر وذلك فى مزارع جماعية أى ليست ملكًا لشخص أو أشخاص بأعيانهم كما سبق أن شرحنا أمر المزارع الجماعية التى تسمى بالروسية (كلخوزات). فوقفنا وقفة خفيفة بمدينة ذات أثر فى النفوس اسمها (أخفيكان) لأنها هي

مـدينة (بابر) الذي أسس الدولة المغولية فى الهند حـيث خـرج من هذه المدينة فى وادي فرغانة وترقت به الأحـوال حتى أصبح ملكـًا فى الهند، وملكت سـلالته الهند لسنين طويلة خـلّـف ملوكهـا أثاراًهامة فـيها مـنها على سبيل المثـال (تاج محل) والقلعة الحمـراء و(فتح بور سكري) قرب اكرا إلى جانب أثار علمـية مثل الذين خلفه الامبراطور (عـالمقير) الذي نسبت إليه الفتاوي العالمقيرية فى فقه الحنفية .

وسـمعت أهل هـذه البلاد يلفظـون اسمـه بلفظ (بابور) ويقـولون : إن معناه الأسد وليس (بابر) كما يكتب بالعربية الآن نقلاً عن مؤرخي أهل الهند. ولم نتـمـهل بل لم نتـوقف فـى مـدينة (بابر) هذه وإنما الـتـقطت صـورة لشـارعهـا العـام من داخل السـيـارة وواصلنا السـيـر فى الريف (الفـرغـاني) الخـضـر النضـرحـيث تـرفـرف الأشـجـار الخـضلة على الطريق، ومنها أشجار الفـاكهة التى إن لم ترها على الطريق فإنك تراها منه في البساتين، من أي اتجاه اتجه بصرك إليه.



المؤلف في ريف انديجان الأخضر

ومع ذلك فإن هذا الوادي الخصيب تطل عليه تلال جرداء مما يذكر المرء بأن خصوبة الوادي وخضرته إنما سببها ما يجرى فيه من أنهار. وما أجرى فيه من قنوات، وليس لكونه كثير الأمطار. وقبيل الوصول إلى مدينة (اندجان) وقف الموكب عند محطة لتعبئة المحروقات والمحطات مثلها فى البلدان الشيوعية قليل لأن معظم السيارات ملك للدولة وتملأ خزاناتها من محطات حكومية معينة. والناس لا يتجولون بسياراتهم كما يتجولون في البلدان ذات الحرية الاقتصادية وذلك لقلة السيارات الخاصة قلة نسبية ولضعف الدخول المالية. فانتهزت فرصة وقوف الموكب والتقطت صوراً للطريق الذي نسير عليه والذي يفضي إلى مدينة اندجان ولأشجار القطن والتوت فى هذه المنطقة.



في إحدى شوارع مدينة فرغانة

مدينة اندجان:

على مدخل مدينة (اندجان) كانت هناك عوارض من الاسمنت المسلح موضوعة على الطريق، بحيث لا يستطيع من يسلكه بالسيارة إلا أن يتعرج في سيره. وقد جعلوها هكذا محافظة على الأمن بعد الاضطرابات التي كانت قد حصلت فيها قبل أيام.

على ذكر الطريق ننوه هنا بأن مدخل اندجان كانت فيه أعداد كبيرة تسير على الطريق من الدراجات والشاحنات الضخمة وحافلات نقل الركاب، أما سيارات الركوب فإنها موجودة ولكنها ليست من الكثرة بذاك. وعند المدخل رأينا تمثالاً ضخماً لطائرة نفاثة، ولا أدري مناسبة

وضعه هنا. وقالوا لنا إن مدينة اندجان مدينة مسلمة متمسكة ولذلك فإن المساجد العامرة فيها كثيرة، وإذا زرنا بعضها دون بعض فإن ذلك سيغضب الذين لم نزرهم. فقلت لهم: إن أهم ما عندنا أن نطلع على المساجد التي تقام أو ترمم حتى نسهم في المساعدة على بنائها أو ترميمها ببعض المال.

ووقف الموكب عند مدخل المدينة فذكروا أن سبب ذلك أن سيارة الشرطة التى معنا هى من شرطة فرغانة ولا بد من أن تحصل على الإذن بالعمل فى (إندجان) أو على الأقل يخبر سائقها شرطة اندجان بوجوده. وقد تجمهر علينا عدد من الناس من المستطلعين والفضوليين الذين عرفونا فجاؤا يغتنمون فرصة للسلام والمصافحة. وقارنت في ذهني ما بين مظاهرهم ومظاهر الذين رأيناهم من أهل طشقند الذين هم البخاريون الذين نعرفهم فى بلادنا فوجدت أن بينهم بعض الاختلاف وأن أهل وادي فرغانة هؤلاء هم أقرب في المظهر إلى العرب والافغان من الأوزبك أو هكذا خيل إليّ.

ويبلغ عدد سكان مدينة (إندجان) ٣٠٠ ألف نسمة ٢٠٪ منهم غير مسلمين من روس ويهود وأرمن ممن يعملون فى المصانع التى لا يقوم المسلمون مقامهم فيها.

مسجد آق قور:

سمّي على اسم محلة من محلات مدينة اندجان اسمها (آق قور). وهو مسجد قديم صادره الحكم الشيوعي، وحوله إلى مستوصف، ثم

أعيد للمسلمين فى أوائل شهر يناير من العام الميلادي الحالي ١٩٩٠م. ولكن المسلمين تسلموه وقد عمه الخراب ويحتاج إلى إصلاح وتوسعة، فأخذوا يجمعون التبرعات لذلك حتى اجتمع لديهم مبلغ طيب من المال، حدثنا الأخ متولي المسجد (عبد المطلب ملا تاش باي). أنهم جمعوا (٢٠٠) ألف روبل تبرعات من أفراد المسلمين وأن المشروع الذي بدأوه الآن يتضمن بناء المسجد وبناء مدرسة إسلامية من طابقين لأن عدد الطلاب الذين يدرسون الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن الكريم يبلغ (١٥٠) طالبًا. ومع ذلك ذكر المتولي أنهم لم يطلبوا المساعدة من أحد حتى الآن، وإنما كان المسلمون الذين يعلمون بالحاجة إلى التبرع لبناء المسجد فيحضرون ما يستطيعونه من النقود.

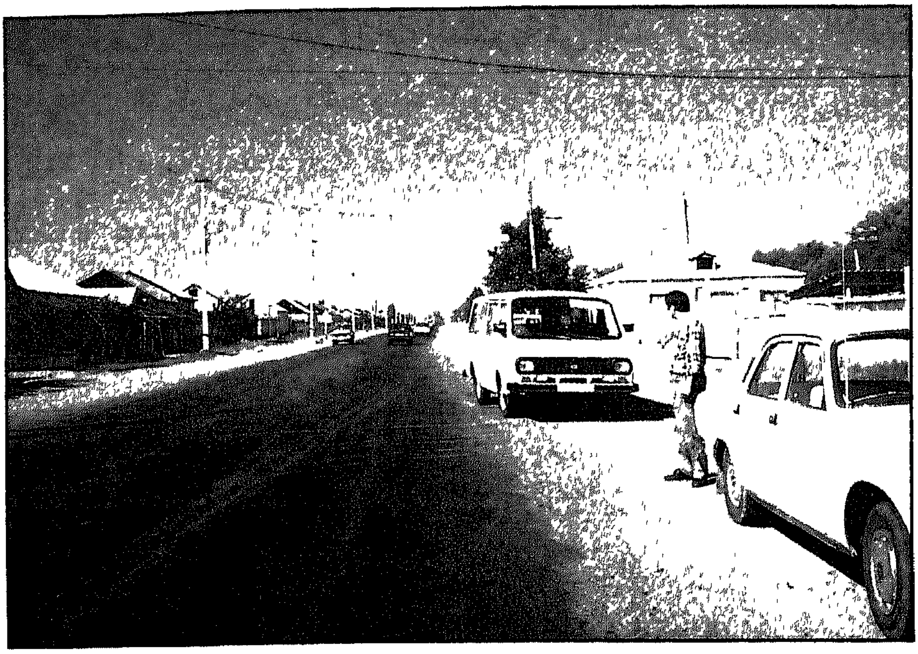


وفد الرابطة مع جماعةمسجد آق قور عند المسجد

وقد قدمنا لهم تبرعاً من رابطة العالم الإسلامي قدره ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار أمريكي، وأخبرناهم أنهم إذا صرفوا كل ما جمعوه وقد بقيت حاجة للتبرعات أن يكتبوا إلينا في الرابطة في مكة المكرمة بوساطة الشيخ المفتي محمد صادق محمد يوسف الذي كان قد رافقنا فى زياراتنا هذه لوادي فرغانة كما كان قد رافقنا فى جميع الجولة هذه في آسيا الوسطى.

وودعنا هؤلاء الإخوة الصالحين وشكرناهم على جهودهم المباركة فى اعمار بيت من بيوت الله فى هذه البلاد التي شهدت طغيان الالحاد، ومحاربة الدين الإسلامي حتى فى نفوس العباد، ومع المسجد بنوا مدرسة إسلامية لكي ترفد المسجد وتكون مكملة له .

واخترقنا بموكبنا مدينة اندجان مع أحياء من أحيائها الشعبية ذات البيوت الطينية المبنية من الطين الخالص. ما عدا الأبنية الحكومية والأبنية الواقعة على الشوارع الرئيسية التى هى مملوكة للحكومة أيضاً فإنها مبنية من الآجر أو الإسمنت المسلح.



ولاحظنا كثرة السيارات فى المدينة فعلل الإخوة المرافقون ذلك بأن المدينة هي أكثر بلدان الوادي كثافة فى السكان وقال بعضهم: إنها أيضاً أكثر كثافة فى السكان من كثير من المدن خارج الوادي في جمهورية أوزبكستان. وكذلك نوهوا بشئ عجيب وهو أن نسبة التوالد فى اندجان عالية والأولاد كثير مع أنه لا يجوز أن يتزوج الرجل إلا بزوجة واحدة. ولكن كثيرات من الأمهات هنا حصلن على لقب بطلات الإتحاد السوفيتي.

وبطلة الإتحاد السوفيتي هي المرأة التي تنجب عشرة أولاد فأكثر.

ومعلوم أن المسلمين في الإتحاد السوفيتي يتزايدون أكثر من غيرهم وبخاصة من الروس حوالي ٤ مرات. وهذا أمر صار معروفاً ونشر فى

أكثر أنحاء العالم. واللافتات المكتوبة في الشوارع وعلى الأبنية والمحلات التجارية هي بالحروف الروسية، وبعضها بحروف روسية، باللغة الروسية وبعضها باللغة الأوزبكية ولكن بحروف روسية، وقد قدمنا أن جمهورية أوزبكستان قد قررت إلغاء الحروف الروسية.

ومن الطريف فى الأمر أن بعض المسنات من النساء كن يلبسن (شيلاناً) جمع شال وهو غطاء الرأس من الصوف كالمنديل إلا أنه أكبر وأوسع، وأقرب شبه إلى ما يلبسنه فوق رؤسهن هو (الغتر) التي نلبسها نحن العرب الآن على رؤسنا. وسلكنا شارعاً عريضاً مهما ذكروا أنه مسمى باسم أحد القادة من الروس وأنهم يحاولون الآن أن يغيروا اسمه إلى اسم (بابر) مؤسس الدولة المغولية في الهند، الذي كان من أهل هذه المنطقة ومن مدينة قريبة من اندجان وسبق ذكرها قبل قليل. وقد امتد هذا الشارع الواسع حتى وصل إلى منطقة ريفية وهي ضاحية من ضواحي المدينة في بعضها مزارع قد اديرت عليها أسوار من الطين الرث الذي لونه كلون الرماد، وبعض الأبنية الحكومية الجيدة غير الطينية.

ومررنا بسوق صغير فى إحدى الضواحي ذكروا أنه يسمى سوق الجمعة، وفى هذا السوق طوائف من النساء المسنات سترن رؤسهن بأغطية كبيرة سابغة ونساء شابات قد تركن رؤسهن عارية حتى ليس عليها مناديل.

النهر الأسود:

خرجنا من المدينة فمررنا فوق نهر (قرا داريا) ومعناها: النهر الأسود لأن (قرا) أسود بالتركية، وداريا: نهر، وهو أحد أصلي نهر سيحون الذي يسمونه (سر داريا) والأصل الثاني له هو نهر (نارن).

ونهر (قرا داريا) يشبه فى الحجم حجم فرع النيل الصغير الذي يمر بمصر القديمة. وقد أصبحت الحقول الزراعية أكثر شمولاً وفيها حقول ذرة إلى جانب أشجار الفاكهة الكثيرة التي عجبتِ لها كيف تجد مشترين فى هذه المنطقة فعرفت أنهم يرسلون الفاكهة إلى المناطق الباردة من الإتحاد السوفيتي التى لا توجد فيها مثل هذه الفواكه.

وتكرر عجبي من وجود هذه الثروة العظيمة من المياه وشمول الخضرة ونضارة المزروعات والمغروسات فى وادٍ تحيط به هضاب جرد تكاد تكون عارية من النبات، وكان ما عرفته أن الخصب في الوادي هو بسبب مرور المياه به التي تأتي من أماكن بعيدة تحملها الأنهار والقنوات كما تقدم.

ورأيت بيوتاً من الطين تبنى الآن فرأيت اللبن من الطين غير المفخور صغيراً بالنسبة إلى لبن الطين الذي كنا نبني بها بيوتنا الطينية قبل التطور الاقتصادي الأخير في بلادنا.

ولكنني رأيتهم يضعون بين هذا اللبن من الطين عيداناً واقفة أشبه بأغصان الأشجار الدقيقة لكي تجعله يتماسك، ولم نكن نفعل ذلك. وبعض البيوت يطلونها بطين جيد فوق اللبن مثلما كنا نفعل بالضبط.

وقد كثرت أشجار التوت التي نراها ونحن نسير مع الطريق في أماكن متعددة وغالبًا ما تكون فى حواشي المزروعات وليس فى وسطها.

وتجاوزنا قناة (فرغانة) فذكروا أن عرضها ١٥ مترًا وقال بعضهم أنها مأخوذة في الأصل من النهر الأسود (قرا داريا) وإن كان آخرون قالوا: أنها من نهر (نارن) وكل النهرين يؤلفان أصل نهر سيحون (سراداريا) حين يجتمعان فيؤلفان النهر الكبير، وليس على ضفاف قناة فرغانة أي شئ من المزروعات.

وقد تذكرت قول ياقوت الحموي رحمه الله عندما رأيت كثرة أشجار الفاكهة وتنوعها ونموها في هذه البلاد الذي سبق أن نقلته من كثرة الفواكه في وادي فرغانة حتى إن بعضها لا يمنع عنها من يريدها بدون ثمن.

قرية جوزاق:

وقفنا من قرية (جوزاق) في منطقة (تشوامه) حيث يبنى مسجد عمر ابن الخطاب وكان منظر أهله مؤثرًا إذْ رأينا عددًا كبيرًا من الشيوخ المسنين قد شدوا أحزمتهم على أوساطهم، وهم يعملون على كبر أسنانهم في المسجد بأنفسهم، فيحملون اللبن والإسمنت بأيديهم وقد جلل الغبار الناشئ عن ذلك، وعن غبار الأرض لحاهم التى كانت كلها طويلة أو معفاة ولو كانت قصيرة.

وعندما سلمنا عليهم أخذوا يبكون من شدة التأثر فزاد المنظر تأثرًا من

إخلاصهم في العمل في المسجد ومن بكائهم عند رؤيتهم إخوانهم القادمين من جوار بيت الله الحرام.

ولا أظن أن الزمن – ولو طال – يمكنه أن يمحى من ذاكرتي هذا المنظر العجيب بل المهيب الذي يدل على عظمة هذا الدين وهو أن هؤلاء الإخوة المسنين نشأوا بل قضوا حيواتهم كلها تحت حكم الشيوعية الملحد المتعصب للإلحاد، المحارب بطبيعته للدين الإسلامي الحنيف، ومع ذلك لم تستطع الشيوعية بسلطتها وجبروتها وهيمنتها على كل شئ فى البلاد واحتكارها للتربية والتعليم وللدعاية والإعلام وتحريمها تعلم أي شئ من الإسلام بل حتى ذكره فى غير المسجد مع إن المساجد التى أبقوها في أيدي المسلمين هي قليلة العدد، مراقبة من الشرطة بحيث يتعرض من يدخلها للمضايقات، وإذا كان موظفاً في الحزب الشيوعي أو الإدارة الحكومية فإن مصيره كان الفصل والطرد.

وظل الإسلام قوياً في النفوس، متمكناً من القلوب، حتى إذا خف الضغط، وانحسر التعصب ظهر على حقيقته التى ظن الملحدون أنهم قد طمسوها فإذا به النور الوضاء الذي يعمر القلوب، وينير البصائر ويسارع الصغار والكبار للعودة إليه والإعتراف من معينه.

ولقد بكيت من التأثر لهذا المنظر وكان إخواني أعضاء الوفد المرافق متأثرين مثلي أيضاً.



مع الشيوخ الذين يعمرون المسجد في قرية جوزاق

ومن الطريف فى منظر بعضهم أن عليهم الثياب السميكة والأحذية الجلدية ذات الرقاب المرتفعة التى تكاد تصل إلى الركبة. وبعضهم علق فى وسطه خنجرًا مستقيماً لا أدرى لم يحمله، إلا إذا كان ذلك من أجل العمل فى المسجد عملاً لم نعرفه.

وجدنا على رأس العاملين المتحمسين متولي المسجد الأخ عبد الله جان بن أصغر والأخ الشيخ (ترسوني قادر قل) إمام المسجد وأخبرونا أنهم جمعوا من المسلمين ١٦ ألف روبل وأعطتهم الإدارة الدينية لآسيا الوسطى وقازاقستان ١٥ ألف روبل. فرفعوا بناء المسجد بالآجر الأصفر حتى وصل إلى قرب السقف وذكروا لنا أن كل هذا البناء قد تم في أربعين يومًا.

وقد ألقيت فيهم كلمة شكرتهم فيها على جهودهم العظيمة هذه وبشرتهم بالثواب الجزيل من الله إن شاء الله وقلت لهم: إن الجزاء العاجل لكم أن رأينا ونحن إخوانكم في الله هذه الجهود العظيمة التي سنحدث بها إخوانكم المسلمين فى أنحاء العالم وسوف ندعو لكم عند الكعبة المشرفة في المسجد الحرام.

ثم أعلنت لهم التبرع بثلاثة آلاف دولار فجاء المسئول عن العمال وهمس فى أذن المفتي الشيخ محمد صادق بشئ أخبرني الشيخ به علناً وهو أنه يقول أنهم مطالبون للعمال بمبالغ من المال ويحتاجون إلى شراء مواد فسألته عن جميع ذلك فذكر أنه خمسة عشر ألف روبل، فقلت إذاً نرفع تبرع الرابطة لمسجدكم إلى أربعة آلاف دولار وذلك يساوى بالصرف التشجيعى خمسة وعشرين ألف روبل.

النهر المجنون :

واصل الموكب سيره فوصلنا إلى مكان إسمه (تين تاك ساي) ومعناها: النهر المجنون وذكروا أن سبب التسمية أن النهر غير مجراه عند هذا المكان لسبب من الأسباب التي قد يكون منها حدوث فيضان فيه جعل مياهه تنحرف عن المجرى المعتاد لأنه لم يعد يتسع لها في الفيضان، وذكروا أن مياه النهر في الوقت الحاضر لا تعتبر كثيرة وإنما موسم الفيضان يكون فى فصل الربيع.

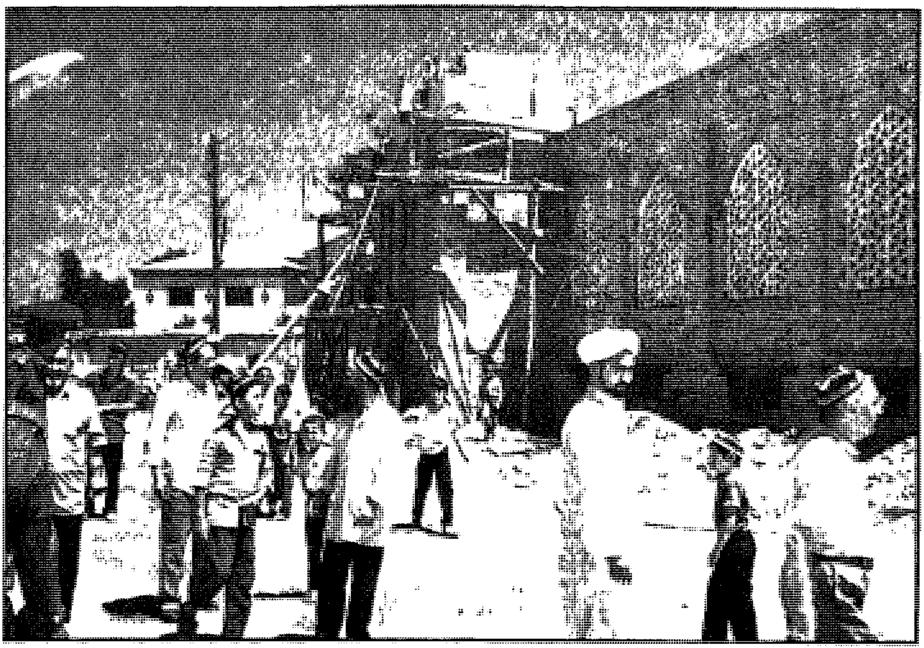
بلدة القطن:

وصلنا إلى بلدة (بخته آباد) بمعنى بلدة القطن فبخته بلغتهم : القطن، وآباد : بلدة وسميت بهذا الاسم لأن القطن يزرع فيها بكثرة فيزدهر

وينتج انتاجاً كثيراً. وأكثر ما يميزها عند الوصول أن في شوارعها أشجاراً كبيرة من أشجار الظل.

وقفنا عند مسجد اسمه (مسجد عثمان بن عفان) وكان اسمه قبل ذلك مسجد يعقوب كلخوز إضافة إلى كلخوز وهو المزرعة الباقية يسمى (كلخوز يعقوب). وقد بنوا مسجداً مؤقتاً ومدرسة إسلامية مؤقتة كلاهما من الخشب ومكتوباً على المسجد بالعربية (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)و(ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدال).

وجدنا متولى المسجد فى الانتظار وهو الأخ (خوزه باي بن أركش باي) وإمامه (فتح الله خان بن حبيب الله) وذكرا مع الإخوة المسلمين فيه أن الحكومة المحلية منحتهم هذه الأرض التى سعتها هكتار ونصف وكانت كراجاً للسيارات وبنوا المصلى بسعة ٤٨ متراً في ٤٨ متراً. وأن المسجد جديد كله، وقد ارتفع البناء الآن حتى مستوى السقف فى أكثر البناء، وأخبرونا أن المسجد ستكون له منارتان ترتفعان ٣٦ متراً.



مسجد عثمان بن عفان في قرية بخته آباد

ويبنون أيضاً مدرسة بجانب المسجد الذي نوهوا بأنه سيكون جامعاً أي مسجداً تصلى فيه صلاة الجمعة.

وعلى ذكر الجامع سألناهم عن الجوامع هنا فأجابوا بأن في ولاية (اندجان) التى نحن فيها الآن (٥١) مسجداً جامعاً وأما المساجد الصغيرة التي تصلي فيها الصلوات الخمس فإنها كثيرة. وإن أئمة المساجد لهم رواتب من الإدارة الدينية، أو من أهل الحي الذي يقع فيه المسجد.

قرية باي توغ:

ودعنا الإخوة الكرام في (بخته آباد) بعد أن أعلنا لهم تقديم أربعة

آلاف دولار من رابطة العالم الإسلامي إسهاماً منها في بناء هذا المسجد. وانطلقنا مع الطريق المعتاد وسط أشجار نضرة تحف بها أشجار التوت الغليظ السوق- جمع ساق- القصير القوام ، فقد رأيتهم يقطعون رؤس أشجار التوت فى الأكثر، وتحت التوت فى الارتفاع القطن على جانبي الطريق، أو حقول القمح الحصيد. وقد أخبرونا أن هذه المزارع مملوكة للدولة حتى أشجار التوت التي تقع على جوانب الطرق.

وعندما رأيت هذه الخيرات من المزروعات المزدهرة والأنهار المتدفقة، والمياه السارحة، وتصورت بلادنا صحراء العرب الجرداء التي كان يأتي على أهلها زمان يأكلون فيه القد كما قال الراعي النميري:

إلى ضوء نار يشتوى القدَّ أهلها
وقد يكرم الأضياف والقد يشتوى

والقد: إن لم تكن تعرفه هوالجلد غير المدبوغ.

ذكرني هنا أبياتاً لأبي ذبابة السعدي من الصحابة أنشدها الجاحظ والشاعر من بني سعد من تميم قال:

لكسرى كان أعقل من تميم
ليالي فرَّ من أرض الضبّاب

فاسكن قومه ببلاد ريف
وجنات وأنهار عذاب

فـــــــــــــلا رحــم الإلـــه صــــــــــــدى تمــيـم
فـــــــــــــقـــــــــــــد أزرى بـنـــا فــى كـل بــاب

والضباب: جمع ضب. وصدى تميم : روحه.

أما الأناسي هنـا فإن أكثـر ما يشد الانـتباه الفلاحات اللاتي لا يبـعد لباسـهن كثيراً عن لبـاس المدينة. وعليهن قمص الحرير التى مـر ذكرها وتحت القمـيص سروال طويل وغالباً ما يكون فـوق الرأس منديل، وأما الحجاب بالمعنى الذي نعرفه فإنهن لا يعرفنه.

وأما الحيوان فإنه البقر، ولكن لا يرى بكثرة من الطريق، وقد أخبرونا أن الأبقار وأكثر الرعاة يذهبون فى هذا الفصل الصيفي إلى الجبال لأنه يكون فيـها مـرعى بخلاف الشـتاء فإنـها تكون في الوادي وإذا اسـتحكم البرد أبقيت في الحواضر، ووصلنا قرية (باي توغ).

مسجد ذو النورين :

وقف الموكب عند مـسـجـد فى قـرية باي توغ يسـمى (مــسـجـد ذي النورين) وذو النورين هو الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فكان أول مـا اسـتـرعى انتـباهنا أن رأينا شـيـوخـاً مسنـين قد شـدوا الأحزمـة وصعدوا إلى جدر المسجد وسطحه، ومعهم طائفة من الفتيان والصبيان وكلهم متـبرع بجـهده فى العمل بالمسجد فـتراهم يتناولون اللبن وأوعـية الاسمـنت والحصـا يتناوله الواحد منهم من الآخـر فيـرفعـه هذا إلى من يكون فـوقـه في تعـاون متـناسق عجـيب، وأن المرء ليـغلبـه التـأثر لهـذا المنظر.

جلسنا فى مظلة من الحديد بجانب المسجد يصلون فيها إلى أن ينتهي العمل في المسجد وقد بنوه بالآجر القوي. فحضر الجميع من المسنين العاملين المتبرعين وأكثرهم إلى ضعف الشيخوخة فيه ضعف الجسم، وهذه صفة شائعة فيهم، ولكن نور الإيمان، وصدق العقيدة هى التى هونت عليهم الشاق من العمل في المسجد.

عزموا علينا بالجلوس للطعام فقلنا لهم نشرب الشاي ونحن وقوف وهكذا كان.

قال متولى المسجد الأخ (مختار بارتي باي) أن الأرض التي فيها المسجد سعتها أربعة هكتارات، وقد منحت لهم من الحكومة وأن المصلى هو ١٩ متر فى ٥٠. وقد أخبرونا عن إقبال المسلمين على التبرع للمسجد وعلى العمل بأنفسهم حتى أن الشيوخ المسنين كانوا أسرع إلى العمل فيه من غيرهم، وضربوا مثلاً بشيخ مسن قد حنى الدهرظهره كان مقبلاً فقالوا: ها هو (ملا أحمد بوي) عمره تسعون سنة يأتى ليساعد بقدر طاقته على بناء المسجد، وقد أخذ على نفسه أن يطعم كل من يعمل فى المسجد حتى المتطوعين، فاسرعت استقبله واحتضنه وأبشره بالثواب الجزيل من الله سبحانه وتعالى . فأجهش بالبكاء وقال الحمد لله الذي أراني هذا اليوم الذي يقام فيه المسجد. والحمد لله الذي جمعني بمن جاء من جوار الكعبة المشرفة ومن جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسألته عن أولاده ، وكان فى سمعه ثقل فقال: لي خمسة من الأولاد كلهم بخير وقد أغناهم الله، ومعلوم أن

الغنى فى البلدان الشيوعية نسبي لأن الغنى عندهم بمعنى الثروة عندنا غير موجود.

وقد حضر إمام المَسجد الشيخ (إبراهيم خان إنابة الدين). وقرأ صبي فى السادسة من صبية كانوا موجودين سورة من قصار السور فأحسن القراءة. وقد حدثونا عن بلدتهم بأن سكانها ٢٣ ألف نسمة. وأن الصبيان والفتيان يساعدون فى بناء المسجد لأن الوقت الآن هو وقت العطلة الصيفية.وأعلنا لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي لمسجدهم بأربعة آلاف دولار أمريكي.

إلى مدينة نمنكان:

وتبعد عن مدينة اندجان (٩٢) كيلو مترًا فاتجهنا جهة الشمال الغربي لأن نمنكان تقع إلى الشمال من مدينة (فرغانة). فمررنا ببلدة (كوماكي) وهي تابعة لولاية (اندجان) على مدخلها عوارض اسمنتية تعوق السيارات التى تسلك الطريق من الإسراع فى السير. وذلك من أجل الأمن بعد الاضطرابات في وادي فرغانة التي سبق ذكرها، وذكر المرافقون أن ذلك بسبب كون المشاغبين يهاجمون بالسيارات.

وامتد الريف النضر من الطريق الازفلتي الجيد الذي لا عيب فيه الا ضيقه وكون أكتافه أي جوانبه ترابية يطير غبارها.



المؤلف في ريف إندجان

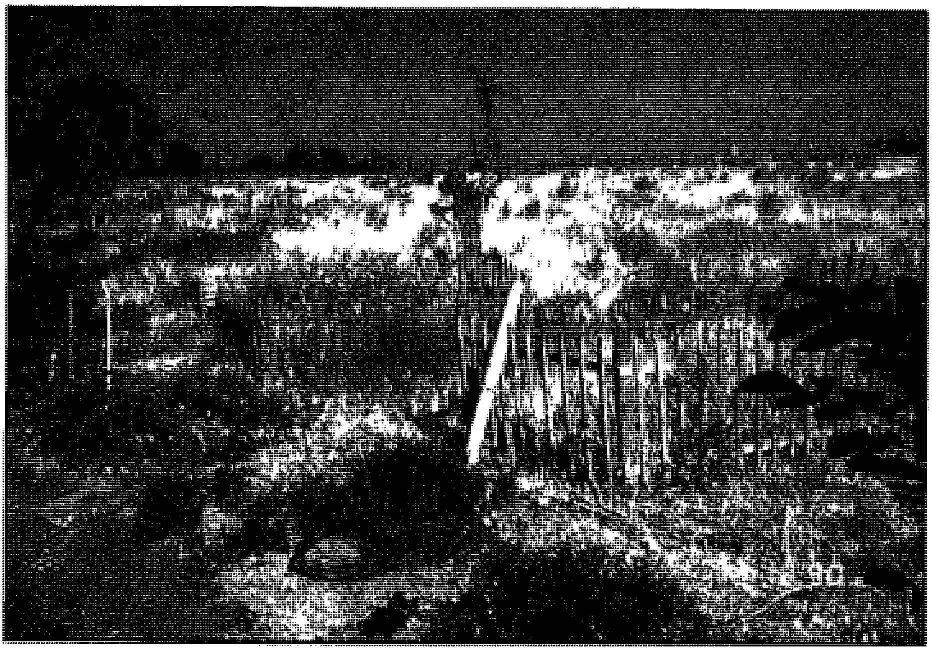
ثم مر الطريق فوق جسر على نهر صغير نسبياً يقع قرب قرية (التين كول) ومعناها البحيرة الذهبية. ذكروا أنها ليست كبيرة وأنها طبيعية موجودة منذ عهد بعيد.

وعادت حقول القطن النضرة تساير الطريق وذكروا أيضاً هنا ما ذكروه سابقاً من كون هذه الحقول مملوكة للدولة.

وكان من المناظر أيضاً في الطريق مزارع فاكهة ومياه سارحة وسرح بقر وهو القطيع من البقر الذاهب إلى المرعى وهو بقر أصفر حسن المنظر إلا أنه كان يتبختر على الطريق ومعه ثلاثة صبيان اثنان منهم قد تجردا من الثياب إلا سراويل قصيرة تستر العورة فهم أيضاً

صفر صنفرة ندية أقرب إلى الصفرة الذهبية، وكأنما شعروا بأن الحر يشفع لهم بذلك.

ومقبرة فى مكان مرتفع ترتفع القبور فيها بمقدار الشبر. وهو الارتفاع الشرعي، إلا أنهم يضعون حول القبور كالأقفاص من شبك الحديد يكون على مجموعات منها صيانة لها من الوطأ بالأقدام، ومن أن تغشاها البهائم.



مقابر المسلمين في ضواحي إندجان

وما رأيت فى هذا الريف مساحة متر واحد بدون زرع مزدهر أو شجر نضر، وأغلب الأشجار هنا مثمرة حتى أشجار الطريق فيها عدد من أشجار الفاكهة المثمرة.

بلدة تشن آباد:

داهمنا الوقت ونحن فى طريقنا إلى نمنكان نريد أن نصلى الجمعة في أحد مساجدها لذلك مررنا ببلدة (تشن آباد) ولم نقف فيها وإنما لاحظنا ونحن سائرون أن أكثر الشيوخ المسنين فيها قد ربطوا أوساطهم بالأحزمة على حين أن شبانهم لا يفعلون ذلك. وكذلك يلبس كبار السن خفافًا وهي الأحذية من الجلد وتكون لها رقاب عالية من الجلد ترتفع إلى ما يقرب من الركبة رغم كون الفصل فصل الحر.

ثم مررنا ببلدة أخرى اسمها (بالقي تشي) ومعناها السمكية – نسبة إلى السمك – وقريبًا منها قطعنا نهر (ناران) أحد أصلي نهر سيحون (سرداريا). ونهر (ناران) هو الحد الذي يفصل بين ولايتي (اندجان) و(نمنكان) وقد طلبت منهم أن يقف الموكب قليلاً حتى نشاهد النهر ونلتقط صورة تذكارية فوق الجسر الذي يعلوه. فكان ذلك وهو نهر كبير لا يبعد كثيرًا عن الفرع الكبير لنهر النيل عند الروضة في القاهرة.



أحد أنهار فرغانة

الحدود بين اندجان ونمنكان:

عند الحدود الإدارية ما بين ولايتي (اندجان) و(نمنكان) وقف ضابط الأمن الذي كان في سيارة الشرطة التي ترافقنا يتقدم موكب سياراتنا. وجاء إلينا مودعاً وهوضابط مسلم، فقال الإخوة المرافقون: إنه من شرطة فرغانة وسوف يعود من هنا إليها وسوف تبعث الشرطة فى (نمنكان) سيارة من شرطة نمنكان نفسها فيها ضابط ومرافق، وذلك لكون مسئولية المحافظة على الأمن لكم أصبحت من هذه النقطة على عاتق شرطة (نمنكان).

وكان وقوفنا عند مركز صغير للشرطة على حدود الولايتين، وقد وضعوا بين حدود الولايتين عوارض إسمنتية أيضاً .



الحدود بين ولايتي انديجان ونمنكان

دخلنا ولاية (نمنكان) او منطقة نمنكان لا أدري الترجمة الحقيقية ولكن الإخوة المرافقين ترجموها إلى (ولاية) ولا شك أن المصطلحات تتغير فمثلاً فى الصين الشعبية يسمون الوحدات الإدارية الكبيرة في البلاد (مقاطعات) مع أنها أشبه بالولايات لأن لها حكومات محلية قوية في الشئون الداخلية مع أن هذه المقاطعات يصل سكان بعضها إلى عشرين وثلاثين مليوناً.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تسمى مثل هذه الوحدات (ولايات) ومنه اشتق اسمها. على حين أن المقاطعات عندنا أقل صلاحية من ذلك

وكان بعضها يسمى (مقاطعة) ثم عدنا بعد ذلك إلى تسميتها بالمناطق ، ولا نزال نسميها بذلك.

نهر سيحون:

نوهت باسم نهري سيحون وجيحون لما في ذهني عنهما من معلومات واردة في كتب الحديث والبلدانيات.

لذلك عندما قال القوم : إننا سنمر بالقرب من المنطقة التي يولد فيها نهر سيحون تطلعت إلى ذلك فلم أر نهر (سيحون) وإنما رأيت نهر (قرا داريا) ومعناه: النهر الأسود.

وما يزال هذا النهر الأسود يقترب من شقيقه نهر(ناران) حتى يمتزجا ومن ثم يصحبان نهر (سرداريا)، الذي كان يعرف في كتب أسلافنا العرب بنهر سيحون.

أما مثقفونا وهم مقلدون تقليداً أعمى لغيرهم فإنهم صاروا لا يعرفون الاسم التاريخي الجغرافي في كتب أسلافنا وهو اسم (سيحون) لأن القدماء منا الذين ذكروا هذا النهر ذكروه ذكر عارف مشاهد بل إن عدداً من العلماء المصنفين كانوا من سكنة المناطق التي تطل على ضفافه أو ترتوي من مياهه فلم يكونوا مقلدين وإنما كان عارفين بالمشاهدة.

قلت: ان نهر(سيحون) يعرف في الوقت الحاضر باسم (سرداريا) وهذه كلمة تركية قديمة معناها النهر السِّرِّي: ضد الجهري.

وأهم ما يميز الطريق هنا الآن الأشجار العالية من أشجار الغابات التي ترتفع علي جانبيه وقد غرست لهذا الغرض منذ عهد طويل حتى

صارت الآن بهذه المثابة من الضخامة والارتفاع، ويليها من الداخل أي الخارج عن الطريق أشجار التوت المقصوص وهو الضخم السوق - جمع ساق - غير العالي لكونهم يقطعون أعاليه فلا يتركونه يرتفع كثيرًا.



في الطريق إلى نمنكان

ولاحظت في ولاية (نمنكان) هذه ما لاحظته في خوارزم ولم أسجله هناك وهو أنابيب الغاز الضخمة التي تدخل إلى المدن وهى مرفوعة فوق الترع وبجانب الجسور بحيث لا يدفنونها تحت الماء وإنما يرفعونها عنها بدعائم قوية فتكون ظاهرة ترى وهى أنابيب إسمنتية.

ووقفنا عند حقل مزدهر من حقول القطن الصغيرفوجدناهم

يزرعونها في خطوط مستقيمة متقاربة، كما تزرع الخضروات كالباميا او الباذنجان.

ولم يقف تفكيري عنده وإنما تجاوزه إلى العجب من كون الإتحاد السوفيتي يحتاج إلى استيراد القمح من الخارج بمقادير كبيرة وعنده مثل هذه الأراضي الخصبة مع العلم بأن (وادي فرغانة) كله لا يعد شيئًا يذكر بجانب المساحات الواسعة بل الهائلة الاتساع في الاتحاد السوفيتي التي تصلح لزراعة القمح.

مدينة نمنكان:

دخلنا إلى مدينة (نمنكان) مع شارع واسع مزدوج بين جزئيه الذاهب والآيب جزيرة خضراء فيها بعض الزهور.

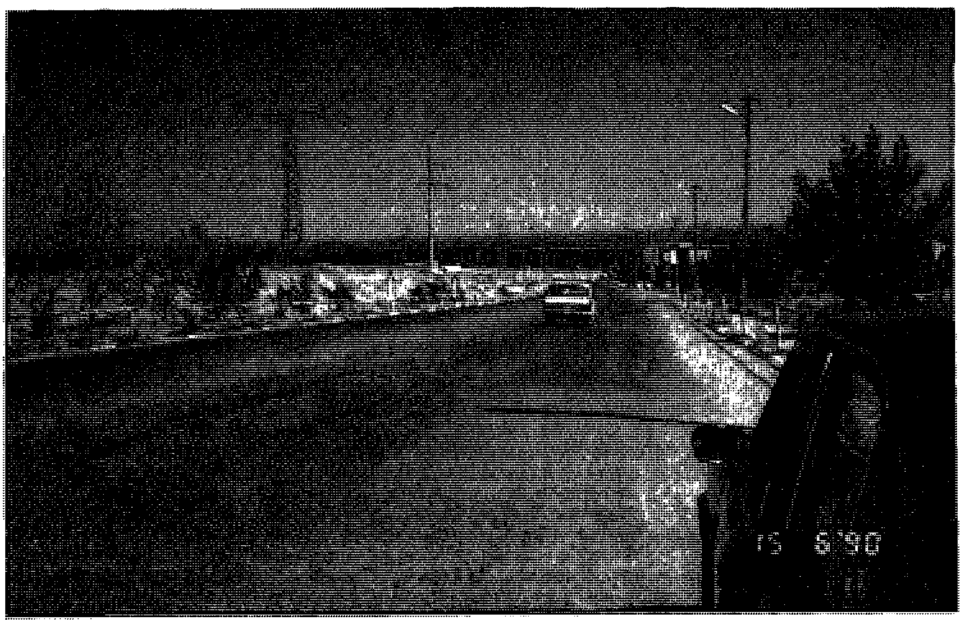
ولأول مرة في هذه السفرة نرى رسمًا لشوكة وسكين على أحد المحلات الواقعة على هذا الشارع العريض وهي تشير - كما هو معروف- إلى وجود مطعم.

ويدل هذا على أن هذا المطعم لجمعية تعاونية أو لأشخاص استأجروه من الدولة لكي يكسبوا منه، لأن المعتاد أن المطاعم فى الإتحاد السوفيتي تكون مملوكة للدولة، ولا يرحب أربابها بالآكلين، لأنهم لا يكسبون منهم شيئًا، وإنما يقومون بواجبهم فى إطعامهم قيامًا فقط. وفى كثير من الأحيان لا يفعلون ذلك بحجة أن المطعم بإمكاناته من العمال لا يستطيع تلبية كل طلبات الذين يقصدونه للأكل.

ولم يستمر سير الموكب مع هذا الشارع الواسع إلى قلب المدينة وإنما أخذ ذات اليمين مع طريق أزفلتي عليه أبنية حكومية ضخمة (عماير)

ذات طوابق متعددة من تلك التى بنتها الدولة لإسكان المواطنين فتؤجرها عليهم بأجور زهيدة. ويصبح مستأجر الشقة كأنه مالك لها لأنه لا أحد يخرجه منها ولا أحد يزيد أجرتها عليه إلا في إطار عام في زيادة الإيجارات على الجميع.

ثم سلكنا طريقاً يسمونه الدائرى لنمنكان وهو أقل سعة من مدخل المدينة، فتجنبنا وسط المدينة، وسرنا مع هذا الطريق الذي ارتفع في شفير هذا الوادي الكبير الخصب وادي فرغانة. وكأنما يريد الصعود إلى التلال العالية وعلى يمينه وادٍ عميق ضيق ربما كان يأتى من الجبال فينتهي في وادي فرغانة، أما التلال التي ترتفع في بعض الأحيان إلى أن تصبح جبالاً فهي كما نراها الآن تلال جرداء كأنما لا تمت إلى وادي فرغانة الخصيب بسبب.



في القسم العالي المحيط بوادي فرغانة

ثم امـتـد بـنـا الطريق إلى خـارج المدينـة كلياً حـيث سـرنا فى مـنطقـة مرتفعة عن الوادي فى أجـزاء منها بيوت صغيرة غير متـصلة معظمها من طابق واحد وهي في حي جديد من أحياء مدينة نمنكان.

ومـا شـبـهت أرض هذا الحى إلا بأرض المنـاطق الصـحـراوية على حين أن وادي فرغانة الذي يقع على شفيره لا يبعد عنه إلا بكيلو متر أو نحو ذلك. وهذا كله لما سبق أن ذكرته أكثر من مرة من أن وادي فرغانة اكـتسب خـصوبتـه وازدهاره من مـرور الأنهار به. ومن سـحب قنوات منهـا إلى أرجـائـه، وليس من كـثـرة أمطاره، أو من خـضــرة منطقـتـه خضرة طبيعية.

جامع الإمام أبي حنيفة:

في الساعة الثانية ظهراً كنا نصل إلى جامع الإمام أبى حنيفة في حي (نور آباد) وهو ضاحية من ضواحي (نمنكان) خارجا عنها.

وقد أخبرني المفتي الشيخ محمد صادق والمرافقون أننا لم ندخل داخل (نمنكان) لأننا لو دخلنا لما استطعنا الخروج بسبب كـثرة المصلين الذين سيزدحمون علينا ويسلمـون فلا نستطيع أن ننتهي من ذلك إلا بعد وقت قد تفوتنا فيه طائرتنا إلى طشقند.

وجـدنا القــوم فى اجـتمـاع فـى جامــع الإمـام أبي حنيـفـة لصـلاة الجـمـعـة فى الطابق المحـفـور في الأرض وذلك أنهم لا يزالـون يبنون المسجد ولم ينتهوا إلا من هذا الطابق الأرضي الذي يساوي سقفه سطح الأرض.



صبيان في جامع أبي حنيفة

وقد اجتمع منهم فى المسجد للصلاة خلق عظيم. والشئ المفرح أنهم ليسوا كلهم من كبار السن، بل إن المسنين منهم لا يمثلون إلا أقل من النصف والبقية من الشبان، بل حتى من الصبيان. إذ أحضروا صبيانهم معهم للمسجد فى منظر مهيب وبخاصة إذا تذكر المرء أن هؤلاء الصبية من ناشئة المسلمين كانوا إلى وقت غير بعيد محرومين من التعليم الإسلامي جملة، بل كان تعليم الدين وتعلمه جريمة يعاقب عليها القانون إلا في داخل المسجد.

وكان من عجائب قانونهم ذلك أنه لا يجوز للمتدين أن يدعو إلى الدين أو يؤدي شرائعه إلا في داخل المعبد الذي هو المسجد بالنسبة للمسلمين على حين أن الملحد يجوز له أن يدعو إلى الإلحاد فى كل

مكان إلا داخل المعبد. فلا يجوز للمسلم مثلاً أن يصلي في مكان عام كالحديقة أو نحوها على حين أن الملحد يجوز له أن يدعو إلى الإلحاد في ذلك المكان وغيره والأخطر من ذلك أن الدعوة إلى الإلحاد كانت تتم في المعاهد والجامعات، ووسائل الإعلام والنشر كالإذاعة والتلفزة والصحافة والكتب.

وقد خطب إمام الجامع الشيخ (عبد الرؤف عبد الغفور) خطبتين كلتاهما بعربية مسجوعة غير مطولة ثم صلى فقرأ قراءة مجودة. وكان يخرج الحروف العربية من مخارجها الصحيحة.

وبعد الصلاة نهض المفتي الشيخ محمد صادق فأخبر المصلين بوجودنا ولم يكونوا بحاجة إلى ذلك لأنهم يروننا في الصف الأول خلف الإمام وعلينا الملابس العربية، ولكن كانوا بحاجة إلى تعريف قام به فعرفهم بأشخاصنا.



أثناء الاستماع إلى المؤلف في جامع أبي حنيفة . جمهور المصلين يصغى بانتباه

ثم ألقيت فيهم كلمة مرتجلة مبسوطة أبلغتهم فيها تحيات إخوانهم فى رابطة العالم الإسلامي وفى أنحاء العالم كله عن طريق الرابطة التي ترتبط بها معظم الجمعيات والمؤسسات الإسلامية فى العالم سواء أكان ذلك بوجود ممثلين لتلك الجمعيات فى مجالس الرابطة ومكاتبها أو بوجود ارتباط وتعاون ما بينها وبين الرابطة. وأبلغتهم سرورنا بما شاهدناه الآن من مساجد تقام، ومدارس إسلامية تشاد بجانب المساجد، وناشئة من ناشئة المسلمين تتدارس القرآن وتتلو كتاب الله تلاوة صحيحة. وقلت لهم: إننى عندما أقارن ذلك بما عرفته عنكم وما تعرفونه أنتم عن أنفسكم قبل ذلك من محن ومصائب ومصاعب فإننى أحمد الله تعالى وأشكره وأسأله المزيد لكم من الخير. وإننى أرجو أن تعملوا الآن على تعويض ما فات، وأن يحقق أواخركم ما حققه أوائلكم من خدمة للدين الحنيف وعمل به حتى يعاد لهذه البلاد مجدها السالف مجداً متجدداً وحتى يعرف إخوانكم المسلمون فى العالم أنكم ستكونون خلف خير لسلف خير.

لقد كان إخوتكم المسلمون فى العالم يسألوننا عنكم قائلين: ما فعل أحفاد أولئك العلماء الأمجاد الذي لا زلنا رغم بُعد البلاد نقرأ كتبهم ونستفيد من علومهم، فنقول لهم: إننا نرى الفرصة قد سنحت لهم الآن، وإنهم أهل لأن يكونوا مثل أجدادهم فى الدين والصلاح. وذكرتهم بأن الدين الإسلامي ليس دين العرب وحدهم ، وإنما هو دين الله الذي أرسل به رسوله محمداً ﷺ إلى كل الناس عربهم وعجمهم بيضهم وسودهم. ولذلك لم يرد فى القرآن مخاطبة جنس من الناس دون جنس

أو عنصر دون عنصر وإنما وجه الخطاب إلى أولي الأعمال فقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ و﴿ياأيها الذين كفروا﴾. وقال: ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾.



المصلون في جامع أبي حنيفة في نمنكان يستمعون إلى خطبة المؤلف

وضربت لهم مثلاً على ذلك بأبي جهل بن عبد المطلب وهو عم رسول الله ﷺ ومن أشرف العرب نسبا، ولم ينفعه ذلك عند الله عندما كفر بدعوة الرسول ﷺ وناصب المسلمين العداء، فأنزل الله تعالى فى ذمه سورة تتلى إلى يوم القيامة:

﴿تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ إلى آخر السورة. ولم يذكر الله سبحانه وتعالى أحدًا من الكفار الذين كانوا على

زمن الرسول ﷺ باسمه غير أبي لهب والسر في ذلك - والله أعلم- لكي يعلم الناس أن شرف النسب عند الناس لا ينفع من لم يؤمن بالله ورسوله، وأن العربي ولو كان من أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينفعه إلا إيمانه وإسلامه. وعلى عكس ذلك سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فهؤلاء من كبار الصحابة وأفاضلهم مع أنهم ليسوا من العرب وإنما نفعهم صدقهم في إيمانهم وإسلامهم. وبينت لهم الأحاديث في فضل التمسك بالدين في زمن الشدائد ومنها الحديث الذي معناه: يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر له أجر خمسين، قالوا: يا رسول الله خمسين منا أم منهم؟ قال: بل منكم.

وقلت: أرجو أن يكون للمتمسك بدينه منكم ما في هذا الحديث وهو أجر خمسين من صحابة رسول الله ﷺ فبكوا وعلا نحيبهم، وكانوا أثناء كلمتي يبكون، حتى رأيت كثيراً منهم ينتحبون في بكائهم، ويواصلون ذلك، وقد صور الرفاق بكاءهم ونحيبهم تأثراً ومحبة لله ولرسوله ﷺ. وعندما دعوت في آخر اللقاء بأنه يقدر الله تعالى الاجتماع بهم مرة ثانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة بكوا جميعاً حتى اخضلت وجناتهم بالدموع، وقلت في نفسي: أيوم كيوم كاشغر؟

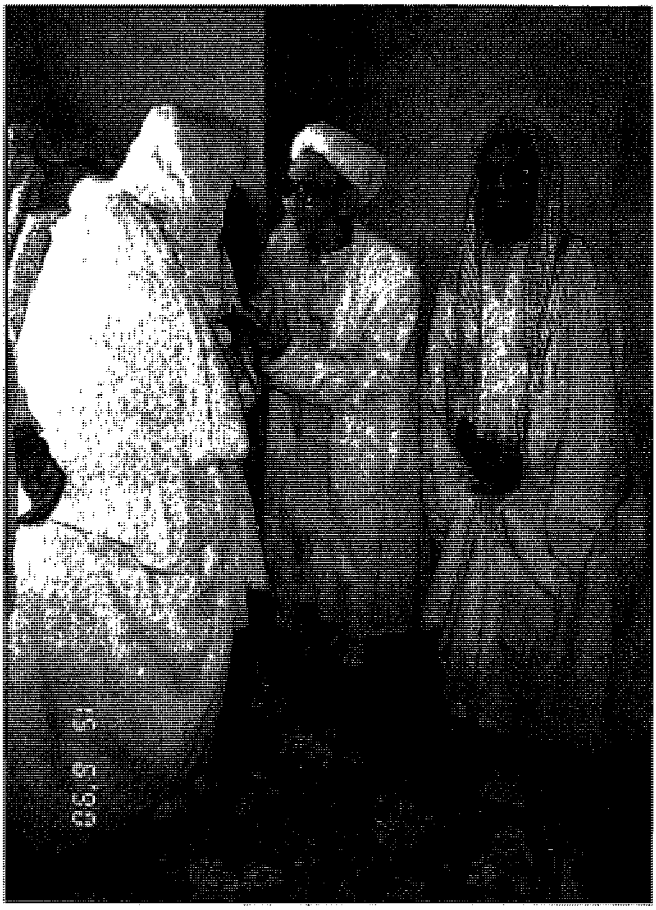
إذْ ذكرني بكاؤهم عند سماع هذه المعاني وشوقهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم ازدحامهم علينا عندما أردنا الانصراف من المسجد بما لقيناه من مثل ذلك من إخوانهم التركستانيين الشرقيين في مدينة (كاشغر) من إقليم تركستان الشرقية الذي يسميه الصينيون الآن إقليم

(شنجاك): وكانوا يسمونه قبل ذلك (سينكيانغ). فقد زرت مدينة (كاشغر) على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي في عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. فوجدت من استقبال الإخوة المسلمين لنا في تلك المدينة ما يعجز عنه الوصف، وذكرت ما أمكنني ذكره في كتاب (في مهد الترك).

وقد أعلنت لهؤلاء الإخوة من أهل (نمنكان) في ختام كلمتي تقديم رابطة العالم الإسلامي خمسة آلاف دولار أمريكي إسهامًا في بناء هذا الجامع العظيم، ثم انتقلنا من المصلى الذي يقع تحت الأرض- كما قدمت - إلى غرفة في المسجد ولم نكن نستطيع فعل ذلك لشدة شوق إخواننا هنا للسلام والمصافحة حتى منعهم الرفاق بالقوة من ذلك.

ووجدناهم قد أعدوا في تلك الغرفة مقدمات الطعام المعتادة في تركستان إذ تقرر أن نتناول الغداء هنا، ثم كان الطعام السخي اللذيذ فكان غداء واستراحة لعدة دقائق أهدوا لنا خلالها جبابًا - جمع جبة - من الجباب الوطنية التي يتميز أهل البلاد بارتدائها، وأهدينا إلى متولي المسجد وإمامه ما كنا نهديه لأمثالهم في هذه الجولة وكنا نهدي من سجاد للصلاة أحضرناها معنا ومناظر للحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، وكذلك كنا نهدي أشرطة مسجلاً عليها المصحف الشريف مع جهاز تسجيل معها لأن هذه الأجهزة لا يتيسر لهم الحصول عليها في بلادهم.

وقد حضر شخص كــــريم من المسنين وصفوه لي بأنه شيخ قـــراء القـــرآن فى نمنكـان وأن عــمــره يبلغ (٩٠) سنة. وقـد تلطف ودس فى كـفي وهو يصافـحني ورقة نقـدية. فلـــم أستطع أن أردها، وأعطيتـهـا بعـــــد ذلك مــــع مثيلاتهـا للشيخ المفتي مـــحــمـــد صـــادق ليتصدق بها.



اللقاء الودي مع شيوخ مدينة نمنكان بجمهورية أوزبكستان

مغادرة وادي فرغانة:

فى الساعـة الثالثـة والدقيـقة الثانيـة والعشـرين كنا نصل إلى الطائرة وقد بقي على موعد مغادرتهـا ٣ دقائق وسط حشد من الإخوة المودعين الكرام من أهل نمنكان أهل الدين والإخلاص.

ومع هذه المشاعـر المعنوية الجيـاشة فإن أهل فرغانة عندمـا تجمـعوا علينا وتأملت وجـوههم شـعـرت بأن فيـهم بعض الفـروق المظهـرية عن بقية أهالي تركـستان الذين نسمـيهم فى بلادنا بالبخاريين، إذْ يتـميزون

باستطالة في الوجوه ولطف فى الأجسام، ونضارة في وجوه الشبان.

قامت الطائرة فى الرابعة إلا الربع وهي من طراز انتونوف ٢٤. وعندما أغلقوا الباب وشعرنا بالحر وقلة الهواء فى داخلها قال الرفاق ما قالوه من قبل فى مثل هذه الحالة: إن طائرات (ايروفلوت) قد صممت لتطير فى سيبيريا، فلم تعر الحرارة فى الجو أي اعتبار.

وأعلنوا أن الطيران إلى طشقند سيستغرق (٤٥) دقيقة. ، وكان إعلانهم بالازبكية دون الروسية وهذا أمر يسترعي الانتباه إذ كانت الإعلانات بالطائرات الأخرى التي ركبناها فى هذه الجولات فى آسيا الوسطى بالروسية وحدها أومعها الأوزبكية.

واتضح منظر وادي فرغانة، من هذه الجهة التي فيها (نمنكان) مثلما امتد من الجهة الأخرى التي رأيناه منها فى فرغانة وأراض في داخل الوادي فى غاية الازدهار والخصوبة لا يغيب عن البصر فيه منظر نهر يتلوى فى أحضانه وتتلألأ مياهه من الطائرة، وترصعه المدن والقرى تحيط بها هذه التلال المرتفعة الجرداء التى تزيد منظره بمنظرها العاري بهاء إلى بهاء.

وبعد الوادي الأخضر الخصيب صرنا نشاهد قمم الجبال الثلجية العاتية فى هذا الفصل الصيفى من السنة.

ثم تجاوزنا الجبال، فصرنا نطير فوق سهول تركستان الغربية التي امتدت حتى منطقة طشقند. وهى خضر متسعة، فيها القرى الكثيرة وسط الحقول والمزارع الواسعة.

العودة إلى طشقند:

وكانت عودة حميدة إلى طشقند . ولله الحمد. بعد أن انهينا هذه الجولة فى آسيا الوسطى المسلمة المسماة بالسوفيتية.

فكان مما استرعى الانتباه هذه المرة مثل النزول فيه أول مرة كثرة الطائرات في مطار طشقند. وكون الطيارين ينزلون من الطائرة قبل الركاب.

عدنا إلى فندقنا الذي كنا فيه في طشقند من قبل وهو فندق (ازبكستان). وفى السادسة عصراً عقدنا اجتماعاً رسمياً أخيراً فى مقر الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان، تباحثنا فيه نتائج زيارتنا هذه وقدمنا خلاله للإدارة الدينية مائة واثنين وثلاثين ألفاً وخمسمائة دولار لتسلمها من قبلها للمسئولين عن المساجد التى شاهدناها وتبرعنا لها. وكان هذا أخر الأعمال الرسمية فى هذه الجولة حيث بتنا فى طشقند وغادرناها في صباح الغد إلى موسكو.

وللحديث عن موسكو وما بعدها من البلدان كتاب آخر عنوانه: (الرحلة الروسية). ولله الحمد والمنَّة.

خاتمة في التوصيات والاقتراحات

بعـد أن اطلع وفـد رابطة العـالم الإسـلامي عـلى أحـوال المسلمين ونشاطهم التي برزت وظهـرت في ظل سياسة المصـارحة وإعادة البناء التى ينتهجـها الرئيس ميخـائيل جورباتشوف وتدارس معهم مـتطلباتهم وتحقق من احتياجاتهم وشاهد ظروفهم وأحوالهم يقدم توصياته الآتية:

(١) توثيق العلاقـات مع مسلمي الاتحـاد السوفيـتي من خلال الزيارات واللقاءات المتكررة وتوطيد الصلة مع الإدارات الدينيـة الإسلامية الرسمية هناك بما يعود بالنفع على المسلمين.

(٢) الاهتـمـام بالبـث الإذاعى الإسـلامي الموجـه لمسلمـى الاتحـاد السـوفـيـاتي بهـدف تعـريفـهم بحـقـائق دينهم الحنيف ومـاضيـهم الإسـلامي وأحوال إخـوتهم في العـالم الحر. ونظرًا لأن البـرنامج التـركستـاني من الإذاعة الـسعوديـة بجدة يعـتبر المـصدر الوحـيد للمـعـرفـة الديـنيـة والثـقـافـة الإسـلامـيـة التي يتلـقـاها المسلمـون التركـستانيـون في الإتحاد السوفـياتي والصين الشـعبيـة وتعميـما لفـائدة مثـل هذا البث الديني الذى ثبت جـدواه عبـر الأثيـر نوصـى بالآتي:-

(أ) وضع خطة تدريب وإعداد لـبعض الكفاءات السـعودية لإدارة هذا القسم واعداد مـواده بالمسـتوى الملائم لثقـافـة المسلمين فى الاتحاد السـوفياتى وما يتـعرضون له من تيـارات فكرية ومادية وأن يكون البث باللغـة الجغـتائـية التـركيـة عمـومًا وباللهجـات

الرئيسية مثل الاوزبكية والا ويغورية والقازاقية والتركمانية والتتارية حتى تكون الفائدة عامة.

ب- تقوية البث الإذاعى الإسلامي بإنشاء أو استئجار محطات إذاعية في الدول القريبة من مناطق التجمعات الإسلامية في الاتحاد السوفياتى مثل باكستان وتركيا أو قبرص.

جـ- تعديل فترة البث الإذاعي الحالي إلى ما بين الساعة ٥-٦ مساءً حيث أن الفرق في التوقيت بين المملكة العربية السعودية وآسيا الوسطى ثلاث ساعات مع تمديد مدة الفترة من ساعة واحدة إلى ساعتين.

د- حث دول منظمة المؤتمر الإسلامي على بث برامج إسلامية باللغة الروسية واللغات المحلية لمسلمي الاتحاد السوفياتى من إذاعاتها.. وكذلك دعوة منظمة الإذاعات الإسلامية إلى وضع خطة مشتركة في البث الإسلامي ووضع برامج ومواد إسلامية لمسلمي الاتحاد السوفياتى.

(٣) دعوة الأجهزة الإعلامية والجامعات ومراكز البحوث الإسلامية للاهتمام بقضايا المسلمين في الدول الشيوعية بالتحقيق والدراسة والتعريف وتقديم المعلومات الصحيحة التي تعكس وجهة النظر الإسلامية حتى لا تكون أجهزة الإعلام الغربية والصهيونية المعادية للإسلام هى المصدر الوحيد لها.

(٤) فتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي في موسكو مع فرع له في طشقند لملاحظة النشاط الإسلامي وتوثيق الصلة والعلاقة مع المسلمين وإدارتهم الدينية في الاتحاد السوفياتي.

(٥) دعوة عشرة من شخصيات المسلمين وزعمائهم وكتابهم في غير موسم الحج لأداء مناسك العمرة بغية اطلاعهم على ما بلغته المملكة العربية السعودية من تقدم وتطور حضاري مع تمسكها بالإسلام لرفع معنوياتهم الروحية وتأكيد ثقتهم بدينهم الحنيف.

(٦) دعم وتشجيع طبع ونشر الكتب والمواد الإسلامية التي توضح تاريخ المسلمين ومجدهم وتعرفهم بمساهمات أجدادهم في الحضارة الانسانية، لتعيد فيهم الثقة بالنفس والاعتزاز بالإسلام ويتأتى ذلك بـ:

أ- تكليف علماء مختصين بوضع دراسات وأبحاث في موضوعات معينة من تاريخ المسلمين في الاتحاد السوفياتي يعرف فيها المسلمون ماضيهم التليد وأمجادهم الخالدة.

ب- المساعدة المالية على نشر ما يتوفر من الكتب الاسلامية الجيدة ودعم المجلات المختصة ماديًا لأداء رسالتها.

(٧) إرسال الدعاة والمرشدين والأئمة لفترات قصيرة تتراوح من شهر إلى ثلاثة أشهر لزيارة المسلمين في الاتحاد السوفياتي ونشر التوعية الدينية بينهم بالاتصال والاحتكاك الشخصي.

(٨) تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين في الاتحاد السوفياتي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض حتى يتم إعداد الأئمة والدعاة المؤهلين بالفكر الإسلامي الصحيح.

(٩) تشجيع رجال الأعمال السعوديين على التجارة وإقامة مشاريع استثمارية وبنوك إسلامية في مناطق المسلمين في الاتحاد السوفياتي ليساعد ذلك على رفع مستواهم الاقتصادي.

(١٠) النشاط الثقافي يعتبر حالياً من أهم أولويات العمل الإسلامي المطلوب لمسلمي الاتحاد السوفياتي اذ يحتاج الأمر إلى استعادة ثقة المسلمين بدينهم وحضارتهم وذلك بتعريف وتقديم الإسلام وأحكامه واضحاً نقياً من افتراءات الشيوعيين والملحدين الذين عملت أجهزتهم في التشويش على تفكير المسلمين وتعكير ثقافتهم الإسلامية بهدف إبعادهم عن الدين الحنيف حتى تصفى أذهان المسلمين من الشبهات التي علقت بها ويتقوى انتماءهم الإسلامي بطرق أربع هي:

أ- إعداد مواد مقروءة ومسموعة ومرئية عن الإسلام وأحكامه وتعاليمه وعلاقته بالحياة والعلم والحضارة بأسلوب واضح بسيط يتضمن رداً ضمنياً على كل ما افتراه الأعداء ضده. وذلك باللغة الروسية واللغات المحلية التي يتحدث بها المسلمون في الاتحاد السوفياتي.

ب- اختيار بعض الكتب والدراسات والبحوث التي تتوفر حالياً عن مبادئ الإسلام وفضائله مما يتلائم مع احتياج الثقافة الدينية لمسلمي الاتحاد السوفياتي وترجمتها إلى اللغة الروسية واللغات المحلية التى يتحدث بها المسلمون في الاتحاد السوفياتي حيث لوحظ أن القاديانيين والباطنيين يعملون بقوة على تشويه صورة الإسلام.

جـ- إعادة نشر كتب التراث الإسلامي الجيد التي وضعها أسلاف المسلمين في الاتحاد السوفياتى حتى يكون فى ذلك تذكير الأبناء والأحفاد بعمل الآباء والأجداد المسلمين وإعادة صلتهم بماضيهم الثقافي الإسلامي وخاصة ما كان كتب منها باللغات المحلية لهم.

د- تزويد الجماعات والأفراد والمدارس الإسلامية بما تحتاجه من وسائل التوعية والتثقيف بالإسلام مما يعين المسلمين على تفهم دينهم وتوعيتهم بتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة بما يتناسب مع أوضاعهم الحالية واحتياجاتهم الثقافية.

(١١) إعطاء الأهمية والأولوية لدعم التعليم الإسلامي وتربية أبناء المسلمين بتقديم المساعدة المالية لإنشاء المدارس ودور تحفيظ القرآن الكريم وتزويدهم بالمدرسين والأجهزة العلمية والمواد التعليمية ومن ذلك إعانة ما يتوفر منها حالياً.

أ- الكتابة إلى البنك الإسلامي للتنمية بطلب الإسهام لإنشاء المراكز والمعاهد التالية:

- المركز الإسلامي في (اوفا) عاصمة باشقزدستان.
- المركز الإسلامي في(قازان) عاصمة تتارستان.
- المدرسة الإسلامية في (أوفا) عاصمة باشقزدستان.
- المعهد الإسلامي في (دوشنبه) عاصمة تاجيكستان.
- المعهد الإسلامي في (خيوه) عاصمة ولاية خوارزم.
- المعهد الإسلامي في (فرغانه) عاصمة ولاية فرغانه.
- المركز الإسلامي في (طشقند) عاصمة اوزبكستان.
- إقامة مساكن للطلبة وملاعب رياضية ومختبرات للمعهد الإسلامي المعروف باسم معهد الإمام البخاري في طشقند باوزبكستان.
- إقامة مساكن للطلبة وملاعب رياضية ومختبرات لغة وعلوم لمدرسة مير عرب الإسلامية في بخارى باوزبكستان لمكانتها التاريخية.

ب- المساعدة المالية على تأمين لوازم وأجهزة للمعهد الإسلامي في دوشنبه بجمهورية تاجيكستان.

جـ- تزويد المعاهد الإسلامية القائمة حاليًا بالكتب الإسلامية وأمهات المراجع والكتب الدراسية للمواد الإسلامية واللغة العربية وأشرطة تعليم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم.

د- دعم دور تحفيظ القرآن الكريم الملحقة بالمساجد بالمال

والمستلزمات والسعى لدى وزارة الحج والأوقاف لدعوة عدد من حفظة كلام الله عز وجل للمشاركة في المسابقة الدولية للقرآن الكريم التي تعقد سنوياً في مكة المكرمة.

(١٢) الالتزام بتنفيذ الاتفاقية التي سجل محضرها في مكة المكرمة بتاريخ ١٥ رجب ١٤١٠ هـ حيال توزيع المصاحف التي أهداها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله لمسلمي الاتحاد السوفياتي وهى كالآتى:

	نسخة
الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان(طشقند)	٥٠٠ ٠٠٠
الإدارة الدينية لمسلمي سيبيريا والقسم الاوروبى/ أوفا	٢٠٠ ٠٠٠
الإدارة الدينية لمسلمي ما دون القفقاس/ محج قلعة	١٥٠ ٠٠٠
الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس/ باكو	١٥٠ ٠٠٠

والتأكيد على رؤساء الإدارات الدينية الإسلامية بتوزيع المصاحف على جميع مناطق المسلمين حسب كثافتهم العددية بدون تحيز والارتفاع بمسئولياتهم الإسلامية عن الخلافات والمنازعات الشخصية.

(١٣) التنسيق والمتابعة مع الإدارات الدينية لمسلمي الاتحاد السوفياتي بخصوص الاسراع في توفير ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات الروسية والاوزبكية والتتارية والقازاقية والفارسية وغيرها حسبما بحثه وفد الرابطة معهم.

(١٤) إقامـة الملتقى الإسـلامي الذى تم بحثه مع الإدارة الدينيـة لمسلمي آسيـا الوسطى وقـازاقسـتان فى طشـقند بأوزبكستـان بغيـة توثيق الصلة مع الجـماعـات الإسلامـية وتقـديم عمل إسـلامي مشـترك يهدف إلى التعريف بالإسلام وفضائله للمسلمين وغيرهم.

(١٥) بما أن الاحتياج الإسلامي متعـدد الجوانب وكبير لظروف العمل المستـجد وكثـافة المسلمين وانتـشارهم في الاتحاد الـسوفيـاتى فإنه يلزم لدعمه مـاديًا واستمراره عمليًا بما يفيـد المسلمين هناك تحقيق ما يلي:

أ- الاستمرار فى جـمع التبرعات المالية بحث المحسـنين والهيئات على المساهمة والإعانة عن طريق رابطة العالم الإسلامي.

ب- التـشاور وتنسـيق العمل الإسـلامي مع الهيـئات العـاملة من خلال تشكيل لجنة باشراف الرابطة تضم الجهات التالية:

١- البنك الإسلامي للتنمية.

٢- جمعية اقرأ الخيرية.

٣- الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٤- هيئة الاغاثة الإسلامية العالمية.

٥- رابطة العالم الإسلامي.

تكون مهمتها التعاون فى تحقيق ما ذكر.

هذا وبالله التوفيق.،،

فهرست محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

* * *